

د. محمد سعيد الصبيح
قراءة أعضاء طلبة المناهج
علم القديس ومثالا

مناقشة حمزوي
نينا

د. محمد سعيد الصبيح
قراءة أعضاء طلبة المناهج
علم القديس ومثالا

ثُمَّ أَفْرَدَ الْعُمَانِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ



إشراف الأستاذ الدكتور

١٠٢٨٣٦ مؤلف على أربع المصنف

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م



الوقت ذك

إلى أمي الغالية متعباً الله بالصحة والعافية
أهدي ثمرة جهدي .

الْمَعْرِفَةُ

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله رب العالمين ، والملاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن أعتدى بهداه إلى يوم الدين ، وسبحانه الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

أما بعد : فإن الدولة العثمانية ، كان لها دورها العظيم في حمل راية الدين الحنيف ، إلى جنوب شرق أوروبا ، ورعايتها للمسلمين في تلك المناطق ، وتوفير جميع السبل التي سهلت نشر الإسلام في أوروبا ، فالدولة العثمانية انبثقت من إمارة صغيرة في شرق الأناضول ، ولم تلبث أن اتسعت في قارات ثلاث وأصبحت دولة لها وزنها ، وعملت على نشر الإسلام ، بما قامت به من مجهودات عظيمة في ذلك المجال ، من بناء المساجد ، وكفالتها للحرية الدينية ، مما أدى إلى اتساع نطاق الإسلام .

ولذلك فإن اختيار موضوع (أثر الدولة العثمانية في نشر الاسلام في أوروبا) لهذه الدراسة التي أتقدم بها لنيل درجة الماجستير له أهمية عظيمة لاسيما وأن المكتبة العربية تعاني من قلة ما كتب عن الدولة العثمانية في هذا المجال ، إضافة إلى أن مثل هذه الدراسة ستلقى الضوء على كثير من العوائق والحقائق والمفترقات ، قد الدولة العثمانية ، وتحليل تلك المواقف على أساس من الموضوعية والبعد عن الأهواء الشخصية .

وهذه الدراسة - التي أرجو الله أن أكون قد وفقت في اختيارها - تشتمل على أربعة فصول على النحو التالي :-

الفصل التمهيدي : بعنوان " النشأة والتكوين " ويتضمن ثلاثة مباحث ينضمم الأول منها أمل الاتراك العثمانيين ، وأقوال المؤرخين في ذلك كما جاء في الكثير من المصادر والمراجع ، العربية وغير العربية

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فيتعلق بإسلام العثمانيين ، وإسلام زعيمهم ، ثم انتشار الإسلام بعد ذلك بين القبائل التركية ، ووصولهم إلى الأناضول - من أواسط قارة آسيا - تحت زعامة أرطغرل واستقرارهم بها ، ومن ثم عملهم على القيام بالفتوحات في شبه جزيرة الأناضول والجانب الشرقي من أوروبا ، وتمكنهم من فتح عدد من المناطق الخاضعة للدول البيزنطية ، والمبحث الثالث فهو بعنوان " العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم " منذ تأسيس إمارتهم على يد السلطان العثماني ، المؤسس الأول للدولة العثمانية ، إلى اتساع الدولة على أيدي سلاطين آل عثمان - وما قاموا به من فتوحات في الأناضول وأوروبا حتى تطورت الإمارة الصغيرة إلى دولة واسعة ضمت معاليك متعددة في آسيا وأفريقيا وأوروبا .

أما الفصل الذي يلي الفصل التمهيدي فهو الفصل الأول وهو بعنوان " الوجود الإسلامي العثماني في أوروبا " ويتضمن أربعة مباحث الأول منها حول دخول الإسلام إلى شرق أوروبا بطرق مختلفة ، مثل طريق الرحلات التجارية إلى تلك النواحي ، والفتوحات العثمانية ، أما المبحث الثاني فهو عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوروبية " مثل تفكك الوحدة السياسية في البلقان ، والحروب بين مغار الأمراء على الحكم وانحيار البنسلمان الإقطاعي ، والاجتماعي في تلك البلاد ، والمنافسة الدينية التي كانت على أشدها بين الكنيستين الشرقية والغربية ، والمبحث الثالث في هذا الفصل فهو يتعلق " بالنظم العثمانية في الولايات الأوروبية " وما قام به السلاطين العثمانيون من إصلاحات ونظم ، ونشر الإسلام ، وحماية المسلمين ، وتعبئهم الطرق ، وإقرار الأوضاع هناك ، أما المبحث الرابع فهو عن " أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام في شرق أوروبا " .

والفصل الثاني في هذه الدراسة عنوانه " موقف الدول الأوروبية من

الدولة العثمانية " وهو ينقسم أيضاً إلى أربعة مباحث : الأول منها يتعلق " بموقف روسيا من الدولة العثمانية " ، خاصة فيما يتعلق بأطماعها في البلقان ومحاولاتها الحصول على امتيازات خاصة بها في المناطق الأوروبية التابعة للدولة العثمانية ، وإشارة القلاقل والغتن ، ضد الدولة العثمانية ، ويشمل المبحث الثاني " موقف دولة النمسا من الدولة العثمانية " ، ذلك الموقف العدائي - على الرغم من عدم وجود حدود مباشرة بينها وبين الدولة العثمانية - ولكنها على الرغم من ذلك خوفاً وحرصاً على مصالحها كانت تثير دول البلقان وتمدها بالأسلحة والأموال للشورى ضد العثمانيين ، أما " موقف فرنسا من الدولة العثمانية " فقد كان موضوع المبحث الثالث ، وفيه تناولت العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية ، سلباً وإيجاباً ، لأن فرنسا - مثلها مثل الدول الأوروبية الأخرى - تنظر إلى أملاك الدولة العثمانية - وبخاصة تلك القريبة منها في الشمال الأمريكي - نظرة أطماع ومصلح ، والمبحث الرابع يتفحص " موقف بريطانيا من الدولة العثمانية " ، ذلك الموقف الذي لا يختلف عن مواقف الدول الأوروبية الأخرى ، وذلك لأنها لا تشارك الدولة العثمانية في الحدود ، لهذا كانت أطماعها لا تخرج عن تحقيق مناطق نفوذ في الشرق الأوسط ، إضافة إلى منافسة بعض الدول الأوروبية الأخرى في تحقيق ما يخدم مصالحها التجارية في المنطقة .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان : " ردود الفعل الأوروبية على الوجود العثماني في أوروبا " فقد عالجت فيه : الرأي الأوروبي العام وآراء المؤرخين في الدولة العثمانية ، حيث انقسموا إلى فئتين : الفئة الأولى هي فئة معتدلة - بعض الشيء - فليس موقفها من الدولة العثمانية ولكن وراء ذلك الاعتدال بعض

الأمر التي لا تخلو من نوايا الحقد والخبث ، والغثة الثانية فهي التي أعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية ، فأشاعت بأن الدولة العثمانية وصلت إلى ما وصلت إليه بالبطش والدمار والإرهاب ، وتسيطر السيوف على الرقاب ، وأرجعت انتصارات الدولة العثمانية إلى الضعف الذي انتاب ممالك أوروبا في تلك الفترة ، وعالجت في هذا العمل أيضاً بعضاً من حملات التشهير ضد الدولة العثمانية المدفوعة بالحنلد والبغضاء على الدولة العثمانية ، لأنها وصلت إلى أوروبا باسم الإللام ، وحملت رؤية الجهاد حتى دللت أبواب فيينا في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٢٥هـ / ١٥٢٩ م . وكان من بعض الحملات التي ناقشتها ، إطلاق بعض المسميات للتشهير بالدولة العثمانية كسمى " الرجل العربي " الذي لا يرحس شكاوة ، والزعم بأن الدولة العثمانية فعلت على " عزلة العالم العربي " والقول بأن " الدولة العثمانية حرمت البلاد العربية من علمائها البارزين " ، وعالجت أيضاً في هذا الفصل التفاوض العثماني في أوروبا وكيف بدأ التراجع ؟ نتيجة لأسباب داخلية وخارجية أدت في النهاية إلى ضياع ممتلكات الدولة واحدة إثر الأخرى ، حتى لم يبق سوى ما آلت إليه الدولة من دولة أنطاقلية ، بعد أن كانت تمتد فسي قارات ثلاث .

وأخيراً ذيلت الفصول السالفة الذكر بخاتمة موجزة تضمنت ما أثبتته هذه الدراسة من نتائج ، وكذلك بعدد من الملاحق الهامة .

أما مراجع الدراسة فقد اعتمدت على مجموعة من المخطوطات والوثائق والمصادر والمراجع العربية ، والتركية ، والإنجليزية التي لها صلة بالموضوع ، ولقد حملت على البعض منها من مكتبة الحرم المكي ومكتبة جامعة أم القرى ، ودارة الملك عبد العزيز ، كما زرت

مكتبة الطوب قابى سراى باسطنبول ، ومكتبة جامعة اسطنبول والمكتبة
 الطيمانية ، والمكتبات الخاصة بتركيا ، كما قمت بزيارة معهد
 المخطوطات بالقاهرة ، ودار الوثائق القومية ، والهيئة العامة
 للكتاب ، وساقى البحث إلى الوصول إلى لندن والإطلاع على المصادر
 في الوزارة الهندية (India Office) حيث حصلت منه على
 بعض المراجع الهامة التى لها علاقة بموضوع الدراسة .

ولأننى فى هذا المقام حمولى على الكثير من المصادر التى زودتنى
 بها المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور / يوسف الشافى فله منى
 الشكر على ما بذله من مجهود يشكر فى هذا المجال ، وله منى الشكر
 والعرفان على توجيهه وإرشاده خلال سير البحث . وأشكر المؤكدين فى
 كلية الشريعة وقسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الإسلامية .

كما أشكر جميع المؤسسات العلمية التى زودتنى بالمادة العلمية
 وأخص بالشكر الدكتور / عابد ياشاة بمركز البحث العلمى بجامعة
 أم القرى على ما قدمه لى من المساعدة النافعة ، كما أشكر الدكتور
 نبيل رضوان على تعاونه معى وإسهامه ببعض المراجع ، كما أشكر أخى عبد
 الصمد بحري ، على ما بذله من جهد فى جلب الكثير من المصادر الإنجليزية
 ومساعدتى فى إنجاز البحث ، وكذلك أشكر أخى عادل وأختى نجاح لعراقتهما
 لى فى رحلاتى إلى تركيا ومصر ولندن وباقي أفراد أسرتى على جهودهم
 الطيبة والمؤفقة . وأخيراً أشكر عضوي المناقشة لإسهامهما معى فى
 قراءة هذه الرسالة العلمية وإبداء ملاحظاتهما القيمة
 وأسأل الله العلى القدير أن يديم نعمة الاسلام ويوفقنا جميعاً إلى ما فيه
 خدمة الدين والوطن .

" والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل "

فاطمة محمد حمزة بحري

الفصل العشري

النشأة والتكوين

- ١- أصل الأتراك العثمانيين.
- ٢- إسلام العثمانيين.
- ٣- العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم.

قال الحسن البصري : رضى الله عنه : (أمل الترك من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، يافث هو أبو الترك ، ويأجوج ومأجوج بنوعم قترك ، ومحب سمعية الترك تركاً : أن الإكندر ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم طائفة غاشية وقت بنائها السد ولم يعلموا بنشائه فتركوا خارجاً عنه ، فسميت هذه الطائفة تركاً لكونهم تركوا خارج السد) (١) ، ولكن مؤرخى الدولة العثمانية من الاتراك - وهم بلا شك - أعلم بأمل سلاطينهم من غيرهم من المؤرخين مثل جودت باشا في مؤلفه (تاريخ جودت) (٢) ، وطه زاده عمر فاروق في تاريخ (أبو الفاروق) (٣) ، وغير أولئك من مؤرخى الترك ، كلهم أجمعوا إلى أن أصل شجرة آل عثمان - التى ابتدأت سلطنتهم من عهد الفخارى عثمان خان - يتمثل فرعها بيافث بن نوح عليه السلام ، (لأن عثمان هو ابن الأمير أرطغرل بن سليمان شاه ، ابن قبال ، ابن قزل بوغيا ، ابن باشيمور ، ابن قابلغة ، ابن طغرا ، ابن قرانيسو ، ابن ماينغر ، ابن يولعاى باينقور ، ابن توفتخور ، ابن ياسان ، ابن حميده ، ابن افلق ، ابن قارى جلتيمور ، ابن طورج ، ابن قزل بوغيا ، ابن باشوى ، ابن جورمز ، ابن بايو ، ابن طغرا ، ابن سونج ، ابن جاريشا ، ابن ثورلست ، ابن فورخان ، ابن بالقق ، ابن خاس ، ابن قراعلان ، ابن سليمان شاه ، ابن فرحلق ، ابن بورلومان ، ابن تيمور ، ابن نورمن بن كولوالب ، ابن ادعون بن مورخان بن قابى خان ، ابن ابو لجى ، ابن حاجية بن أس الحارث ، ابن يافث بن نوح . (٤))

(١) ابن اياس ، هداية الزهور في وقائع الدهور ، القسم الأول ، ص ٢٨ .

(٢) جودت باشا تاريخ جودت (طبع مطبعة س. مخطوط مصر رقم ١٣٢٨ / ١٣٢٦ .

ص ٣٢ .

(٣) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الاول ، ص ٧ - ١٠ .

(٤) اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار من دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

هذا وقد ورد الحديث عن أصل شجرة الأتراك العثمانيين في الكثير من المصادر كالقطبي في (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) الذي يري بأن أصل الأتراك يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام حيث يذكر (أن عثمان يتصل نسبه بيافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الأربعون للسلطان سليم خان بن بايزيد خان يرحمهم الله ..)^(١) وكذلك ورد مثل هذا القول في كتاب (التحفة السنية)^(٢)

هذا وقد ورد ذكر أصل آل عثمان في كثير من المراجع وأن أصلهم من قبيلة أو عشيرة تركية هي قبلي خان ، وروى ذلك العديد من المؤرخين مثل ساطع الحمري^(٣) ، والسعيد طيخان^(٤) ، ومحمود زيادة^(٥) وكارل بروكلمان^(٦) ، كما أثبت هذا النسب عدد من المصادر الأوروبية .^(٧)

واستناداً لما سبق ذكره في المصادر والمراجع مؤيداً بماورد في المصادر التركية ، فإن أصل الأتراك العثمانيين يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام ومن المصادر التركية التي أثبتت هذا الأصل كتاب محمد فرّاد كويرلي^(٨) ، وابن فغلان الذي يقول : (وأفضينا إلى قبيلة

(١) قلب الدين الشهرستاني ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص : ١١٤ - ١١٥ .

(٢) طيخان خليل جاويش ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، كامل باشا ، دولة عليه المجلد الأول ص ٢ .

(٣) ساطع الحمري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٢-١٦ .

(٤) أحمد السعيد طيخان ، تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ، ص ٤٤١ .

(٥) محمود محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ١٢-١٤ .

(٦) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٧) Robinson, Stewart, The Traditional Near Feast, PP, 97-98.

(٨) محمد فرّاد كويرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١١٩ .

من الأتراك يعرفون بالفريزة (١) مما يجعل ما أوردته المصادر المعاصرة حول نسب آل عثمان شيئاً مقبولاً متفقاً مع الحقيقة .

وهذه القبيلة التركية هاجرت من موطنها الأصلي في أواسط آسيا إلى الأناضول نتيجة للضغط المغول (٢) واستوطنوا بها تحت سلطان الملائكة ، وقد منحت الفرقة أمام زعيمهم عثمان بن أرطغرل بعد وفاة علاء الدين الملجوكي حيث أخذ يضم إليه ما قرب من المناطق ويواصل فتوحاته على حساب جيرانه إلى أن توسعت الدولة . (٣)

-
- (١) أحمد بن فضلان (رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والمقالبة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) ص ٩١ .
 (٢) مجلة الاوقاف ، نشریات مديريۃ الاوقاف العامة العدد الثاني أنقرة ١٩٤٢م ، ص ٥٩ - ٦١ .
 (٣) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية ، ص ١١٨ .



أن العثمانيين أراد الله لهم أن يحملوا لواء الإسلام
ويتجهوا في فتوحاتهم نحو القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية)
ويتمكنوا من فتحها ، ورفع راية الإسلام خفاقة في أجوائها .

وعلى العموم فالأتراك نزحوا من موطنهم الأصلي في أواسط
قارة آسيا ، ثم نزلوا في بلاد فارس حيث اعتنقوا الإسلام ، وهناك
اندمجوا مع السلاجقة الذين ينتمون إليهم بالنسب ، والمراجع الأوربية^(١)
توضح ذلك ، حينما كان السلاجقة ملعين منذ قرون كان العثمانيون
لا يزالون على دينهم القديم ، وأسطورة زواج زعيمهم عثمان ابن رستم
أرطغرل يجعلنا نعلم أن الأتراك العثمانيين لم يعتنقوا الإسلام إلا بعد
وصولهم إلى آسيا الصغرى حيث وجدوا بيئة إسلامية في ظل الأتراك^(٢)
السلاجقة وبلغاتهم علماء الدين السلجوقي .

(١) فيليب حسي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٩ ، أحمد راسم ،

عثماني تاريخي ، ص ٣ .

(٢) Robinson, Op, Cit., PP. 97 - 98 .

أما عن توحيد العثمانيون ، فقد استقروا أولاً في آسيا
المعرقى في قل السلطان الملجوقي علاء الدين ، آخر سلاطين الملاجقة ،
تحت زعامة أرطغرل ، وبعد وفاة (أرطغرل) نولى الحكم ابنه عثمان ،
مؤسس الدولة العثمانية وإليه تنسب .^(١)

ولد عثمان بن أرطغرل سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وتولى زمام
الحكم سنة (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) وكانت وفاته سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٦ م) ،
أو في عام (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) وفي تاريخ جودت المجلد الأول إشارة
إلى أنه كان على فراش الموت عند فتح بورصة سنة (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) .^(٢)
وهذا هو الأرجح .

وقد انفتح المجال أمام عثمان بعد مقتل علاء الدين
الملجوقي^(٣) فاستأثر بجميع الأراضي المقطعة له ، واتخذ من مدينة
(بيكي شهر) قاعدة لمملكته ، وعمل على تحصينها وتجميلها ، ومن ثم
واعتل توسيع رقعة بلاده ، وسعت إلى جميع الأمراء من الروم يخبرهم بين
الإسلام أو الجزية أو الحرب كعادة المسلمين دائماً في حروبهم ، فأنضم
إليه البعض وأسلم من أسلم ، واستعان عليه البعض الآخر بالقتار ، ولكن

-
- (١) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .
(٢) قطب الدين الشهر والي ، الإعلام ، ص ١١٤ ؛ تاريخ نعيم ، ج ١ ، ص ٣ .
(٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ١٢٢ .
(٤) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .
(٥) إبراهيم أفندي الطيب ، مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ٨١-٨٢ ، أحمد
مختار ، فتح جليل قسطنطينية ، ص ٤ .
(٦) بيكي شهر : تلفظ الكاف نون فهي بني شهر معناها قبلد الحديث
ويكتبها الأتراك Yenisehir وتقع إلى الشمال الشرقي من بورصة
(محمد فريد بك ص ١١٨ ؛ تاريخ نعيم ، ج ١ ، ص ٣ - ٤) .

عثمان ندب إليهم ابنه ، أورخان فشتت شملهم ، وتمكن من الانتصار على الأعداء ، وأصبحت هذه المدينة الحصينة من أملاك الدولة العثمانية — وقد دام حصار السلطان أورخان لمدينة بورصة ما يقرب من عشرين سنوات فيكون فتحها على الأرجح في عام (١٣٢٦/٨٧٢٦م) وذلك لأنها فتحت ووالده على فراش الموت حيث توفي عثمان سنة (١٣٢٦/٨٧٢٦م) هذا وقد اتخذ أورخان من بورصة بعد ذلك مقراً وعاصمة له ، وقد تميزت مدينة بورصة بحصانتها وقوتها ، مما جعلها تستعصي على الفتح ، فصمدت في وجه الحصار ما يقرب من عشرين سنة حتى سقطت أخيراً في يد أورخان . (أنظر الخريطة ص ١٤)

إن الدولة العثمانية منذ قيامها اتخذت من الشريعة الإسلامية نبراساً لها ، وأقامت شرع الله في أحكامها ، وكان حلاطينها الأواشي — ابتداءً من عثمان يولون الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً ، ووقعوا نصب أعيانهم القيام بمهمة الفتوح باسم الإسلام .

واستمرت مسيرة الفتح والعمران في عهد خليفة أورخان ، الذي آل إليه الحكم في عام (١٣٢٦/٨٧٢٦م) على أثر وفاة والده ، وقد كان قبل ذلك على رأس الجيوش الفاتحة في عهد والده ، حيث فتح بورصة وأزينق ، وفي عهده وبعد أن تولى الحكم بعث جيشاً بقيادة ابنه سليمان إلى بلاد الروم

Robinson, Op. Cit., P, 98.

- (١) نشأني محمد باشا ، سر أنببائي عظام وأحوال خلفاء كرام ، ص ١٠١ .
- (٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- (٣) زبدة عطا ، الترك في العمور الوسطى بينزقة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ص ١٥٨ .

(٤) عرف السلطان عثمان بتقريب العلما موافقها إلى مجلسه ، ومن جلسائه ، الشيخ آده بالي ، وهو شيخ جليل ، تفقه على مشايخ الشام ، وقرأ التفسير والحديث ، وكان السلطان يرجع إليه في شئون الدولة الدينية ، (طاشكيري زاده ، الشقائق النعمانية في علما الدولة العثمانية ، مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ دار الكتب المصرية ، ص ٦) .

(٥) نفس المخطوط السابق ص ٦ ؛ إبراهيم الهندي ، مصباح الساري ونزهة القاري ، ص



(١) ففتح كلا من قلعة ملعرة ، وأبلة وبولايروزيه ، كما أن السلطان أورخان هو أول من ملك العملة من الفضة ، فكتب على أحجوجها محمد رسول الله وعلى الوجه الآخر اسمه في بورصة سنة (١٣٢٧/٨٧٢٨ م) ، وهو أول من رتب طبقات الجند في جيشه ، وجعل الجيش دأشماً ، بعد أن كان يجمع وقت الحرب ثم يفرق ، وقد سمي هذا الجيش (ينو تشاري) أي الجيش الجديد ثم عرف فيما بعد بالإنكشارية (٢) وهي أول فرقة من المشاة يشكل منها جيش شرقي ، وهم من رعايا الدولة المسيحيين من الأضلاع الذين يؤمنون وهم ضار المن ويوفعون في ثكنات خاصة ، ويعلمون طبقةً لائق قانون إسلامي ويدربون تدريباً عسكرياً وبحارون بالقوس والسيف ، ويشتمعون ببناية متينة ، ولم يعرف عن أحد منهم أنه اعتزل أو ارتد إلى المسيحية . (٣)

يذكر بعض المؤرخين أن السلطان مراد هو أول من اتخذ المعاليك وسماهم بـنكجيرية (العسكرية الجديد) أو يكي جيري (٤) ولكن كسل المصادر تجمع على أن أورخان هو أول من اتخذ الإنكشارية ، وقد يكون نظور نظام الإنكشارية وتقدمه في عهد السلطان مراد .

- ونلاحظ أن الجيش الإنكشاري ، كان من أكبر عوامل النصر في عهد قوة الدولة ، وتروى ماري باتريك في كتابها (سلاطين آل عثمان) أن هذا الجيش هو جيش الأتقاء لخدمة السلاطين فتعلمهم هذه الفئة لأنهم (٥) عبد الملك بن حسين العصامي المكي ، سقط النجوم العوالي في أنبساط الأواقل والتوالي ، ج ٤ ، ص ٦٠ - ٦١ .
- (٦) Halil Inalick, The Ottoman Empire, P, 88.
- (٧) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- (٨) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .
- (٩) أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٨ .
- (١٠) قطب الدين النهروالي ، الإعلام ، ص ١١٧ ، أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .
- (١١) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الأول ، ص ٧٠ - ٧١ .
- (١٢) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان الخمسة ، ص ٢٣ .

ليسوا من أبناء الشعب التركي ، وإنما هم أبناء أسر مسيحية ، ينخرطون في خدمة الدولة ، وهذا ليس مبتدعاً ، فقد اتخذت الدول السابقة للدولة العثمانية الجنود من غير شعوبها ، كالفرس والترك وغيرهم ، كذلك فإن الدولة عندما تشر على الضعف أو الإنهيار فإنها تتخذ جنوداً من غير جلدتها حفاظاً على استمرارها ، وهذا ما أورده ابن خلدون في مقدمته حيث قال : " إن الدولة إذا طرقتها الهرم والضعف تتخذ جنوداً من غير جلدتها ، ممن تربوا على الخشونة ، فيكونون أميراً على الحرب من غيرهم ممن تربوا في نعيم العيش " (١) .

من ذلك نستدل على أن معظم الدول والممالك ، قد اتخذت الجنود من غير شعوبها للخدمة في الجيش والحرب وليس ذلك بدعة ، ولم يقتصر ذلك على الدولة العثمانية بل فعلت ذلك الدول الأوروبية ، فقد اتخذت المرتزقة والمأجورين للإنخراط في تلك الجندية .

واستكمالاً لأعمال السلطان أورخان الحربية ، نلاحظ أن ابنه سليمان شاحا تمكن من الإستيلاء على قلعة تراقيا ، وأعقب ذلك زلزال في هذه المنطقة أدى إلى تلف جزء من أسوار مدينة غاليبولي ، فانشهر سليمان (٢) تلك الفرصة ودخل غاليبولي سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) دون مقاومة ، واستدعى على الفور جماعة من العثمانيين من شبه جزيرة آسيا الصغرى

(١) عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٢) غاليبولي مدينة واقعة على الشاطئ الأوربي ، وتابعة لولاية أدرنة وتبعد عن القسطنطينية ب ٢١٢ كم جنوباً وهي أول مدينة استولى عليها المسلمون في أوربا ، وقد شيد فيها السلطان بايزيد برجاً عظيماً ، (إسماعيل سرهنگ ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٦٤) .

(١) للإستقرار بها وتبع ذلك احتلال كل من ملاقرا ، بولار ، والسهل الأوربي
(٢)
المطل على بحر مرمره .

ومجمل القول فان مدينة غاليبولي على الشاطئ الأوربي هي أول مدينة على البر الأوربي تطأها الجيوش العثمانية في أوربا ، ومن طريق هذه المدينة فتح المجال أمام المسلمين لنشر آيات الإسلام خلافة في شرق أوربا ، ويصط قواعد الدين الإسلامي أمام شعوب تلك البلاد لأن فتح غاليبولي كان قبيل سقوط القسطنطينية ، لذلك أصبحت قاعدة الإنطلاق الإسلامية الأولى لنشر الإسلام في تلك الأصقاع ، ويقول في ذلك محمد فوزاد كوبرلي : وقد كانت إقامتهم في غاليبولي عاملاً من عوامل تقوية بنيان الدولة ، وذلك أن كثيراً من العناصر البدوية وفقراء الدولة جاءوا ليطبقوا الأراضي الخصبة الخالية . (٣)

ومما قام به أورخان أيضا ، بناء مدرسة في أنزليق وعين للتدريس بها الشيخ داود القرمانلي ، الذي تغلقه على يد علماء مصر وأخذ عنهم التفسير والحديث والأصول ، وتبرز أهمية هذا السلطان (أورخان) إلى أنه شهد أول استقرار إسلامي للعثمانيين في أوربا من جهة البلقان ، وأول من وضع أساس نظام عسكري جديد أعرب أوربا لعدة أربعة قرون وثبت كيان إمارة قوية امتدت من أنقرة إلى تراقيا ، ويعتد هذه (٥)

- (١) محمد فوزاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ .
- (٢) محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٢٨ - ٢٩ .
- (٣) محمد فوزاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ ، يله زاده عصر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الأول ، ص ٨٢ - ٨٤ .
- (٤) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٨ .
- (٥) عبد العزيز زوار ، الشعوب الإسلامية - الأتراك العثمانيون - الفرس ومملوكوا الهند ، ص ٢٤ .

الانتصارات توفي أورخان سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) في بورصة بعد أن أنجز ما أنجز من الأعمال وآل الحكم بعده إلى إبنه مراد منحة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) في بورصة وكان له من العمر ٣٤ عاماً ، واستمرت مدة حكمه ٣١ عاماً حيث كانت وفاته (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) وفي عهد السلطان مراد ، كانت الإمارات المتاخمة له تنشر إليه بعين الخشوف نظراً لشمو الإمارة العثمانية ، على هذا النحو السريع ومنها إمارة قرمان التركية ، ولكن شجاعة السلطان مكنته من أن يوجه إلى خموصة ضربات موجعة ، أقعدتهم عن التحرك فده ، وفي القسطنطينية كان الإمبراطور البيزنطي أمانويل باليولوج يسعى للإنقضاء عليه ، ولكن السلطان لم يمهلهم واستولى على أدرنة سنة (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، وجعل منها عاصمة له ، (٢) وكان لذلك مدى سيئاً في أنحاء العواصم الأوروبية ، خاصة لدى البابا أريانوس الخامس في روما الذي دعى إلى قيام حروب صليبية ضد العثمانيين ، وقد تمكن السلطان من الاستيلاء على (٣) سالونيك وكان ذلك سبباً في تحالف عيسى ضد القوى العثمانية ، وبفضل الله تمكن السلطان مراد الأول في معركة قوموه سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) من صد هذا التحالف واستولى قبل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي على معظم ممتلكات بيزنطية في أوروبا (أنظر الملحق رقم ١)

(١) العمامي المكي ، صف النجوم الموالى ، ج ٤ ، ص

٦٠ - ٦١ .

(٢) نشانجي باشا ، جبر آسياي عظام ، ص ٧٠٥ - ٧٠٧ .

(٣) سالونيك : أو صلاتيك هي مقر ولاية تعرف باسمها ، تبعد عن القسطنطينية ٥٢٠ كم من الشغور الممتعة تجارياً ، واشتهرت بحسن المنظر ، وجمال جوامعها ، وبها آثار قديمة ، و ذات تجارة واسعة ، يخرج منها خط حديد يمتد إلى أستانة وقد وسعها الإسكندر المقدوني سنة (٣١٥ ق م) وسماها سالونكي على اسم زوجته ، وفتحها السلطان مراد الثاني ٨٢٥ هـ وهي أهم ثغر تجاري بعد القسطنطينية . (إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ج ١ ، ص : ٤٦٦) .

(٣) عبدالعزيز نوار ، الشعوب الإسلامية - الأتراك العثمانيون - الغرب ومسلموا

الهند ، ص ٢٤ .

- باستثناء القسطنطينية - حيث تم فتح بلغاريا وجزء من صربيا والبوسنة ،
 ووصل إلى هنغاريا وتمكن العثمانيون في نيقوبولس في بلغاريا سنة
 (٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م) من هزيمة جيش أوربي ضم ملك البلغار سيمسان^(١)
 ولازار ملك الصرب ، وهذا وقد سلاط السلطان شهيداً بعد معركة قسوة سنة
 (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) ، بعد أن عين الولاة والقضاة حيث عين على قضاء^(٢)
 بورصة القاضي المولى محمود وكان عالماً صالحاً ورعاً ، أحبه الناس^(٣)
 لزمه وعلمه ، وقد سار على هذه العادة ، من تعيين الولاة والقضاة^(٤)
 كل سلاطين آل عثمان لإقامة الشريعة الإسلامية ومساندة السلاطين .

توالى بعد ذلك الفتوحات الإسلامية العثمانية ، وسيطرتها على
 مناطق البلقان ، إلى أن كان الفتح العظيم الذي تحقق على يد
 السلطان محمد الفاتح بن مراد بن بايزيد بن عثمان محي الدين ، وماحب
 القسطنطينية وفاتها ، والذي أشد الشيخ شهاب الدين الكوراني فيه^(٥)
 قصيدة منها :-

لَمِياً إِذْ سَفَرْتُ عَنْ ثَعْرَةِ الشَّنْبِ
 سَارَتْ بِلَبِّي وَأُصْرَى بَعْدَهُ أَهْبِي
 فَهَذِهِ حَالَتِي بِالْعَيْنِ تَنْظُرُهَا
 الْقَلْبُ فِي مَقِيدِ وَالْعَيْنُ فِي طَلَبِ
 سُلْطَانِنَا الْبَاهِرُ لَهُ شَرَفٌ
 يَمُوءُ عَلَى الْبَدْرِ وَالْجُوزَاءِ وَالشَّهَبِ

(١) عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٣٤ ، محمد فريد بك ، ص ١٢٤-١٢٥

(٢) قطب الدين النهر والي ، الإعلام ، ص ١١٧ .

(٣) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ١٢ .

(٤) نفس المخطوط السابق ، ص ١٢ .

(٥) جلال الدين السيوطي ، نظم العتيقان في أعيان الأعيان ، مخطوط رقم ١١١١ ،

مُحَمَّدُ أَنْتَ فَخْرُ الْقَوْمِ قَاطِبُهُ
 سَمِعْتُ بَدْرَ السَّمَاسِ أَنْجُمَ الْعَرَبِ
 رِيَاضَ مَدْحِكَ أَزْهَارَ مَفْتَحِهِ
 وَصَوْتَ شِعْرِي لَهَا كَالْبُلْبُلِ الطَّرَبِ (١)

وقد تعرفت القسطنطينية للحصار تسعاً وعشرين مرة ، وأخذت سبع
 مرات ، آخرها عندما سقطت في يد السلطان محمد الثاني ، الذي ضمها
 إلى ممتلكاته ، وأصبحت قصبة المملكة (٢) ، وقد تمتعت القسطنطينية بأهمية
 كبرى منذ أن أنشأها قسطنطين الأول (٣٠٦ هـ / ٣٣٧ م) ونقل كرسى
 الإمبراطورية من روما على ففاف التiber ، إلى روما الجديدة التي
 شيدت على ففاف البسفور ، وولد شيد عاصمته الجديدة محل بلدة
 بيزنطة القديمة . أنظر الشكل (٢١) . (٣)

وقد تمتعت القسطنطينية بحصانة كبيرة حيث كانت تحيط بها
 المياه من ثلاث جهات ، من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق
 مياه البسفور ، ومن الجنوب بحر مرمره ، فكانت بذلك على درجة كبيرة
 من المنعة لسيطرتها على المناطق التي تربط البحر الأسود بالبحر
 المتوسط ، وقد أطلق عليها قسطنطين إسمه ، وعمل على تجهيلها حيث
 شيد بها القصر الإمبراطوري وسوقاً ومحاكم ، وخمಾಮات وملعباً . (٤)

(١) نفس المخطوط السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) سليمان بن خليل جاويش ، التحفة السنية ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧ - ٢٩ .



خارطة اسطنبول القديمة :

إن النسخة الأصلية من هذه الخارطة التي تصور أحوال اسطنبول المسمى ^١بـ"بزنطة" قديماً
في عهد القساصرة • محفوظة في باريس •
أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية •

وكان للمسلمين محاولات عديدة لفتح تلك المدينة (القسطنطينية) منذ العهد الأموي إلى العهد العثماني ، فكانت أولى هذه المحاولات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان عام (٥٠ هـ / ٦٧٠ م) حيث سير إليها جيشاً بقيادة سفيان بن عوف ، ثم أمده بجيش قاده يزيد بن معاوية وبمعيته عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري^(١) الذي استشهد تحت أسوار القسطنطينية بعد أن قال قولته المشهورة : (إذ مت فاركب بي ، ثم سسج بي في أرض العدو ما وجدت ماعاً ، فإذا لم تجد ماعاً فادفني ثم ارجع ، فلما مات ركب به يزيد بن معاوية في أرض العدو ما وجد ماعاً ثم دفنه ورجع) ، ودفن أبو الأنصاري هناك بعد أن استشهد وعاد بعد ذلك الجيش دون أن يحقق نصراً^(٢).

ثم حدث أن حاول المسلمون فتح القسطنطينية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، الذي وجه جيشاً لفتحها سنة (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م) وكان على رأس ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك ، ولقد هلك الجيش الذي أرسله الوليد محاصراً للقسطنطينية إثنس عشر شهراً ، ولحق الكثير من المصائب ، بسبب دخول الشتاء ، ونقص العون واستخدام الروم للصار الإغريقية ، وبعد وفاة الخليفة ، سليمان

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ؛ ابن كثير البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٦٤ .

بن عبد الملك أمير الخليفة عمر بن عبد العزيز يرفع الحصار
وعودة الجيش .^(١)

كذلك واصل العباسيون الجهاد ضد القوى البيزنطية ،
ونالوا منهم الكثير ، فقد تمكن الخليفة هارون الرشيد
من جعل المملكة إيريتي تدفع الجزية للخلافة العباسية ،
كما أنه خرج على رأس جيش لمحاربة خليفتهما تقفور فوقاس ،
وهزمه وأجبره من جديد على دفع جزية مضاعفة لخليفة
المسلمين ، وقد أكمل السلاجقة - الذين ظهروا على مسرح
الأحداث والذين قاموا بدور عظيم في الجهاد ضد البيزنطيين -
المسيرة فقد تمكن ألب أرسلان (٩٥٥ - ١٠٦٥ هـ / ١١٦٠ -
١١٦٩ م) من هزيمة الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيوس
في موقعة ملاذكرد وأمره ، كما قام في قونية فرع آخر من
السلاجقة سموا بسلاجقة الروم وكان لهم الفضل
في تفتيت قوة الدولة الرومانية الشرقية ، حيث وصلوا
إلى مواعيل بحر أيجه .^(٢) أنظر شكل ص (٢٤) .

وفي العهد العثماني كانت هناك محاولات لغتغ
القسطنطينية قبل عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) وهو عام
الفتح ، قبل ذلك حاصر السلطان بايزيد الأول

(١) عماد الدين إسماعيل بن أيوب ، تقويم البلدان ، ص ٢٠٠ ، عبدالسلام فهمي ،
السلطان الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، ٨٣٣ هـ - ٨٤٢٩ م ، ١٤٨١ م ،
ص ٦٦ - ٦٨ .

(٢) عبدالسلام فهمي ، السلطان محمد الفاتح ، ص ٦٨ .



الأحوال القديمة للقسطنطينية :

الخارطة التي تصور لنا أحوال اسطنبول وتقسيماتها الداخلية وما حولها وذلك في القرون الوسطى (أثناء محاصرتها الأخيرة) • (١) القصر الملكي على رأى (HERTZBERG) (٢) أبها صوفيا • (٣) هيبودروم (ملعب الليل والسباق) • (٤) كنيسة سن سه رزقة بافكوس (٥) كنيسة الحواريين • (٦) باب سينة كوم بقق على الخليج • (٧) عمود قسطنطين •

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية •

(٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) ^(١) القسطنطينية وكانت أن تقع في يده
لولا قدوم تيمور لذك لقتاله وفي ذلك يورد ابن عريشا : (فعندما
علم ابن عثمان (بايزيد) بقدوم تيمور لذك وأنه قادم لقتاله ، استعد
لاستقباله وكان على رأس استانبول محاصراً أشامها وكبارها ، وقد تسارب
على أن يفتحها لولا أن دهم خطر الشتاء .. ولكن نزلت به الهزيمة على
يد تيمور لذك وقبض عليه وبعث به إلى بورصة بطائفة من الجند والأموان
عملوا على أخذ ما فيها من أموال ابن عثمان وخدعة ...) . (٢)

لولا هذا الخطر المفاجئ الذي لم يحسب حسابه ، والذي داهم
السلطان بايزيد ، أشاء حصاره للقسطنطينية لفتح ، منذ تلك الفترة
ولما تأخر ذلك الفتح إلى سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) .

وجاءت اللحظة الحاسمة ، ودقت ساعة الفتح ، وكانت الخطوة الجريئة
الفعالة والتي دكت أسوار القسطنطينية دكاً ، وأبطلت ذلك الحصن الذي
استعص على الغزاة والغاصين ، ولم يصد أمام قوة الإيمان ، وتصميم
الرجال ، وخر ذلك الحصن على يد السلطان محمد الثاني يوم الثلاثاء
العشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة . (٣)

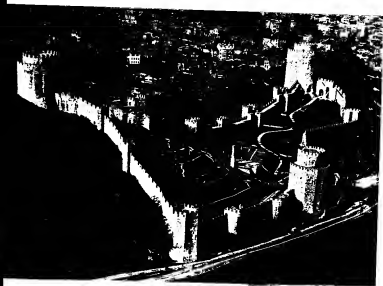
- (١) سليمان خليل جاويش ، النخبة السنية ، ج ١ ، ص ١٥ ، أحمد مختار ، فتح
جليل قسطنطينية ص ٥ ، تاريخ تيمور لذك ص ١٤٧ .
(٢) ابن عريشة محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي ، محاسب
المقدور في نواشب تيمور ، ص ١٩٢ - ١٩٥ ، ١٩٨ ، تاريخ تيمور ، ص ١٤٧ .
(٣) جمال الدين أبي المحاسن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر
والقاهرة ، ج ١٦ ، ص ٧٠ ، أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية
ص ٢٨٨ .

يعتبر المؤرخون سقوط القسطنطينية من أهم الأحداث في القسطنطينية
الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري، ويمثل هذا الحدث نهاية العصور
الوسطى وبداية العصور الحديثة، والقسطنطينية هي عاصمة الإمبراطورية
البيزنطية، التي فقدت معظم أراضيها وممتلكاتها أمام غارات المسلمين
وفقدت من أمغر الدول القائمة في شبه جزيرة البلقان. (١)

وكان أول عمل قام به السلطان محمد الفاتح هو بناء قلعة روم
حصار الحصينة على بعد سبعة كيلو مترات من أبواب القسطنطينية
(أنظر الشكل ص ٢٧) وقد حاول قسطنطين الحادي عشر استنفار أوروبا
ودعم البابا بيوس الثاني، واللوقوف أمام الفتح العثماني، ونجدة
المدينة الوحيدة المتبقية في أيدي المسيحيين، وكرد فعل لذلك فقد
شرع السلطان محمد في عقد المعاهدات والاتفاقيات مع كل من العجر
ومصرها وولاشيا والسندقية وجنوة، وذلك لضمان عدم تدخلهم، ولتأمين
القوات العثمانية عند مهاجمتها للقسطنطينية، وكان السلطان محمد
على رأس الجيش. (٢)

ومن أجل تحقيق النصر، لجأ السلطان لخطة ذكية وهي أنه تمكن
من إنزال ما يقرب من ثمانين طينة عثمانية إلى مياه القرن الذهبي،
والذي كانت تحميه سلسلة ضخمة، حيث مهد طريق من الخشب دهنه بالشحوم

-
- (١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الطليبية، ج ١، ص ٢٤٥.
 - (٢) إدورد جيبسون، إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ص ٢٤٤.
 - (٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الطليبية، ج ١، ص ٢٤٥.



حصار بولغار كسن:

مورة عن روم ايلي حصارى المسمى ببولغار كسن حصارى وقد انشاهما السلطان محمد خان الشانئى الفاتح ، على أن يسد مفرق البحر الأسود ، وأنشاه ههنا الحصار فى ساحل روم ايلي .

يسهل إنزال السفن فتصل إلى ميناء القرن الذهبي ، وبينما كان هو يقوم بهذه المهمة كانت القوات البرية مشتبكة مع الجيش البيزنطي وبعد ذلك بدأت القوات البرية والبحرية في قصف المدينة براً وبحراً واندفع المقاتلون العثمانيون نحو المدينة ، وقد ورد ذكر الفتح في تاريخ أبو الفاروق على النحو التالي : (أحطنا بهم وحاربناهم وحاربونا ، وقتلناهم وقتلونا ، وحرى بيننا وبينهم القتال أربعة وخمسين يوماً وليلة .. فمضى طلع الصبح العادي من يوم الثلاثاء يوم العشرين من جمادى الأولى حينما مثل النجوم رجوماً لجنود الشياطين ، سخرها الحاكم الصديقي ببركة العدل ...) (٢)

وفي أثناء القتال قتل الإمبراطور البيزنطي لقسطنطين ، كما قتل الآلاف من جنده ، وقد حافظ السلطان على المدينة ولم يدمرها ، أو يقتل أهلها ، كما حدث عندما استولى الملبسيون على بيت المقدس ، فقد قاموا معذبة رهينة قد المسلمين فيها ، بل أن السلطان محمد الفاتح أظهر الكثير من التسامح ، ودخل المدينة في موكب النصر مع جنده وتفقد أحوالها . ومن أهم أعمال السلطان محمد الفاتح تحويل كنييسة أياصوفيا إلى مسجد ، فأقام على أركانها الأربعة أربع مآذن بأذنة الطول ، وأضاف إلى بنائها أبنية ذات طابع إسلامي جميل ، ووشق جدرانها بآيات من

(١) ابن تغري بردى ، انجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٨ ، باسم قسطنطين الفاتح

الفاتح ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

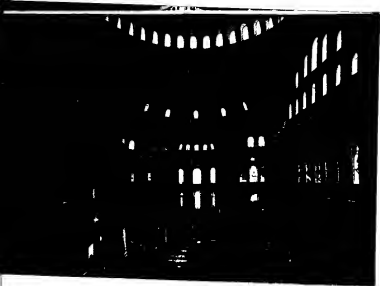
(٣) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد ٢ ، ص ١١ - ١٤ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الطليبية ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٥) طاشكيري ، الشقائق العثمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٧٠ .

(٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولة علي عثمانية ، ج ١ ، ص ٨٧ .

- (١) القرآن الكريم ، (أنظر الشكل ص : ٢٠) ووقع على تغاء القسطنطينية المولى خضر بك ، ولما توفي أعطى قضاها مع خواصها وقضاء غلطة لمونس خسرو وهم إليه التدريس في مدرسة أيا صوفيا وقد كان عالما وقوراً حميد الأخلاق ، وقد قال السلطان عنه : " أنظروا هذا أبو حنيفة زمانة " وحولت العديد من الكنائس إلى مساجد ، واتخذ السلطان من القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية ، وأصبح إسمها (إسلام بول) أي مدينة الإسلام وأعطى الحرية الدينية للمسيحيين وأعاد مآتهم من أسوار المدينة أثناء الحصار ، وبني عند بحر مرمرية قلعة عظيمة اشتهرت باسم قلعة الأبراج ، كما أنه عني بالأسطول فأنشأ داراً لصناعة السفن ، كما شيد مدرسة للآثار ، وللسلطان مآثر عديدة من مدارس وزوايا وهوامع ، وقد بعث السلطان بالبشرى إلى سلاطين العالم الإسلامي ، ومنهم الشريف بركات بن الحسن شريف مغل ، كما أرسل بالبشرى إلى سلطان مصر المملوكي ، وقد أورد ابن إياس نص الرسالة المرسلة لسلطان مصر حيث يقول : (وهل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان ، يخبر السلطان بفتح القسطنطينية ، بالعظمى وقد صنع العكاش في فتحها وكان يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى من هذه السنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فلما بلغ السلطان ذلك دقت البشائر في القلعة ونودي في القاهرة بالزينة ، ثم أن السلطان عين برشباي أمير أخور ثاني رسولا إلى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج برشباي وتوجه إلى بلاد ابن عثمان) ، وقد تناقل المعلمون أخبار هذا النصر ،
- (١) مجلة عالم المعودية ، العدد الأول ، المجلد الثامن يناير ١٩٨٩م ، ص ٢٤ .
 (٢) طاشكبرى زاده ، الشقائق النعمانية مخطوط رقم ١٥٠٨م ، ص ٧٠ - ٧١ .
 (٣) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٢٣ - ٤٣٧ .
 ٤١ - ٤٢ : إدورد جيبون ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .
 (٤) السخاوي ، القفوة اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .
 (٥) فريد بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ : أحمد دحلان ، خلاصة الكلام في أمراء بلد الله الحرام ، ج ١ ، ص ٤٣ : إبراهيم رفعت مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .
 (٦) فتح جنبل قسطنطينية ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، كامل باشا ، تاريخ سياسي ، ج ١ ، ص ٨٧ .
 (٧) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .



صورة من الداخل لمسجد آيا صوفيا .

حيث يذكر ابن تغرى بردي أن القاهرة دقت الباشر وزينت أياماً^(١) وأشار المؤرخ العثماني فريدون بك أحمد إلى عدد من رسائل التهنئة التي وصلت إلى السلطان محمد من الدول المجاورة لدولته إنذاك تعبيراً عن تأييدهم ومؤازرتهم للدولة العثمانية^(٢) . (أنظر الملحق رقم (٢)) .

أتاح فتح القسطنطينية للقوى الإسلامية العثمانية أن تتجه إلى باقي أوروبا ، إلى رومانيا ، وبيلغاريا ، واليونان ، وروسيا ، والبناتيا والمجر وبذلك قلبت الدولة العثمانية ميزان القوى ، فبعد أن كان العالم الإسلامي يقف موقف الدفاع ، والعالم الأوربي يتخذ موقف الهجوم انعكس الوضع حيث هلت أوروبا منذ ذلك التاريخ (١٥٠٧ هـ / ١٤٥٣ م) وإلى ثلاثة قرون متملة تلقف موقف الدفاع في وجه الفتح العثماني^(٣) .

بهذا الإنجاز الباهر العظيم ، سقط أهم معاقل المسيحية في الشرق (القسطنطينية) التي صمدت مايقرب من ألف عام أمام القوة الإسلامية بعد سقوط الإمبراطورية الغربية سنة (٤٧٦ م) ، وبعد سقوط القسطنطينية انفتح المجال أمام الفتح الإسلامي نحو أوروبا .

بعد هذا النصر المؤزر أخضع السلطان محمد الثاني كل من العمورة والصرب والبوسنة واقترب إلى كل من المجر ، وألمانيا ، وإيطاليا ، ودانت له^(٤)

(١) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) فريدون بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١٥٠ - ١٥٨ .

(٣) أنور الجندي ، الإسلام وحركة التاريخ ، ص ٣٠٧ .

(٤) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الثاني ، ص ٤١ .

بسام العسلي ، الفاتح القائد ، ص ٨١ - ٨٢ .

(١)

طرابزون ، والقرم في أماسيا . (انظر خريطة ص : ٣٣) .

وفي سنة (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) سار السلطان محمد الفاتح إلى بغداد فخاف رئيسهم وهرب فدخل السلطان البلاد وأسر من أسر وأجبر ستيفان على دفع الجزية ، كما أنه في عام (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) خاصر رودس ثلاثة أشهر ولم يتمكن من فتحها لحصانتها ، وقد توفي السلطان بعد ذلك سنة ست وثمانين وثمانمائة عندما توجه إلى بورصة ثم نقل جثمانه إلى اسطنبول .^(٢)

تولى الحكم بعده ابنه بايزيد الثاني (٨٨٦ - ٨٩١ هـ / ١٤٨١ - ١٥١٢ م) وكان والياً على أماسيا^(٣) عندما توفي والده ، وعندما وصل إليه الخبر توجه إلى اسطنبول ، فوجد الإنكشارية شقوا عصا الطاعة ، ونهبوا الكثير من المنازل ، فعندما وصل بايزيد عمل على تهدئتهم ووعدهم بالعطايا والهدايا ومن ذلك الوقت وجدت عادة العطايا والهبات عند تولية أي سلطان جديد ، وفي عهد السلطان بايزيد توقفت الفتوحات نظراً للمشاكل التي واجهته من جهة أخيه^(٤) (حم) في داخل الدولة بالإضافة إلى مشكلات

(١) موفق الصرخة ، صحوة الرجل العربي ، ص ٤٠ .

(٢) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(٣) المخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .

(٤) أماسيا : تقع في شمال شرق الأناضول جنوب صامسون ، الواقعة في شمال تركيا على البحر الأسود ، وهناك بلدة أخرى باسم أماسيا تقع إلى الجنوب شرقي من أزمير والثانية هي المقصودة هنا لأن أماسيا الأولى لم تكن داخلية فيملك آل عثمان (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٣٣) .

(٥) جم أحد أخوة السلطان بايزيد ، وقد سار إلى بورصة بعد وفاة والده ، وهزم ألفي إنكشاري ثم أرسل إلى أخيه يعرض عليه ، بشرط تقسيم المطعم بينهما ، فاختص جم بولايات آسيا وبايزيد بأوروبا ، فلم يقبل بايزيد ذلك ، فحاربه وهزمه ، فالتجأ جم إلى مصر ، وحاول بعد ذلك إثارة رئيس فرسان القديس حنا ضد أخيه ، ولكن فرسان القديس يوحنا بالاتفاق مع بايزيد تبذروا عليه ، مقابل مبلغ من المال يدفعه له السلطان بايزيد (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٠ - ١٨٢) .



الحدود بينه وبين دولة المماليك وقد التزمت الدولة في عهدة حانسب السلم ولم يخلو الأمر من الفتن والمشاكل الداخلية (١) كما ابتدأت في عهدة العلاقات مع دول أوروبا ، حيث قامت علاقة بينه وبين الروس ففسي سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه هدايا للسلطان بايزيد الثاني وبعد ذلك بأربع سنوات وصل سفير آخر حمل على امتيازات للتجار الروس كما ربطت الدولة العثمانية في عهده صداقة مع مملكة بولونيا ، حيث عقد بينهما معاهدة سنة (٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م) وتحددت تلك المعاهدة سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) .

وابتدأت الإنصافات في عهده بينه وبين البابا إكسندر السادس وملك نابولي ، ودولة ميلانو ، وجمهورية فلورنسا ، وقد تكسدر طموح حياة السلطان بسبب عصيان أبنائه فاستقال في ثمانية من مفر سنة (٩٨١ هـ - ١٥١٢ م) ، متنازلاً لابنه سليم بالحكم وكان سليم حاكماً على أماسيا سنة (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) وجلس على عرش السلطنة سنة (٩١٨ هـ / ١٥١٢ م) وكانت مدة حكمه تسع سنوات ولقد قام بمحاربة الشاة إسماعيل الصفوي وهزمه في تبريز ، وأكمل مسيرة الفتح فحارب المماليك في بلاد الشام وانتصر عليهم في معركة مرج دابق سنة (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) حيث هزم السلطان الغوري وبعد أن احتتب الأمر له في الشام ، سار إلى مصر في أول محرم سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) وقسـد

(١) إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥١٩ - ٥٢٢ .

(٢) نشانجي باشا ، سير أنببائي عظام ، ص ١٦١ .

(٣) تاريخ حوت باشا ، المجلد الأول ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) نفس المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٩ .

(٥) ابن زنبيل ، آخر المماليك والعهدة السلطان الغوري مع سليم العثماني ،

مخطوط رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .

اجتمع المعاليك الجراكسة في مصر على طومان باي الذي هُزم في الريداية وألقي القبض عليه وأمر السلطان العثماني بشنقه على باب زويلة، وبقتلة انتهت دولة الجراكسة في مصر والشام، وابتدأ نجم العثمانيين يلموح في الأفق^(١)، وقد دعى للسلطان سليم على العنابر، ولقب بخادم الحرمين الشريفين^(٢).

وقد قام السلطان سليم بإجراء الرواتب للأيتام والشيوخ المقعدين وقرر العتبات للأوقاف والخيرات وغلل الحرمين الشريفين، وقد اصطحب السلطان معه من مصر من أصحاب المصانع التي لم توجد في بلاده، بحيث أفقد مصر نيفاً وخمسين صنعة^(٣)، ولكن هؤلاء المصانع الذين رطبهم السلطان إلى إسطنبول سنة (٩٢٣ هـ) لم يظل بعدهم من مصر أكثر من ثلاث سنوات، هذه مدة قصيرة لا تؤثر على مستوى البلد المعيشي، حيث توفي السلطان بعد ذلك بثلاث سنوات، وأمر السلطان سليمان بن سليم بعودتهم إلى مصر وعندما رفض المصانع العودة إلى مصر، أصدر قانوناً يقضي بعودتهم وفي ذلك يورد ابن أبياس في حوادث شهر جمادي الأولى عام (٩٢٧ هـ) حيث يقول :
 " وفي هذا الشهر حضر جماعة كبيرة من اسطنبول معن كان السلطان سليم شاه أسرهم وأخرجهم من مصر، فلما مات سليم شاه بن عثمان واستقر ولده سليمان أصدر مرسوماً بعودة الأسرى قاطبة إلى بلادهم، وورأف عليهم وأظهر العدل فيهم^(٤) .

(١) البكري، عيون الأخبار ونزهة الأنصار، مخطوط رقم ٧٢، ص ١٠٢ - ١٠٣

(٢) طه زاده عمر فاروق - تاريخ أبو الفاروق، المجلد ٢، ص ٢٩٦ .

(٣) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ص ٦٤ - ٦٥

(٤) ابن أبياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

وقد توفي السلطان سليم الأول سنة (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) وخلفه ابنه سليمان الثاني ، تولى الحكم سنة (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) وكان له من العمر ستة وعشرون عاماً وحكم لمدة ثمانية وأربعين عاماً وهي أطول فترة حكم قضاها سلطان عثماني وتوفي وله العمر أربعة وسبعون عاماً ^(١) .

يعتبر عصر السلطان سليمان الأول من أزهى العصور في العهد العثماني^(٢) حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي كدافوق في فتوحاته شرقاً ، واتبع هذا السلطان في سياسته مع أوروبا سياسة مخالفة لمن سبقوه ، فيما يتعلق باستمرار القتال بين المسلمين والمسيحيين وقد أطلق عليه العثمانيون اسم سليمان القانوني ، وذلك لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهده ، كما أطلق عليه الأوروبيون لقب العظم ، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه بالإضافة لشجاعته ، فقد استطاع أن يحتفظ بهيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير ، أمثال فرنسو الأول ملك فرنسا ، وهنري الثامن ملك إنجلترا ، والإمبراطور شارل الخامس ملك أسيانيا والمانيا ، وأمانويل ملك البرتغال ، وإيوان الثالث ملك روسيا ، وإسكيل الثالث ^(٣) .

وقد واكب شهرة هؤلاء الملوك وجود شخصيات تركية ذات أهمية أمثال

- (١) سليمان خليل جاويش ، التحفة السنية ، ج١ ، ص ١٥ ، كامل باشا ، تاريخ دولة عليه ، ج ١ ، ص : ١٦٣ .
- (٢) تاريخ جودت باشا ، المجلد الأول ، ص ٤٠ .
- (٣) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أسواق فاروق ، المجلد ٣ ، ص ٦ - ٣ .
- (٤) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٥٧ ، يوسف آصاف ملاطيس آل عثمان ص ٧٢ .
- (٥) المعبد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ج٢ ، ص ٤٤٤ .
- (٦) علي بك طميم ، التحفة الحظمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٩٥ .

سنان باشا ، وهو من أعظم رجال المعمار ، بكمال باشا زاده مفتي الدولة ومن رجال البحر أمثال طرغود ، وغير الدين بربروسا وأخوه عروج ومادفت أيام السلطان القانوني شهة شاملة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي ، وسائرهم العثمانيون في ذلك بل فاقوهم في هذا المعمار الحربي ، ولم يوجد في أوروبا في عهده من يفوقه حربياً أو سياسياً أو إدارياً ، وقد أثنى الشعراء في الدول الأجنبية في وصف السلطان سليمان القانوني ، وما يدل عليه مظهره من أنه ولد ليكون ملطناً لعامتج به من الذكاء والثقافة العالية ، حيث كان ينظم الشعر بالفارسية وإن لم يعمل إلى ما وصل إليه والده ، وكان ورعاً تقياً كتب ثمانية مصاحف بيده ولا تزال موجودة في الجامع السلعياني باسطنبول . (١)

أما فتوحاته فلم تكن بأقل من فتوحات والده حيث تمكن من فتح بلغراد في (٢٦ رمضان ٨٩٢٦ / ١٥٢١م) (أنظر الملحق رقم (٢)) ، وفتح رودس من فرسان القديس يوحنا في (٥ سفر ٨٩٢٩ / ١٥٢٢م) كما غزا بلاد المجر ، والتقى بجيوشهم في معركة موهاكس (٨٩٢٢ / ١٥٢٦م) وقتل ملكهم لويس الثاني ، وفتح العديد من القلاع ، كما حاصر فيها عشرين يوماً عام (٨٩٣٥ / ١٥٢٩م) ولم يتمكن من فتحها ، فأرادت عنها ، وكان هذا أول فشل يلحق به في أوروبا ، وقد اتسعت البلاد في عهده ، حيث امتدت من بودابست على نهر الدونة إلى أسوان بالقرب من ثلاث النيل ومن نهر الفرات إلى مسافة قريبة من جبل طارق كما أصبحت الجزائر في مهدة

(١) تاريخ حودت ، المجلد الأول ، ص ٤٢ .

(٢) تاريخ بجسوي ، ص ٦٨ .

ولاية عثمانية تابعة لدولته ، وكان لخير الدين بربروس وأخيه عروج دورهما في البحر المتوسط وحماية شواطئه ، وبلغ الحكم العثماني فسي هذه أوجه . (أنظر خريطة ص ٢٩) .

جاء إلى الحكم بعده ابنه سليم الثاني سنة (٩٧٤ - ١٥٦٦ م) وله من العمر خمسة وأربعون عاماً ، وقد عمل السلطان سليم على إتمام فتح ممالك اليمن ، وكان والده قد بدأ في فتح اليمن فأكمل هو فتح ذلك القطر ، كما تمكن من الاستيلاء على جزيرة قبرص ، كما أرسل السلطان نجدة لمسلمي فرنطة - في الأندلس - الذين أرسلوا يستنجدوا بالسلطان سليم خان سنة (٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م) فد مسيحي أسبانيا حيث لبى السلطان طلبهم بأن أرسل أمير أمراء الجزائر بأن يبعث النجدة والمعونة لهم . (أنظر الملحق رقم ٤) .

وفي عهد السلطان سليم الثاني منى الأسطول العثماني بهزيمة بحرية في معركة ليبانتو عام (٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م) وعلى الرغم من سيطرت الدولة العثمانية على قبرص كما ذكرت آنفاً ، وهزيمتهم للنصارى بين سنة (١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) في سهل واج إلا أنهم لم يعودوا يشكلون خطراً على أوروبا . (٦)

- (١) محمد باشا ، القدرة الذبيرة في بيان ما جرى حين أغارت على الجزائر جنوس الكفرة ، مخطوط رقم ٩٧٥١ ص ٣ .
- (٢) Halil Inalick . Op, Cit., P, 35 .
- (٣) عبد الواح اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .
- (٤) مهمة دفترى رقم ٩ صفحة ٧٧ حكم رقم ٢٠٤ بتاريخ ٢٣ شوال سنة ٩٧٧ هـ ، تاريخ ملاتيك المجلد التاسع ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
- (٥) مهمة دفترى رقم ٨٩ صفحة ٨٩ حكم رقم ٢٣١ بتاريخ ٢٤ شوال سنة ٩٧٧ هـ .
- (٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولة عليه عثمانية ، المجلد الأول ص ٢٧٢ ؛ السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٤٤٥ .



من خلال دراستنا للمفحات السابقة ، رأينا كيف أن الدولة العثمانية انبثقت من إمارة صغيرة في شرق الأناضول إلى أن اتسعت في ثلاث قسارات هي آسيا وإفريقيا ، والذي بهمنا هو فتوحاتها في القسارة الأوروبية وفي الجانب الجنوبي الشرقي الذي يضم الدولة الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) هذه الدولة التي استنزفت الكثير والكثير من جهود المسلمين وكانت معقلاً من معازل الوثنية والشرك ، وهكت ألف عام تقريباً تدافع عن أوروبا ، وتحول دون انطلاق أنوار الحق إلى تلك البلاد ، فكانت بمثابة الحصن المنيع الذي حمى أوروبا كل تلك الفترة . ولكن شامت عناية الله أن بذلك الحصن يسقط منهارة أمام ضربات المسلمين وبقوة الإيمان على يد السلطان محمد الفاتح حيث كان دعماً للإسلام الذي انطلق منها مبشراً بدين الحق والنور ، وأصبحت القسطنطينية معقلاً من معازل الإسلام بعد أن كانت شوكة في جنب المسلمين ، وبؤرة فساد .

بعد ذلك توالات الفتوحات والإنجازات ضد التكتلات والزعامات الأوروبية المسيحية ، وأخذ حشد الإسلام يسيرون والنصر في ركابهم ينشرون الإسلام في جنوب شرق أوروبا ووصلت الجيوش العثمانية إلى أبواب فيينا وكانت فيينا هي أقصى اتساع للدولة العثمانية في أوروبا ، ولا يخفى أن انتشار الإسلام رافق الفتوحات التي قام بها آل عثمان في أوروبا حتى أنهم لم يعرفوا في ذلك التاريخ بالترك لدى الشعوب الأوروبية بل حشد الإسلام .

الفصل الأول

الوجود الإسلامي العثماني في أوربسا

- ١- دخول الإسلام إلى شرق أوربسا.
- ٢- الأوضاع السائدة في المناطق الأوربيّة.
- ٣- النظم العثمانية في الولايات الأوربية.
- ٤- أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام.

تحدثنا في الفصل السابق عن نشأة الدولة العثمانية، وأصل الأتراك، وتوسيعهم لرقعة بلادهم .

بدأنا نسمع لأول مرة عن العثمانيين في بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وذلك عندما نزحوا من بلادهم، في قسرة آسيا أمام غارات المغول، ثم تقدموا نحو آسيا الصغرى، ولقد أمدوا خدمة للسلطان علاء الدين السلجوقي، الذي أقطعهم ولاية في الشمال الغربي من آسيا الصغرى، مكافأة لهم، وقد كانت هذه الولاية نواة للدولة العثمانية .^(١)

أما عن دخول الإسلام إلى جنوب شرق أوروبا، فقد انتشر على مراحل متعددة المرحلة الأولى منها عن طريق التجار المسلمين، الذين عرفوا برحلتهم التجارية في مختلف أنحاء العالم، فقد ارتادوا تلك الأماكن للتجارة تجارة الفراء وكافة السلع الأخرى التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية، وبفضل التجار المسلمين وتوغلهم في تلك البلاد واستقرار البعض كان له أثر في دخول المسيحيين في الإسلام، إذ اجتذب التاجر المسلم بسبب أمانته وإخلاصه، ومداة في المعاملة، وحسن الخلق الذي حفل عليه الدين الإسلامي الحنيف، اجتذب كثيراً ممن سكان تلك البلاد إلى الإسلام .^(٢)

-
- (١) محمد السيد غلاب، البلدان الإسلامية، ص ٢٠٥ .
 (٢) محمد فريد بك الدولة العلية، ص ١١٨؛ أحمد مختار، فتح جنبل قسطنطينية، ص ٤ .
 (٣) أحمد بن عباس بن فضلان، رحلة ابن فضلان، ص ٩١ .

ففي نهاية القرن (الثالث الهجري وأوائل الرابع / التاسع الميلادي وأوائل العاشر) • عاش جماعة من قبائل البلغار على شاطئ نهر الفولجا ووصل اليهم الدين الإسلامي ، عن طريق التجار المسلمين الذين يتاجرون بالفراء • وهم أول جماعة اعتنقت الإسلام ، وقد أرسل إليهم الخليفة العباسي المأمون ، قائده أحمد بن عباس المعروف بابن ففلان ليفتحهم في الدين بعد أن وصلت جماعة منهم (البلغار) إليه تطلب ذلك وقد تحدث ابن ففلان عن تلك الرحلة ووصفها وصفاً دقيقاً ، وذكر بأن الغاية منها دعوة البلغار إلى الدين وتعليمهم الإسلام وشعاره ^(١) وأشار ابن ففلان في وصفه إلى اعتناق أحمد ملوك السلاف " الطش يلظمور " الإسلام ، وذكر بأنه عندما وصل إلى بلاده خفا لاستقبالهم ، فلما رأى ابن ففلان ومن معه ممن أوفدهم الخليفة العباسي المقتدر خر ساجداً شاكراً لله عز وجل • ^(٢)

وقد كان لقبائل البلغار المسلمة دور في نشر الإسلام ، فهي جنوب شرق أوروبا ، في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حيث هاجر البلغار الذين اعتنقوا الإسلام إلى حوض نهر الفولجا ، وجنوب شرق أوروبا ، وانتشر أولئك المهاجرون في بلغاريا ، ويوغوسلافيا ، وألبانيا ، والمجر ، وكانت نسبتهم ضئيلة إلى مجموع السكان • ^(٣)

(١) ابن ففلان ، رحلة ابن ففلان ، ص ٩١ •

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ - ٩٥ •

(٣) محمود شاكر ، المسلمون تحت المظلة الشيوعية ، ص ٢٩ •

أما عن المرحلة الثانية لانتشار الإسلام في شرق أوروبا فكانت عندما وصلت القبائل التترية في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي إلى تلك المناطق وامتهرت بها ، وقد اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام ، وكان أوزبك الكبير القائد المغولي هوخان القبيلة الذهبية أو إمبراطورية الكيشان ، التي بلغت أوج عظمتها في عهده ، وقد اعتنق الإسلام ، وتحسن له بشدة ، واليه يرجع الفضل في ترسيخ دعائمه هناك ، وقد اشتقت قبائل الأوزبك التي عاشت في أواسط آسيا اسمها من اسمه تبركاً ، ويقال أنه ومع خطه لنشر الإسلام في كافة أرجاء روسيا ، وازدهرت الأسرة الذهبية في عهد عبدالله خان أوزبك (٧١٤ - ٧٤٢ هـ / ١٢١٤ - ١٢٤١ م)^(١)

كما اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام ، فقد اعتنقه خانوات الجغتاي من المغول ، اعتنقوا الإسلام طوعاً وعلاً ، وتحول رعاباهم من البدو إلى الإسلام ، كما استبدلوا الشريعة الإسلامية بقانونهم الوفقي ، لتنظيم حياتهم ، وبذلك دخل الأتراك المغول الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاء مؤسسي دولتهم جينكيز خان ابتداءً من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية في بلاد الروس التي كان زعماءها من المسلمين وانتهى بنشوء الدولة العثمانية^(٢) .

أما المرحلة الثالثة من مراحل دخول الإسلام إلى أوروبا فكان أهمها الفتوحات العثمانية في أوروبا - وبدأت هذه المرحلة منذ عهد السلطان أورخان بن عثمان حيث تمكن ابنه سليمان من فتح مدينة غاليبولي

(١) على حسن ، العثمانيون والروس ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٤ .

على أثر زلزال أدى إلى سقوط أسوارها ^(١) ، وكان ذلك بداية للوجود
 العثماني في أوروبا عام (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) ^(٢) ، وقد قام سليمان باستدعاء
 جماعة من الأناطول للإستقرار في غاليبولي ، وعاملهم معاملة حسنة ،
 ووعدهم بالمهاديا والمكافآت ^(٣) ، وقد تمكن من نقل جيشه إلى غاليبولي
 بواسطة الزوارق ^(٤) .

هذا وقد ترك السلطان أورخان أثراً عديدة ساهمت في نشر
 الإسلام في شرق أوروبا ومنها الجيش الإنكشاري الذي قام بتكوينه
 وبنائه ، من أبناء المسيحيين اليتامى الذين ترسوا تربية إسلامية ^(٥)
 ودينية عميقة وتعلموا القرآن الكريم وحفظوه ، وامتدوا بالأسـ
 والعبادات والمعاملات الإسلامية الحميدة ، والنظم العسكرية التي
 تولى لهم للعمل العسكري كذلك تعلموا اللغة التركية ، وعرفوا وخبروا
 التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الدولة العثمانية ونظمها ^(٦) .

وقد كان ذلك الجيش الإنكشاري عوناً للدولة العثمانية ،
 لتجنيده فرقاً عسكرية كاملة من المشاة ، يضعون عقولهم وأجسامهم
 وخبراتهم في خدمة الإسلام والسلطان ومبادئ القتال ، إبتغاء إحرار
 الإنتصارات العسكرية التي تحقق بها الدولة مزيداً من الفتوحات

- (١) أبو الفاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، ص ٨٢ - ٨٤ .
- (٢) إسماعيل سرهنگ ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .
- (٣) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ .
- (٤) أحمد رفيق ، بيوك تاريخ عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٤٠ .
- (٥) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٤٢ .
- (٦) حسن ليب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، القسم الأول ، ص ١١ - ١٢ .

(١) في التقارير الثلاث .

وضع السلطان أورخان قانوناً خاصاً بالإنكشارية جاء في أربع عشرة مادة تضمنت النظام الداخلي لهم وتنظم علاقات أفرادهم بعضهم ببعض (٢) . كما تمت على الطاعة المطلقة والإنقياد التام للسلطان ، وكان الإنكشارية ينظرون إلى أعداء السلطان على أنهم أعداء لهم ، وكانت شجاعتهم مغرب الأمثال ، هذا وقد بارك ذلك الجيش الحاج بكتاشي حيث أعطى كل واحد منهم قطعة من مباتته ، وكان الضباط يعلقونها على رؤوسهم تبركاً . (٣)

لقد كان للجيش الإنكشاري أثره الكبير في الفتوحات العثمانية التي خاضت قمارها الدولة في آسيا وأوروبا وأفريقيا ، حيث أحرز النصر خلال القرن الرابع عشر الميلادي والقرن الثاني عشر ، بالإضافة للجيش الإنكشاري الذي أنشأه السلطان أورخان فقد عني ببناء المدارس ، ومن تلك المدرسة مدرسة نيقية عام (٧٢٢ هـ / ١٣٣١ م) ، كما أنشأ العديد من المدارس والمساجد والمستشفيات في مختلف أنحاء مملكته

(١) حسن لبيب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، القسم الأول ، ص ١٢ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٤٢ .

(٣) البكتاشية : من الطرق الصوفية التي انتشرت في الدول لعثمانية ، حيث أولتها الدولة أهمية بالغة وأمدتهم بالعمون والحنثهم بالجيش (من الطرق الصوفية النشيدية والمولوية والرفاعية والأحمدية والرشيدية والخلوتية) وهذه الطرق شوهت الإسلام وساعدت على إدخال البدع في قلب الدين (محمد فوفاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٦٨) .

(٤) عبد اللطيف البحراوي ، حركة الإصلاح العثماني ، ص ٥١ .

(٥) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي معومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٥) Halil Inalick, Op, Cit., P, 8.

كما نظم أمور الدولة الداخلية والخارجية وقال عنه المؤرخ الروماني
 خلتوفونديل : ان أورخان كان حليماً على الفقراء ، وأرباب الضاعفة
 (١) والعساكر ، حيث أنه لم يتخلف عن إعطاء الصدقة لكل واحد من رعيته .

وقد كان لهذه المعاملة الحسنة الأثر العميق في دخول الكثير
 من المسيحيين في الدين الإسلامي ، وتوسيع قاعدة الإسلام في المناطق
 الأوربية ولم يكن أورخان هو السلطان الوحيد الذي عمل على تشييت الإسلام
 في تلك النواحي من أوروبا ، بل إن حكام آل عثمان وأشرافهم كانوا
 يتبارون في تخليد أنفسهم ، ببناء المساجد ، التي أوقفوا عليها
 الأوقاف الواسعة فلم يكن الحاكم ، أو الشري يهتم بأن يبني داراً لنفسه
 أو أن يملك الفياح والعقارات ليورثها أبناءه من بعده ، بل كان يهتم
 بأن يبني مسجداً أو تكية ، أو مدرسة ، أو مستشفى ويوقف عليها
 الأوقاف لينتفع بها المسلمون ، ويشهد بذلك الأثار الإسلامية المنتشرة
 في أجزاء كثيرة من المناطق الجنوبية الشرقية من أوروبا .
 (٢)

وهذا هو سر نجاح الدولة العثمانية في تقدمها نحو الغرب ،
 ووصولها إلى أسوار فيينا عام (٩٣٩ هـ / ١٥٢٩ م) مقارنة بالفتنة
 المتأخرة التي لم يلتزم فيها سلاطين آل عثمان بالمبدأ الإسلامي .

ومن هؤلاء السلاطين الذين حرصوا على تقدم الإسلام في جنوب
 شرق أوروبا السلطان مراد ، حيث قام بالتقدم السريع نحو أوروبا ، فقد

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٢) إحسان حفي ، المعلمون أمام التحدي العالمي ، ص ٢٥ .

ورث عن والده جيشاً منظماً ، وكان صاحب عزيمة وإرادة وتربية علمية عالية كما اتصف بالجرأة والشجاعة ، وأصبح المجال أمامه مفتوحاً لإظهار نشاطه وقدراته الحربية وقد تمكن السلطان من فتح أدرنة عام (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) واتخذها عاصمة له ، وعلى الطريق الموادي من القسطنطينية إلى الدانوب ، وأصبحت أدرنة مركز القيادة العامة لمراد في أوروبا ، وسار نحو البلقان وفتح حصونها ، وفقد طحاً بينه وبين ملك اليونان ، كذلك تمكن السلطان مراد من التمدد للسيزنطيين وأجبرهم على دفع الجزية واحتل نيس التابعة للحرب ، ثم أجرى طحاً مع لارز ملك الصرب مقابل جزية سنوية بدفعها للسلطان ، وبعدت بألف جندي مقاتل لمساعدة العثمانيين حين الحاجة ، وقد أشار ذلك مخاوف ملك البلغار الذي أرسل وفداً للسلطان يطلب الطح حيث قبل السلطان مراد ذلك ، ولم يغير عليه لعدة سنوات .^(١)

عاد السلطان إلى أدرنة بعد ذلك وعمل بعض الإصلاحات والتسييس تضمن : تقوية حكم العثمانيين في الأماكن التي فتحتها الدولة من قبل ، وتطبيق النظام بالنسبة للجيش كما في عهد والده هذا في الروم إلى ، إضافة إلى تشكيل فريق من الجيش مهمته نقل المعدات العسكرية الثقيلة إلى المناطق التي تحتاجها ، وتعيين تيمور طاش باشا مسؤولاً عن تسييق الجيش في روم إلى .

واعتباراً من هذا التاريخ فقد تم وضع تقسيمات للجيش العثماني: أمير الأمراء ، الإنساوولي ، وأمير الأمراء ، الروم إلى واختار مدينة طلبة

Halil Inalick, Op, Cit, P, 8 . (١)

(٢) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، مجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٣) نفس المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٢ .

وأنقرة مركز لهذه المهمة ، وبجانب هذه الإصلاحات في الجيش فكر السلطان
(١) بتوسع مملكته وكيفية الوصول إلى ذلك .

في الوقت الذي كان السلطان مشغولاً بتقوية نفوذه في أقطار
الأنافول كان أمراءه يعملون على تقوية نفوذ الدولة في بلاد الروم ،
ويركزون همّهم على منطقتين هما مقدونيا ، وصوفيا لذلك تمكن أمير
روملي من احتلال البانيا ، كما تمكن الجيش الآخر من احتلال قلعة صوفيا .

في هذا الوقت كان ملك البلغار يتأهب للإنضمام إلى ملك الصرب
حينما فاجأت الجيوش العثمانية جيوش البلغار واحتلت ترنوف^٢ وشوملة^٣ ،
مما اضطر ملك البلغار للفرار والإحتماء بمدينة نيكولس ، ولكن
الجيوش العثمانية تمكنت من هزيمته ، وفي معركة توصو^٤ سنة (١٥٧٢هـ /
١٢٨٩م) أحرز العثمانيون نصراً على الصرب ووقع لارز ملك الصرب أسيراً
في يد المسلمين الذين قاموا بقتله ، وبهذه الواقعة المهمة التي
بلى ذكرها شهيراً في أوروبا بأمرها زال استقلال الصرب ، كما فقدت
الروملي والأنافول والبلغار استقلالها من قبل ، وقد انتقم الصرب لمقتل
ملكهم بأن تمكن جندي صربي اسمه (ميلوك كابوفتش) من قتل السلطان
مراد بعد أن ضم كثيراً من البلاد إلى ما تركه له والده ، هذا إضافة إلى^(٢)
ما قام به قواد الدولة في عهده من تنظيم أمور البلاد المفتوحة ،
وتعيين قاضي لكل منهم ليحكم بينهم ، كما حولت العديد من الكنائس

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٥٢ .

(هـ) ترنوف : هي تورنوفو (Turnovo) تقع إلى الجنوب الشرقي من بلغاريا .

(هـ) شوملة : هي شومن (Shumen) تقع إلى الشمال من تورنوفو .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٢٤) .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

إلى مساجد وبنيات مساجد جديدة ، هذا ونلاحظ أن الجيش لم يتعرض لأموال الناس كما أنهم لم يتدخلوا في شؤونهم التجارية ، أما البلاد المتمردة فقد أغاروا عليها وأخذوا منها الأسرى ومبشرين الغنن .^(١)

ومن سلاطين آل عثمان الذين كانت لهم إنجازاتهم في داخل القسطنطينية وفي البلاد الأوربية السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح فبعد الفتح الكبير والإنجاز العظيم الذي حققه بفتح القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فقد اتخذ منها مقراً لحكمة ، وأطلق عليها إسم إسلامبول ، وعمل على تحويل كنيسة آيا صوفيا لتصبح جامع العاصمة الرئيس ، وعمل فيها بعض التعديلات حيث قام بتغطية روائع الميهمسا الذهبية التي كانت تزين العقود وتمثل الفن البيزنطي قام بتغطيتها بطبقة من الكلس ، أما النية فقد أدخلت على تميم البناء الكنسي بواسطة محراب ، وضع وسط جناح الكنيسة الجنوبي وقد أنعم المنبر على عمود الكنيسة الجنوبي والشرقي ، وقد أنشأت من الخارج أربع مآذن رفعت أواها في عهد السلطان الفاتح ، ثم أضيفت الثلاثة الأخرى في عهد السلطان سليم الثاني وخلفائه . (أنظر الشكل ص ٥١) كذلك أنشأ السلطان الجامع المسمى باسمه (جامع محمد الفاتح) أو (الجامع المحمدي) في قلب العاصمة وعهد بإنشائه إلى المهندس اليوناني كريستو دولوس وقد بدأ العمل فيه من (٨٦٨ - ٨٧٤ هـ / ١٤٦٣م - ١٢٦٩م) وكان هذا الجامع تحفة معمارية ، ومن أروع آثار العثمانيين في فن العمارة التي تشهد باهتمام آل عثمان ببيت الله وقد هدمت السرازل الجزء الأملي من البناء ، والجزء الداخلي تعلوه قبة مركزية تقسم

(١) أحمد رفيق : بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٥٢ .

(٢) فتح جليل لقسطنطينية ، ص ٢٥ .



■ مسجد آيا صوفيا .

كان في السابق كنيسة حيث أنشأت عام ٣٢٤م ثم احترقت وقيام الإمبراطور
الروماني جوستنيان ببناؤه بالشكل الذي هو عليه الآن ، وقد تحول إلى
مسجد على يد السلطان محمد الفاتح عند فتحه للقسطنطينية عام ١٤٥٣ هـ /

١٤٥٣م .

أحمد مختار ، فتح جليل القسطنطينية .

على أربعة أعمدة بين أربعة من أنصاف القباب المتعائلة في الإتساع وتقلل الزوايا أربع من القباب أمفر حجماً ، ويدخل الضوء إلى الجسر الداخلي من مفرد النوافذ الستة القائم بعضها فوق بعض وهناك (١) مئذنتان ، ويلحق بالجامع المدارس والحمامات وخان لنزول الغرباء ، وداراً للعجزة ، ومستشفى ، وإلى يمين الباب الرئيسي لوحة من الرخام كتب عليها بأحرف من ذهب الحديث النبوي (لتفتحن القسطنطينية) فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش (٢) ، هذا بالإضافة إلى عشرة مساجد بناها السلطان في أنحاء مملكته ، كما قام ببناء مسجد قرب قبر أبي أيوب الأنصاري الذي لاقى وجه ربه أثناء حصار الجيش الأموي للقسطنطينية وتعلوا هذا المسجد قبة ، كما عمل السلطان على إعادة مآتهم من أسوار القسطنطينية وبنى قلعة الأبراج أمام (٣٥٩ / ١٤٥٤م) كما قام ببناء قصره على ربوة مرتفعة داخل المدينة ، وبنى قصراً آخر على بحر مرمرة . (أنظر ص ٥٢)

واهتم السلطان الفاتح بالأسطول إهتماماً عظيماً خاصة وأن تلك الفترة تقتضي النزول إلى ميدان المنافسة البحرية مع الدول الأخرى ، فقام ببناء داراً لصناعة السفن وتطويرها ، وأنشأ مدرسة القصر والتي تعمد

(١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٤ - ٤٧ .

(٢) محمد كامل الدوقى ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤١ - ٤٤ .

(٣) البخاري ، التاريخ الكبير ، المجلد الثاني ، القسم الثاني من الجسر الأول ، ص ٨١ ؛ صحيح مسلم ، ج ١٨ ، ص ٢١ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، المستدرج ، ص ٢٣٥ .

(٤) إدوارد جيبون ، إضمحلال الإمبراطورية البيزنطية الرومانية وسقوطها ، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .

(٥) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٧ .



✖ سور استنبول :

صورة عن سور استنبول الواقع بين طوبسكو وأدرنة قابو، وان هذا القسم من السور قد اتخذ مكاناً للهجوم عند محاصرة استنبول ، وقد أصيب بالضرر والهدمات . والمورة تشير إلى هذا القسم من السور .

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية .

نموذجاً رائعاً للمعهد العالي وظلت هذه المدرسة تقوم بعملها حتى
القرن العشرين ويتلقى الدارسون بها اللغات والأدب والفنون العسكرية
والموسيقى والفنون والألعاب الرياضية (١).

بعد استكمال استعدادات ترقية الجيش واصل السلطان فتوحاته
الموفقة في البلقان من أجل نشر الإسلام . فاستولى على كل من العسرة
والعرب ، والنوسة ، وهدد العجر والمانيا ، وإيطاليا ، ودانت لسه
طرابزون والقرم في آسيا . (٢) وقد جهز السلطان محمد الفاتح جيشاً
سار به إلى البغداد عام (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) فخاف رعيهم وهرب ،
مدخل السلطان البلاد وأسر من أسر ، وأجبر استيفان على دفع الجزية ،
كما أنه عام (٨٨٥ هـ / ١٤٥٤ م) حاصر رودس ثلاثة أشهر ولكنه لم
يوفق لحصانتها . (٣)

أما السلطان بايزيد الثاني فقد ابتدأت في عصره علاقات الدولة
العلية مع أوروبا ، حيث وُعد في عهده أول مفير روسي (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م)
ومعه جملة من الهدايا للسلطان ، وبعد ذلك بأربع سنوات وُعد مفير
آخر حمل على امتيازات للتجار الروس داخل الدولة العثمانية ، وابتدأت
في عهده الاتصالات مع مملكة بولونيا ، والبابا اكنندر السادس ، وملك
نابولي ، وجمهورية فلورنسا ، وقد عني بايزيد بالإنشاء والتعمير ،
حيث أنشأ المباني العامة الخفية ، ومد شبكة الطرق ، والجور في طول

(١) الدوقلي ، الدولة العثمانية والمعالة الشرقية ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) موفق المعرجه ، صوة الرجل المرفيخ ، ص ٤٠ .

(٣) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

الدولة وعرضها مستعينة بالمهره من الصناع اليونانيين والبهار ، وقد يمرت هذه الشبكة من الطرق الإتصال بين أنحاء الدولة ، ومن آثاره العمرانية المسجد الذي يحمل اسمه والذي شيده تجاه الرابا القديمة في استانبول ، ويمتاز بالفخامة ، وبزخرفته على الطريقة الفارسية ، حيث تحيط به من الجهات الأربعة عقود متنوعة من الرخام الأبيض والأسود ، قائمة على أعمدة من الزبرجد والعمرم الأخضر ، وتعلوها سقائف مقببة فخمة في وسط المحن وترتفع على عدد من الأعمدة ، وللمسجد أربع عشرة أبواب خارجية على الطريقة الفارسية وبه عدد من المآذن .^(١)

وسارت مسيرة سلاطين آل عثمان في التقدم في البلقان بهسندف نشر الإسلام ، ولم يكن هدفهم التسلط والظفران ومن هو "الاسلامي" السلطان سليمان القانوني ، فقد أتاح له الأسطول القوي الذي جرى تشييده خلال ربع قرن ، أتاج لسليمان سلاحاً جديداً يمكنه من التصدي لأعدائه برراً وبحراً ، بالإضافة إلى أن ضم السلطان سليم للبلاد العربية في المشرق وفرت لسليمان مصادر دخل وفيرة وهبة كبيرة في العالم الإسلامي بحيث استطاع أن يعل بدولته إلى قمة الإزدهار والعظمة ، مما جعل الأوروبيين يخلعون عليه لقب العظيم ، حيث ابتدأ حكمه بإقامة العدالة وذلك بالتوسع في تنظيم المحاكم ، وفرض على رجال البوليس والمفتشين التأكد من إطاعة أحكام المحاكم وقوانينها ، وإعادة تنظيم الإدارة ، وقد شهدت فترة حكمه الطويلة إمدار القوانين ، التي حددت كيان الحكومة وحقوق وواجبات كل أعفاء الطبقة الحاكمة والرعابا ، وهذا هو السبب الذي

(١) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) برنارد لويس ، استانبول وحضارة الخلافة ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) أحمد دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(١) من أجله أطلق عليه لقب القانوني .

وقد كرس السلطان سليمان معظم جهده للقيام بحملة من الحروب من أجل التوسع في نشر الإسلام في عام (٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م) تمكن من فتح بودا العاصمة المجرية ، وعلى صلاة الجمعة في إحدى كنائسها التي تحولت إلى مسجد ، كما ألحقت هنغاريا بالدولة العثمانية بعد الانتصار الذي حققه السلطان في معركة موهاكس عام (٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م) ، وعلمد إنتفاضة مع البندقية ، كما تمكن من الإستيلاء على جزيرة رودس أمام إنتفاضة مع البندقية ، حيث كان قراصنتها يهاجمون السفن الإسلامية التجارية ، ومن الحجاج المتجهين للأماكن المقدسة ، وباستيلائه عليها أمكن تأمين تحركاته وأملكه في شرقي البحر المتوسط .^(٤)

وفي عهده تمكن خير الدين بربروسا رئيس البحرية من الإستيلاء على عدة جزر واقعة على حدود إيطاليا ، ثم سار السلطان ومعه ابنه مصطفى وسليم إلى مدينة وان واستولى عليها سنة (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) وبعد ذلك عاد إلى إسطنبول .^(٥)

ومن أروع آثاره المعمارية جامع السليمانية الذي أنشأه في إحدى أحمل مناطق اسطنبول ، وقد وضع الأساس لهذا الجامع في عام

Halil Inalick, Op, Cit., P, 35. (١)

Ibid. P, 36 . (٢)

محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٦ ، ٢٠٢ . (٣)

Halil Inalick, Op, Cit., P, 36. (٤)

يوسف آصاف ، سلاطين آل عثمان - ٢ - ، ص ٨٧ - ٨٨ . (٥)

(٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م) حيث شرع في إنشائه المعماري الكبير سنان باشا .
وبذل فيه قمارى جهده بعد أن تعهد للسلطان بإتمام الجامع في مسدة
قصيرة لا تتجاوز الشهرين ، وحتى يعمل على سرعة الإنجاز فقد قام بتوزيع
الأعمال ، فمن العمال من يقوم بالبناء والتشييد ، والبعض الآخر يقوم
بالأعمال الفنية والزخرفية الخاصة بالمسجد ، ومن أبرز أجزاء المسجد
المناورات حيث يوجد به أربع منارات بنيت مشاعة لعظمته تتقسم
المناورات إلى قسمين منارتا الجامع ومنارتا الحرم ، كذلك هناك فناء
الداخلي الواقع الذي يحيط به الرواق ذو الشمان والعشرين قبة وتستلكر
أقواس القبة على أربعة وعشرين عموداً ، ويوسط الفناء الداخلي مجمع
حجري لتقسيم المياه ، وإلى جانب الفناء الداخلي هناك فناء خارجي
الذي يفتح على إحدى عشر باباً ويجعل كل باب إسماعياً خاصاً به مثل باب
المرعي ، وباب القصر القديم ، وباب المكتب ، وباب الحق ، وباب
كبير الحكماء ، وباب العمارة ، وباب القبة ، وباب الأغا ، وباب الحرم ، والفناء
الداخلي ثلاثة أبواب ، أحدها رئيسي والإثنان جانبيين ، أما الدخول إلى
داخل الجامع فبواسطة ثلاثة أبواب ، وهناك باسان آخران أحدهما على
يمين المحراب والآخر يساره وهذا يستخدم للمعود إلى مقصورة السلطان والآخر
لخروج الإمام ، ونحتت هذه الأبواب غاية في الجمال ، وقد كتب على
الأبواب والتواخذ آيات وأحاديث ، وبهاء المسجد عن طريق مائة وثمان
وثلاثون نافذة ، أما القبة الرئيسية للجامع فتشند على أربعة أعمدة
كبيرة وتسمى أرجل الفيل أما أقواس القبة فهي متكئة على أربعة
أعمدة وقد بني المحراب والمنبر من المرمر ، أما القسم الواقع إلى
يمين المسجد فيستخدم كمكتبة نقلت إليها الكتب من المكتبة العامة .
(١) سليمان ملا إبراهيم أغلو ، جامع سليمانية إنشائه وخمائه ، ص ٢٣٠١٢ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٤٢ .

(أنظر الشكل ص ٥٩) •

ويشجع إهتمام السلطان سليمان بنشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا، عندما شرع في بناء إثنين وثمانين جامعاً كبيراً، وخمسين مسجداً صغيراً، وثلثين مدرسة، وسبعة معاهد لتحفيظ القرآن الكريم وسبعة جسور وثلثين موقراً، وثمانية خانات، وخمسة متاحف، وثلاثة وثلاثين حماماً موزعة في جميع أنحاء مملكته .^(١)

لم يقتصر الأمر على ما قام به السلاطين من العمل على نشر الإسلام عن طريق الفتوحات، وماشيئوه من المساجد والمعاهد الدينية في البلقان، بل كان للجيش الإنكشاري - الذي اعتمدت عليه الدولة العثمانية - دور في نشر الإسلام في تلك الأقطار، فقد شهدت العقود الأولى للدولة العثمانية دخول أعداد كبيرة من البيزنطيين والأرناؤوط والسلاف في الإسلام، وقد حرص العثمانيون على معاملة هؤلاء المسلمين الجدد معاملة حسنة وفتحوا المجال أمامهم لمشاركتهم أعباء الجهاد في سبيل الله، والعمل على نشر الإسلام، وإدارة الدولة دون أي قيود، ولم يكن - إنشائهم العرقي أو القومي السابق أي تأثير يمنع ارتقاؤهم في مناصب الدولة العسكرية، حيث كان الهدف من إنشاء هذا الجيش الإسلامي، مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين وفتح المزيد من أراضيتهم بهدف نشر الإسلام فيها والاستفادة من البيزنطيين والأجناس الأخرى التي دخلت في الإسلام، فسر نشره بعد أن يكونوا قد تلقوا تربية إسلامية وجهادية، ورغبت في التوجه بمبادئ الإسلام سلوكاً وجهاداً^(٢).

(١) بروكلمان، تاريخ الأتراك العثمانيين وحقارتهم، ج ٢، ص ٧٢ •

(٢) زبادة أبو غنيم، جوانب مفيدة في تاريخ العثمانيين الأتراك،

ص ٦٠، ١٥٤ - ١٥٥ •



صورة لجامع الطيعانية - باطنبول .

كما أنه مما ساعد على إزدهار انتشار الإسلام في تلك المناطق من أوروبا ، هي السماحة الدينية للإسلام ومعتنقيه من العثمانيين الذين ساروا على سيرة من سبقهم من الفاتحين المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية هذه السماحة مهدت لدخول تلك الشعوب في الإسلام .^(١)

هذا ونلاحظ أن العثمانيين ساروا في نشرهم للإسلام بين تلك الشعوب المسيحية على مانت طيبة الآية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين قد تسين الرشد من الغي ﴾ (سورة البقرة : آية ٢٥٥) .

فالعثمانيون لم يكرهوا أحداً من تلك الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لهم الحرية الدينية فمن أراد البقاء على دينه لم يصبه أذى ، ونتيجة لهذه السماحة ، فقد دخلت أنواع كثيرة منهم في الإسلام ، وقد سارع الكثير من الإغريق والذين أصبحوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية سارعون في الدخول إلى الإسلام واعتبروا العثمانيين منقذين لهم مما كانوا يلاقونه من الإضطهاد البيزنطي الذي كان واقعاً عليهم .^(٢)

إن الدولة العثمانية هي أول دولة في العصر الحديث تأخذ بهذا المبدأ - وهو كفالة الحرية الدينية لمعتنقيها - باعتباره الدعامة الأساسية للقيام الدولة ، وهذا جعل كل من المسلم والمسيحي يعيشان

(١) عبدالله عثمان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ - ٢٢ .

(٢) توماس وأورنولد ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر المبادئ الإسلامية ، مترجم ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ؛ مصطفى حلمي ، الأسرار الخفية ، ص ٧٠ .

في وشام في ظل الحكم الإسلامي^(١) مما ساهم بطريقة فعالة في دخول الكثير من المسيحيين في الدين الإسلامي .

ولو قارنا بين هذا التسامح الديني وما لحق بالمسلمين من الإضطهاد الديني ومحاكم التفتيش التي دارت رحاها ضد مسلمي الأندلس ولم تنته إلا باخراجهم من البلاد التي عمروها قروناً طويلة بسقوط آخرهم قتل لهم في الأندلس وهي مدينة غرناطة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) حيث اضطر المسلمون بعد ذلك إلى الخروج من الأندلس ، نظراً لما لحق بهم من الإضطهاد والتعذيب على أيدي مسيحي اسبانيا ، ولم يكتفوا بذلك بل أن المسيحيين أرفعوا من بقي من المسلمين على التخلي عن دينهم وإسلامه ، ومن لم يرض أخبر على ترك البلاد واتجه إلى البلاد الإسلامية^(٢).

لم يكن الأوروبيون أقل تعصباً من مسيحي اسبانيا ، حيث صبرا جام حقدهم الأعمى على المسلمين في المشرق الإسلامي ، في حملاتهم الطليبية المدمرة ضد الإسلام والمسلمين ، فعندما استولوا على بيست المقدس قاموا بذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى سالت دماء المسلمين الشهداء حسب ماترويه المصادر التاريخية^(٣).

وقد فعت بهذه المقارنة لكي أوضح ماتمتع به المسلمون من سماحة ولين جانب لرعاياهم من الشعوب المسيحية التي دخلت تحت سلطانهم ، وعدم إكراههم أو اضطهادهم ، مما أدى بالتالي إلى إسلام

(١) أحمد مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٢ .

(٢) عبدالفتاح هاشور ، الحركة الطليبية ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(٣) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

الكثير منهم ودخلهم في الإسلام ، في مقابل ما قام به مسيحي آسيا
وأوروبا ، من التعذيب والتنكيل بالمسلمين ، لحقدهم الذين علـس
الإسلام والمسلمين .

أما عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوروبية فقد كان الوضع السياسي في البلقان ، مرتبطاً مع الوضع الجغرافي ، فإن الجبال فسي البلقان لم تكن عائقاً أمام التقدم العثماني ، ومرور الجيش ، كما أن وجود الأنهار ساعد في الوصول إلى وادي الدانوب ، مما سهل على العثمانيين بعد ذلك الوصول إلى بلغاريا ، ووسط أوروبا ، حيث تحركوا بعد ذلك بسهولة إلى البحر الأسود ، ومولدافيا ، وولاشيا ، كما أن الدفاع من تلك الأراضي يحتاج إلى الوحدة السياسية ، والعسكرية ولم يتوفر ذلك للبلقان في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث كان النزاع والتنافس بين أمراء البلقان على أشده (١) ومن الطبيعي جداً أن يتجه العثمانيون نحو شبه جزيرة البلقان ، في عهد مراد الأول حيث كان عدد من سفار الحكام - لايكاديس - يتنازعون السلطان ، ويدني بعضهم بعضاً ، في حروب متواصلة ، فسار مراد إليهم وشن هجوماً ساحقاً فشقوا واحداً إثر الآخر ، إلى قبضة الجيش العثماني ففي عام (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) فقد البيزنطيون أدرنة التي أصبحت فيما بعد عاصمة للعثمانيين حتى سقوط القسطنطينية ، كما أن اختلاف عقابدة البلقان ، وتفرق حكامهم ساعد في تغلب العثمانيين عليهم حيث استولوا على كل من صوفيا ، ونيس عام (٧٨٧ - ٧٨٨ هـ / ١٣٨٥ - ١٣٨٦ م) وأكمل بعد ذلك غير الدين فتح مقدونيا ، من غاليبولي واستولوا على سالونيك (٢) وقد التفت العثمانيون في عام (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) بالقوات الصربية ،

(١) Norman Itzkowitz. The Ottoman Empire, P, 13.

(٢) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

توميدها جيوش البشناق والمجر والبلغار والألبان ، وكان السلطان مراد على رأس تلك الجيوش العثمانية ، والتقى بالنصارى في معركة قوصو ، حيث استشهد السلطان العثماني وأكمل ابنه بايزيد المعركة وانتصر وأسر ملك العرب ، وفي عام (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م) فقبس البيرنطيون آخر ممتلكاتهم في آسيا الصغرى مدينة الأشهر .^(١)

إن العثمانيين عندما بدأوا زحفهم نحو البلقان كانوا يحاربون أمماً أخرى ، من موقع إستراتيجي ممتاز ، لذلك حققوا تلك الإنتصارات ، وأن هذه الأمم لم تتمكن من إعداد قوة تستطيع عن طريقها الوقوف أمام قوة العثمانيين المتحتمين العزودين بأفضل آلات الحرب ، أفد إلى ذلك ماكان بين الدول الأوروبية من العداوة الشديدة ، ولم تستطع دول البلقان وأوروبا - ذات التكوين الضعيف - الوقوف أمام القوة العثمانية ، وبالتالي انتصر العثمانيون على أرض المعركة ، ولم تتمكن أوروبا من تجنيد أربعين ألفاً لمحاربة القوة العثمانية ، وأصبح الجيش العثماني الإنكشاري أقوى الحنود المعلقة في أوروبا .^(٢)

أما الوضع الإقتصادي والإجتماعي لرمابا البلقان قبل الفتح العثماني لها ، فقد كان مضطرباً ، حيث كان السكان يعيشون حياة إجتماعية سيئة للغاية ، فقد كان الفلاح مظلماً يكن تحت الضرائب الثقيلة والأعباء الإقتصادية المجحفة ، التي كان ملزماً بها من قبل البيرنطيين ، دون مراعاة لحالته الإجتماعية والإقتصادية ، لذلك فلم

(١) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٢٦ - ٢٧ .
Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101.

(٢) Norman Itzkowitz, Op, Cit., PP, 16 - 17 .

يكن هذا الفلاح يكن أي حب لطاشقة الأشراف والأعيان ، فهم الجلادون في نظره ، بكرهونه على دفع الضرائب الباهظة للدولة ، دون شفقة ولا رحمة أو تقدير للحالة المادية والمعيشية السيئة التي يحياها ، وإذا لم يوجد ما عليه من التزامات عمول بعنتهن القسوة والعنف ، وطرد من أرضه ، ومودر ما يملك^(١) لذلك فقد رجب هؤلاء الفلاحون بالنظام العثماني وانضمت شعوب البلقان تحت لواء الحكم العثماني ، ورفرف العدل فوق ربوعها ، وقد تمتع الرعايا النمساوي في البلقان بقدر واسع من الحرية الدينية ، وسمح لهم بالتحاكم بشريعتهم ، وانتعشت أحوالهم في ظل الحكم الجديد ودخل الملايين منهم دين الإسلام ، رغبة وطواعية ، وفطنت الأقاليم التي وقعت تحت الحكم العثماني المسلم الإدارة الجديدة على الأوضاع التي كانت تعاني منها في ظل الإقطاع أو البيرنطيين أو البنادقة ومنذ البداية رجب العثمانيون بكل من يعتنق الإسلام ، ويلتحق من ثم بالجيش أو البلاط ، منحوه حق المواطنة الكاملة ، وكان الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي منحه العثمانيون لرعاياهم البلقانيين مفرحاً حيث أقبل الكثير منهم على اعتناق الإسلام وفتحت أمامهم سبل الترقى إلى مناصب القيادة وتبوأ أرفع العراتب فالمسلمون فقط الذين أمكنهم الإنتساب إلى سلك الجيش والخدمة في إدارات الدولة ، وكانت تدار في عهد السلطان سليمان القانوني أرفع مكاتب الدولة من قبل المدراء ذوي الأهل البلقاني .^(٢)

هذا وقد شملت الحكومة العثمانية أهل البلقان الأمن على

(١) هيربرت فشر ، أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية

حتى الثورة الفرنسية ، ص ٣٧٤ .

(٢) على حون ، العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ .

الروح والممتلكات ، وصحى* العثمانيين لتلك البلاد يعني تحسن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، وخاصة من ناحية تحسين الطرق ومدها ، حيث امتدت الطرق التجارية البرية والنهرية من البلقان إلى اسطنبول ، وفي نفس الوقت ألغى استيلاء الإقطاعيين على مباحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، وأعيد تقسيم الأراضي وتوزيعها على الفلاحين .^(١)

أما من الناحية الدينية ، فقد كان الصراع على أشده بين الكنيسة الشرقية والغربية ، كل منهما تعمل جاهدة من أجل إحكام سيطرتها على الكنيسة الإغريقية واللاتينية ، ففي العمور القسطنطينية كان الفرق واضحاً بين الشرق والغرب ، ففي الشرق أسلمت الكنيسة زمامها للباطرة الذين ازداد تدخلهم في شؤون الكنيسة فيما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين وسياساتها الداخلية ، فكان الإمبراطور يجمع بين السلطتين السياسية والدينية ، أما في الغرب فإن الوضع كان مختلفاً عن ذلك كثيراً ، لأن الإمبراطورية الغربية أصبحت بعد تقسيم العالم الروماني ضعيفة لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الكنيسة والدولة جميعاً كما حدث في القسطنطينية ، ولقد استمر هذا الصراع الكنسي بين الكنيستين كل واحدة تحاول فرض سيطرتها على الأخرى ، وحيازة زعامة العالم المسيحي ، وهذا العداء تسبب في قسوم العثمانيين إلى البلقان والسيطرة عليها ، أدت إلى ذلك العداء والخسومة بين كل من فرنسوا الأول ، وشارل الخامس فقد أدى ذلك إلى تثبيت مركز العثمانيين وتوسعهم وتقدم فتوحاتهم نحو أوروبا ، وفي ظل الأوضاع الجديدة والحكم العثماني للبلقان ، تمكن^(٢)

Raphaela Lewis. Everyday life in Ottoman Turkey. (١)

P, 180. سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العمور القسطنطينية ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) هيربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوروبي الحديث ، ص ٢٧٢ .

الرمایا النصارى من الإنتقال بسرعة وسهولة ويسر إلى مف الفقة الحاكمة ، أما الذين يرغبون في الإحتفاظ بعقيدتهم فيبقون خاضعين للتنظيمات المذهبية النصارانية السائدة لدى الشعوب العثمانية غير المعلمة .^(١)

وقسمت الطوائف وفقاً للتنظيمات العثمانية إلى خمس طوائف ، أو جاليات دينية ، على أساس الملة ، وأطلق عليها (ملة) وتمتعست بالحقوق المدنية والدينية الكاملة ، وبخاصة اليونان ، وهذه الطوائف هي : الأرثوذكس ، الأرمن ، الأفريقيون ، الرومان ، الكاثوليك ، والبروتستانت ، واليهود ، وخضعت كل مجموعة لإشراف وتوجيهات رومائها الدينيين ، حيث كانت غالبيتهم الساحقة تعتنق الأرثوذكسية ، ورئيسهم الديني والمدني مقره القسطنطينية ، كذلك مركز اليونان في القسطنطينية وللبلغار مزاريتهم في (أوهريد)^{*} أما سكان رومانيا فلهم مؤسسة قومية مشابهة ، أما مركز الرئيس الديني أو البطريرك الخاص بالصرب في مدينة (بيج) بالقرب من جنوب غرب مقدونيا اليوغسلافية .^(٢)

مما سبق تجدر الإشارة إلى أنه مما دفع بالعثمانيين إلى الإلتجاء بفتوحاتهم نحو أوروبا ، إنما هو قوة الإيمان والعمل على نشر الإسلام ومامتعوا به من القوة وحيارة الأسلحة والعتاد ، وعزيمة الرجال ، ومهما حاول بعض المؤرخين الأوروبيين من إرجاع إنتصاراتهم في أوروبا

(١) على حون . العثمانيون والبلغان ، ص ١٢٨ .
 (٢) أوهريد : مدينة يوغسلافية تقع جنوبى جمهورية صربيا . (على حون ، العثمانيون والبلغان ، ص ١٢٩) .
 (٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

إلى تصدع البنيان السياسي وتفككه واشهيار الناحية الاجتماعية الاقتصادية والاقتصادية لشعوب البلقان ، إضافة إلى الخلافات الدينية والمذهبية مهما حاول أولئك المعمرخون أمثال رينتون ، وبروكلمان وفشـــــر فان هذا لا يعمد أمام الحقيقة في أن سيطرة العثمانيين على تلك المناطق أدت إلى انتعاش الحالة الاقتصادية ، والاجتماعية وإقـــرار الأمن والطمأنينة على التوتر الديني ، بما كلفه الإسلام من الحريسة الدينية ، لذلك فضل أهالي البلقان الحكم العثماني على حكــــم البيزنطيين ، لما لمسه من حسن المعاملة والاستقرار والطمأنينة .

وحقيقة الأمر أن اتجاه الدولة العثمانية نحو أوروبا لم يكن يهدف الأضلاع أو استغلال الضعف السياسي والتفكك القائم فيها انذاك ولكن الهدف الحقيقي هو نشر الإسلام ، ومقاومة كل من يقف في طريق ذلك وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يتقدمون ، ويتتصـــــرون، ويحققون ماوصلوا اليه من فتوحات عظيمة ، وصلت إلى فيينا في عهد السلطان القانوني . والقائلين بأن انتعاش العثمانيين يرجع إلى الضعف السياسي للأقاليم الأوروبية في شبه جزيرة البلقان ، إنــــمــــا يقدمون بذلك إيجابا التبريرات الواهية ليقللوا من عظمة التتقدم الإسلامي في بلادهم .

رأينا في المخطات السابقة الوضع في المناطق الأوربية،
وستحدث هنا عن النظم التي قامت بها الدولة العثمانية في تلك
المناطق ، فلقد اشتهر الأتراك بنظامهم الإداري الجيد ، الذي ارتكز
أساساً على العنصر التركي ، ولكن عندما تحولت الدولة إلى الإسلام
تكونت طبقة حاكمة جديدة ، ليس على أساس رابطة الدم فقط ، بل على
أساس رابطة العقيدة ، التي هي أقوى الروابط ، وقد أصبحت هذه
الطبقة الجديدة في خدمة السلطان ، ومع مرور الأيام وكثرة الحروب
عظم شأنها ، وإن غير الأتراك كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل تفوقاً
من الأتراك ، وسما أنفسهم بالعثمانيين إحتراماً لسلالة عثمان،
وعلى رأس هذه الطبقة السلطان العثماني الذي كان يعمل من أجل المصلحة
(١)
العامة .

في عهد كل من عثمان وأورخان ومراد كان الحاكم يلقب
(به) ، أما في عهد السلطان بايزيد فقد تغير اللقب إلى سلطان
وخان ، وكان السلطان يهتم بالعبادات التي تقربه من شعبه ، ولكن بعد
اتساع الدولة أصبح السلطان لا يرى إلا شادراً .
(٢)

أما مجلس الوزراء فقد كان يتكون من الوزير الأول ، ونائبي
استنبول ، ونائب الجيش ، ومدير الخزانة ، وغيرهم ، وكان هذا
المجلس يقدم النصائح للسلطان .
(٣)

أما بالنسبة للإدارة العثمانية فكانت الفروع المتدنية

Robinson - Stewart, Op, Cit., PP, 104 - 106. (١)

Ibid. PP, 101 - 108 . (٢)

Ibid. PP, 108 - 109 . (٣)

والقضاية والعسكرية متداخلة بعضها في بعض ، وكانت الدولة مقسمة إلى ولايات ومناجق ، وكان رؤساء الولايات والسناجق هم من الضباط العسكريين ، كذلك من يحيط بهم الحاشية ، وفي حالة الحرب كانوا يفلدون الجيش ليساندوا رؤساء الإقطاع ، وعلى درجة أعلى من بهاتوات الأناطول ، وفي حالة سحب الثقة من قادة الأناطول وروملي ، كان هناك إثنان مهمتهما قيادة الجيش يسموا (بيلريك)^(*) .

ويتحدث البعض عن النظم العثمانية التي سادت في الإقطار الأوروبية ، نظام غريبة الغلمان (ديفشريم) ويعني أخذ الأطفال وجمعهم من الأقطار المحيطة بالدولة العثمانية ، وتطع أي صلة بينهم وبين ذويهم وإدخالهم في الإسلام ، لذلك لم يكن لدى هؤلاء الأطفال أي عاطفة أبوية أو وطنية ، والشيء الذي كانوا يتعلمونه هو الطاعة العمياء لسيدهم السلطان .^(١)

ليس هناك في الشريعة الإسلامية ما يعرف بهذه الضريبة ، غريبة الغلمان ، ولا إكراه في إدخال غير المسلم في الدين الإسلامي . قال تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢) .

أما كلمة ديفشريم فهي كلمة تركية تعني الإقطاع أو القوط وتطلق على العوالم حديثي الولادة ، والذين تجهز بهم أمهاتهم

(*) بيلريك: أي أمير الأمراء أو سيد السادات، وهو لقب إداري وعسكري، ورثة العثمانيون عن الدولة السلجوقية والإمارة من الوظائف المهمة في التشكيلات الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية وقد استخدم هذا اللقب في عهد السلطان مراد الأول (١٢٦٠-١٢٨٩هـ) (محمد فريد بك، الدولة العلية ، ص ١١٢) .

(١) Robinson, Op, Cit., PP, 107 - 108 .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

فيخرجون أموالاً ، أو على الذين تلدهم أمهاتهم سرّاً ثم يقدفون نسي الطرقات ، أو على أسواق العلاج* ، ثم أطلقت بعد ذلك على كل طفل لقبه أو مشرد ، لأي سبب من الأسباب ، وحقيقة هذا النظام نظام (الديشريس) ما هو سوى حرية مزعومة دست على السلطان أورخان ومراد ، والمقت بعد ذلك بالعثمانيين ، حيث لم يكن هذا النظام لإرغام التنصاري على الإسلام وأخذهم بالقوة وإنما كان نظاماً إنسانياً ، أخذت الدولة على عاتقها بموجبه مسئولية رعاية اللقطاء* والمشردين لأن الإسلام دين الرأفة والرحمة وهو الذي يدين به العثمانيون ويحترمون كما أن الإسلام يرفض رفضاً باتاً الطريقة الغير إنسانية في انتزاع الأطفال من أحضان أمهاتهم وآبائهم ، وتطع أي ملة لهم بذويهم كما أنه ليس في الشريعة الإسلامية هزيمة تعرف بذلك .^(١)

لو صح عن هؤلاء الأطفال الذين اختطفوا فيما بعد في الجيش أنهم لم تكن لديهم الحماية الوطنية لو صح ذلك عنهم ، لما كان ماكان من تحقيق الإنتصارات على الأوربيين في جميع حروبهم إبان قوة الدولة ، فليس ذلك الامحق اخترا* ، لنيل من الدولة العثمانية ، التي حملت الإسلام خلفاً نحو أوربا .

وهناك طبقة نشأت في وقت متأخر في عهد السلطان محمد الثاني وهي طبقة العلماء* ، وقد لعبت هذه الطبقة دوراً كبيراً في الدولة الإسلامية^(٢) .

(١) زياد أبو غنيمة ، جوانب مضيئة في تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) Robinson, Op, Cit, P, 104 .

وحقيقة الأمر أن طبقة العلماء نشأت منذ تأسيس الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان ، حيث اعتمدت عليهم الدولة فسي تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية التي اتخذتها الدولة نبراساً ومنهجاً (١) حياة .

كانت مهمة العلماء في البداية محصورة كقضاة في الجيش ، ولكن في القرن السابع الهجري الخامس عشر الميلادي ، لم يعد هناك منصب مستقل للمفتي ، بل تحولت مهامه إلى قاضي اسطنبول أو أي شخص آخر متعلم خاضع لسلطة الدولة . (٢)

إن مهمة القضاة لم تكن محصورة فقط في الجيش ، بل فسي جميع شؤون الدولة الدينية ، والمدنية ، كما أن القضاة لم يعط أي شخص كما يذكر رينسون ، فإذا صح ذلك فاليهودي ، والمسيحي خاضعان لسلطة الدولة فهل يسوغ لهما الحق في أخذ منصب القضاة ، إن هذا المنصب لم يكن يعطى لأي شخص بل لمعلم الشريعة العالم الورع التقي العالم بأمور الشريعة .

كما اعتمدت الدولة في الأمور الدينية على العلماء والقضاة فقد اعتمدت في أمور الحرب على الجيش الإنكشاري ، الذي يمثل القسوة الفاربة للدولة ، والذي حقق الكثير من الانتصارات ، بالإضافة لهذا الجيش فقد كانت هناك قوة منظمة أخرى لاتقل أهمية عنه ، وهي قوة أمراء

(١) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٦٠ .
Robinson, Op, Cit., P, 104.

(٢)

الإقطاع الذين كانوا يزودون الدولة بالجنود والعشاة والفرسان لينضموا إلى معسكرات الجيش ، ووصل تعداد الجيش إلى أربعة عشر ألف فارس ، وهي قوة كبيرة لم تستطيع أوروبا إعادتها ، وكان أصحاب الإقطاع يحملون على إقطاعات داخمة ، والبعض الآخر على إقطاعات موافقة ، تعود للدولة (١) بعد وفاة الإقطاعي .

إن البلاد المسيحية في ظل الدولة العثمانية ، قد ترك لأهلها الحرية الدينية ، وحرية الحكم الداخلي ، بشرطين هما : أن يدفعوا الحزبة المطلوبة ، وأن يحترموا قوانين الدولة ، مع احترامهم لسيادة المسلمين وألا يظهروا أي احتقار أو عداوة (٢) كما أن الحكومة قد ضمنت لهم أمن الأحياء ، وأمن الممتلكات وحقوقهم الدينية . وإن مجيء الدولة العثمانية إلى شرق أوروبا كان يعني تحسن الأوضاع المعيشية وامتداد الطرق التجارية بينها وبين العاصمة اسطنبول (٣) .

إن الدولة العثمانية لم تحاول صيغة الشعوب التي دانت لحكمها بالصيغة العثمانية ، أو ربطها بالحضارة الإسلامية ، وقد اتسمت سياسة الدولة بالصلبية في هذه الناحية وذلك لسببين : سطحية الحكم العثماني بحيث مارست الدولة نفوذها في نطاق ضيق ، والإستعلاء الذي كان سمة من السمات البارزة في الحكم العثماني ، واشتراك الشعب في هذه السمة فكان الشعب والسلاطين على حد سواء (٤) .

Robinson, Op, Cit., PP, 104 - 120. (١)

Rophaela - Lewis . Everyday Life In Ottoman Turkey. (٢)
P. 180.

Ibid . PP, 108 - 113. (٣)

(٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٦٧ .

أما وضع رعايا دول جنوب شرق أوروبا تحت الحكم العثماني من حيث الأنظمة ، فكان هناك نظام (الملل) ، ويقوم ذلك النظام على تصنيف رعايا الدولة غير المسلمين تصنيفاً على أساس المذهب الديني فلولئك الرعايا ، ويطلق على كل مذهب ملّة ولكل ملّة رئيس ديني ينظر في المسائل الدينية ، وله أتباع من رجال الدين المسيحي ، ولكل ملّة من هذه الملل مدارسها الخاصة ، وأماكن العبادة والأديرة ، كما أنه لا يتدخل أحد في ملتها ، وقد أطلقت لهم الحرية الدينية وحرية التكلم باللغة التي يريدونها ، ولكل ملّة محاكم خاصة ، لا تستعمل فيها إلا لغتها الأصلية ، وهناك محاكم أخرى تستعمل اللغة التركية ، ويمكن رفع القضايا إليها إذا لم يرض المتهمون بأحكام المحاكم الكنسية ، لذلك كان هناك نوعين من الفرائب : الفرائب التي تجيبها الحكومة المركزية ، وتلك التي يأخذها الرومانيون الروحيون .^(١)

ويمثل المسلمون في الدولة العثمانية الأكثرية ، ثم يليهم الروم الأرثوذكس ، وباقى الملل الأخرى كاليهود والأرمن ، وباشا الطوائف المسيحية يعرفوا بالملّة ، ورئيس الملّة ، الديني يعتبر المسؤول الذي يتولى تطبيق الأحوال الشخصية على أفراد طائفته ، ولم تطبق قوانين الزواج والطلاق والإرث والتبني الإسلامية على غير المسلمين ، بل كانت المحاكم المذهبية للنصارى واليهود تعني بهذه الأمور ، وكان نظام الملّة يطبق على الجاليات الأوروبية ، المعقبة في الدولة العثمانية^(٢)

(١) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٢) ماري ملزباترك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٥ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٤) Stanford Shaw, History of the Ottoman Empire, PP, 151 - 152 .

(٥) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٥ .

" وقد بلغ عدد سكان الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حوالي خمسين مليون نسمة ، وهو عدد ضخم في مقابل الدول الأوروبية ، والتي لم تكن تزيد على العشرين مليون في تلك الأونة ، فانحطرتا نفسها لم يكن يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين ^(١) .

يورد صبحي بك معلم قسم الحرية في المدرسة الحرية العثمانية عن عدد سكان السلطنة العثمانية وأديانها فيقول :

ومن الملل غير المسلمة الأروام أتباع الكنيسة الأرثوذكسية وكان عددهم مليونان ، ويدخل في هذا العدد المسيحيون الألبان، والعنصر الروماني ، الذي يدين بالتسعة للدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية ، ومسيحيوا الأناضول ، الذين يتكلمون اللغة التركية ، ومسيحيوا سورية ، واليونان الذين تميزوا عن العناصر السابقة لأنهم سكنوا البلاد اليونانية القديمة والأروام لاختلاطهم الأول بأقوام عربية حتى أنهم أضافوا ^(٢) جنسيتهم اليونانية .

كذلك كان هناك المسيحيون أتباع الكنيسة الأرمنية وبلغ عددهم مليون ، ومن هذا العدد ستون ومائة إلى ثمانين ومائة ألف ، سكنوا الأستانة وسبعمائة ألف سكنوا الولايات الست الحامية على ثلاث ملايين وسبعمائة ألف من المكان أما الباقون فكانوا متفرقين في أنحاء ^(٣) الولايات العثمانية .

(١) محمد كمال الدوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٦٣ .

(٢) حقي العظم ، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ، ص ١٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

أما العنصر السلاني فبلغ عدده في الولايات الثلاث أدرنة،
 ولانليك ومناستر خمسائة ألف بلغاري ومائة ألف صربي ،وماش أكثر هذا
 العدد على الفلاحة أو العمل عند أصحاب المزارع الواسعة من المسلمين،
 واليهود ومل عددهم من ثلاثمائة إلى أربعمائة ألف ، وقطن هؤلاء المدن
 والموانئ التجارية ، مثل اسطنبول ، ولانليك ^(١) ، وإذا أضفنا إلى هؤلاء
 أصحاب المذاهب المختلفة الذين سكنوا سورية مثل المارونيين اليعاقبة ،
 فإن عدد السكان المسيحيين واليهود كان يصل إلى سبعة ملايين ونصف ،
 وبطرح هذا العدد من سبع وعشرين مليون مجموع سكان الدولة العثمانية ،
 فإن المسلمين منهم وصل عددهم إلى تسعة ملايين ونصف (إحصائية عام
 ١٢٩٤ - ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م) ^(٢) .

أما الأجانب فكانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية إما
 تجاراً ، أو راشرين ، في شروط خاصة ولأغراض معينة . ^(٣)

وقد حافظت الدولة على حقوق الأجانب ، وكان للمسلم حقوق
 إعطاء الأمان لمن التجأ إليه من دار الحرب فرداً أو جماعة ، وكان هذا الحق
 للإمام والعلماء فقط ، وكان للأجانب حق التجول في البلاد الإسلامية
 كروار أو السكن إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين ، وكان لكل ملّة
 من هذه الملل سلفة الذكر منظمات خاصة ، مثل المنظمات التعليمية
 والدينية والاجتماعية ، والأمنية ، وكان هناك المستشفيات والمدارس

(١) Stanford Show, History of The Ottoman Empire , PP, 151 - 152 .

(٢) حقي العظم ، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ، ص ٢٠ ، ٢٧ .

(٣) Stanford - Show, Op, Cit., P, 163 .

(١) والغنائق التي استمرت حتى القرن العشرين .

إن وجود مثل هذا النظام داخل إطار الدولة العثمانية
لهو دليل على التسامح الديني وسماحة الإعلام ، وإن وجود مثل هذا النظام
داخل الدولة العثمانية ، أتاح الفرصة للمسيحيين الذين عاشوا داخل
إطار السلطنة للتعرف على محاسن الإسلام وما كلفه هذا الدين القوي
لإنساعه من الحقوق والواجبات ، وقد كان لهذا التسامح أثره العميق
في دخول آلاف المسيحيين في الدين الإسلامي ، والإنقبال المنقطع النقيض
للتمتع بعدالة الإسلام .

إن الدولة العثمانية استوعبت بداخلها كل هذه الملل
والأجناس ، وفي ذلك دلالة واضحة على ما تمتع به المسلمون من السماحة
الدينية ولين الجانب ، مما شجع الكثير من أهالي الشعوب المفتوحة على
الإنخراط في ظل الدولة العثمانية ، والتمتع بالمرابا الرفيعة العالية
التي لم يحظوا بها في ظل أي حكومة نصرانية ، وفي ذلك إشارة قاهرة
على عظمة الإسلام ومعتقديه من العثمانيين .

ومن النظم العثمانية التي كانت في الأقاليم الأوروبية ، نظام
التيمار ، فقد كانت الدولة العثمانية بعد فتح البلقان تترك إدارة

(١) Stanford - Shaw, Op. Cit., P, 163

(٢) التيمار : كلمة فارسية معناها كل ما يعطى للمريض أو الحيوان
أو حتى للزراة والنباشات من موزونه أو عناية ، وأطلق هذا
اللفظ على أراضي الدولة التي كانت تعطى للجنود والفرسان
ليعيشوا منها .

(محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٣٢) .

الأراضي للمزارعين على أن يقيموا بإعداد عدد معروف من الجنود يلحقون بالجيش العثماني ، وكان هؤلاء المزارعون من أسر نبيلة ، أو من الأمراء^(١) المعروفين بشخصيتهم وإستقلالهم .

لقد استطاع العثمانيون التخلص من حكم الأمراء تماماً ، وضموا الأراضي المفتوحة إلى دولتهم ، ومن القيادة المباشرة تولد نظام التيمار في الأراضي المفتوحة ، هذا كان صاحب التيمار مسؤولاً وظيفته تحت مراقبة أمير المنطقة ، وهذا النظام التيماري عمل العثمانيون على إيجاد طبقة موالية للسلطان العثماني ، تساعده وقت الحرب بتأديم الجيش ، وفي السلم بالمحافظة على الحدود .^(٢)

وكان التيمار ينقسم إلى ثلاثة أصنام ، على حسب الضرائب التي كان يجمعها والعمل الذي يقوم به ، وإيراد التيمار لا يزيد عن ١٩٩٩٩ آتجه سنوياً ، وكان ذلك يعطى للفرسان الذين يقومون بمهمة الحرب ، ويتميزون بتلك الأمور أو غيرها وينتجون من ٢٠٠٠٠ إلى ١٩٩٩٩ آتجه سنوياً ، ويطلق عليهم زعامات ، ولهم دور كبير في الحرب ، ولهم مكانة عالية لدى الأشراف والطبقة الأولى ، أما الذين يأخذون ١٠٠٠٠٠ آتجه يطلق عليهم خاص ، هؤلاء لخدمة السلطان ، وحواشي ، ويطلب منهم خدمة الجيش مقابل ذلك الإيراد ، ومن واجب أصحاب التيمار تربية الخيل ، وتجهيز الجيش ، والأكل ولوازم أخرى .^(٣)

ومن النظم العثمانية الأخرى نظام الدewan ، والمـــــــراد

Norman. Op, Cit., PP, 14 - 15 . (١)

Ibid., P, 15. (٢)

Stanford - Show Op, Cit., P, 125 . (٣)

بالديوان هو المكان الذي تحفظ فيه القرارات ، والمجلات الخاصة بالدولة ، وفي القرن السادس عشر كان الديوان يتألف من قسمين رئيسيين :-
 هما مكتب دواشر الديوان الملكي ، ودواشر المالية ، وثلاثة مكاتب لإدارة المركزية . المكتب الأول يعرف باسم مكتب الديوان ، ويهتم بجمع وترتيب المخطوطات وترتيب الملفات والمعاملات المالية التي تحوي المعاهدات والإمتيازات الأجنبية (مثل وزارة العدل في الحكومات الأوروبية) . والمكتبان الآخران للديوان فيهتمان بأمور الموظفين المحليين ، مثل الولاة وأمرأه اللوا ، ويقومان بتسجيل الموضوعات المتعلقة بتخصصات الإقطاعيين . وكان الرئيس الرسمي للديوان يسمى برئيس الكتاب ، وقد تطور هذا المسمى إلى رئيس مكرتاريا في أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي كمؤلف يهتم بالعلاقات الخارجية ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي ، سمى هذا المكتب بوزارة الخارجية ، وقد كانت هناك الكثير من المكاتب الإدارية التي بلغت خمسة وعشرين مكتباً في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وكانت تلك المكاتب تهتم بالموضوعات التي تتعلق بالإيرادات والمصروفات ، الإيرادات التي كانت تجمع من الضرائب والزكاة وضريبة المرور على الجسر ، أما المصارف كانت تعرف للرواتب ومصاريف الدفاع .^(١)

إن الأتراك الذين دخلوا القسطنطينية فاتحين لم يكونوا في يوم من الأيام متوحشين ، بل كانوا ورثة حضارة قديمة ورفيعة وهي حضارة الإسلام العتيقة ، والتي هم أنفسهم أضافوا إليها قدراً غير يسير ، فكان الفن المعماري السلجوقي والعثماني يعتاز بتقليد رفيع ، وقد كان العثمانيون يملكون المهارة والموارد لميانتها وتحسينها ، ولما كان الإسلام يحرم الصور الإنسانية ورسمها في المساجد لذلك ســـــــر العثمانيون فسيفساء آيا صوفيا (الجامع الشهير) الذي غطي بطبقة من الجص الرمادي اللون .^(١)

ومن كان له مثل هذه الأعمال والإنجازات في العديد من المجالات السياسية والحضارية ، فليس صحيحاً ما نسب إليهم وإلى السلطان محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية أنه أباحها لجنده ثلاثة أيام ، فليس هذا من أخلاق المسلمين وطباعهم ومثل ذلك يردفه الإسلام .

هذا ما كانت عليه النظم العثمانية في الولايات الأوروبية ، ونرى في الصفحات القادمة أثر سياسة الدولة العثمانية في تشـــــــير الإسلام .

(١) برنارد لويس ، استنبول ، ص ١٣٥ .

(٢) أحمد رشيد ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وولاتهم مع العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

لقد امتار المسلمون الطاهرون منذ عهد الدولة الإسلامية الأولى عهد الخلفاء الراشدين بالسماحة الدينية ، والحرية الدينية ، والإعتدال في فرض الضرائب ، وحصرها في حدود معينة ، وهذه السماحة والإعتدال مهد للمسلمين سبيلهم إلى تأييد الشعوب المفتوحة لهم . بل تعدى ذلك إلى معاونتهم الفعلية في محاربة الدولة الرومانية الشرقية .

ولقد كان فوز الإسلام في مصر والشام أسرع وأيسر منه في أي بلد آخر ، وذلك أن النصرانية فرقت على أهلها بالسيد والشار ، ثم أن العنف والإرهاب والمصادرة الدينية ، كل هذه الأمور أدت إلى أسوأ الأطوار والإنحلال السياسي والفوضى الإجتماعية ، فكان الإسلام بمعايشه هو الطاهر المرجح ، كما أن غروب العدالة والتعطف التي اقترنت بسياسة المسلمين الأوائل كانت حجة قاشقة على جور تلك الحكومات .^(١)

ولقد مار الأتراك العثمانيون في نشرهم للإسلام بين الشعوب المسيحية على مانت عليه الآية القرآنية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين ﴾^(٢) قد تبين الرشد من الغي ﴿ فهم لم يكرهوا أحداً من الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لمن أراد البقاء على دينه الحرية في ذلك ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة في نشر الإسلام فقد دخلت أفواج عديدة في الإسلام .^(٣)

نلاحظ على الرغم من أن الاغريق كانوا يفوقون الأتراك عدداً

(١) عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ - ٢٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(٣) توماس وأرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٧٠ - ١٧٢ .

في الولايات الأوروبية التابعة للدولة العثمانية ، فقد كانوا يحاربون في الموافقة على تغيير مبادئهم وإشاد سيادة السلطان على أية سيادة مسيحية ، وكان العثمانيون يلقون ترحيباً كبيراً في كثير من الولايات المسيحية ، وكان الإفريق يعدونهم مخلصين لهم من حكم الفرنجة المستبد فقد صير أهل الهندية الشعب في حالة من العبودية يرش لها، لإدخالهم نظام الإنتطاع في اليونان ، وكانوا مكروهين من قبل رعاياهم ، لاختلافهم عنهم في اللغة والجنس والعقيدة ، بالإضافة لسوء المعاملة ، ووجد هؤلاء الرعايا في العثمانيين تخليصاً لهم مما هم فيه ، نظراً لحسن المعاملة التي أبداها العثمانيون لهذه الشعوب في المجر، وترانسلفانيا فقد آثروا الخضوع للعثمانيين على الوقوع في يد أسرة هابسبورج المتعصبة .^(١)

كذلك نلاحظ تطلع أقوام في إيطاليا بشوق عظيم إلى التبرك، لعلهم يحظون كما حظي رعاياهم من قبل بالحرية والتمتع بالذين يشعروا من التمتع بها في ظل أي حكومة مسيحية ، ولقد رأى الأتراك أن أعظم هدية يقدموها لأي فرد هي هدايته إلى الإسلام . لذلك لم يتركوا وسيلة من الوسائل للترغيب في الدخول إلى الإسلام إلا اتبعوها ، يحدثننا هولندي عاش في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي أنه بينما كان يظهر إعجابه بمسجد آيا صوفيا الكبير حاول بعض الأتراك أن يوشعوا على مواطنه الدينية عن طريق إحساسه بالجمال ، فقالوا له : (إن شاء الله لو أصبحت مسلماً لاستطعت أن تأتي إلى هنا كل يوم من أيام حياتك) .^(٢)

(١) أرشولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٨٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

ومما يدل على غيرة العثمانيين وحبهم الروحي الشديد للإسلام تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيون فيها من دخلوا في الإسلام طوعاً من المسلمين الجدد ، ولم يقتصر الدخول في الإسلام على العامة والبسطاء بل تعدى ذلك إلى العلماء والرهبان والقضاة الذين اعتنقوا الدين الإسلامي فكانوا قدوة لغيرهم تدفعهم للدخول في الإسلام .^(١)

وبينما كان في المجتمع المسيحي ما يدعو إلى العدود والنفور، كان في أخلاق الأتراك وحياتهم ما يبعث على التقريب والإجذاب ، وكان للنظام العثماني في العمور الوسط، إذا ما ثورن بانحطاط الكنيسة وتدهورها ما يوتر بطبيعة الحال في العقول التي سمت الأضلاع المنبعثة من الإنسانية ، وبمع الوضائف الكنسية ، وفساد أفراد الكنية وظلمة أشي الكتاب المسيحيين على غيرة العثمانيين وملايكتهم في حياتهم الدينية ، ومظهر الحشمة والتواضع البادي في زيهم وأسلوبهم ، وليس أدل على ذلك من شاء مؤرخ السفارة التي أرسلها الإمبراطور ليوبولد الأول إلى الباب العالي من سنة (١٠٧٦ - ١٠٧٧ هـ) (١٦٦٥ - ١٦٦٦ م) ، وفيها شاء خاصة على تعبد الأتراك وانتظامهم في الصلاة بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : " يجب أن نتكلم من فوضى المسيحيين . إن الأتراك يظهرون كثيراً من الاعتناء والغيرة في أداء شعائرهم الدينية ، أما المسيحيون فلم يظهروا شيئاً من ذلك في دينهم ... بل أكثر من ذلك كله أننا عرفنا بالتجربة العتدين بين المسيحيين ... ذلك الذي لا نراه في أثنائها لاهباً بعيينه لا ترى في أثنائها شخصاً غير متعلق بموضوع

(١) أرنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ص ١٩٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

ملاته ، ولا شخصاً لا يبدو بين يدي خالقه في مظهر الشجيرة الشاهسري
الذي ينتظره من المخلوق " . (١)

إذا ما قارنا بين ما أبداه المسلمون العثمانيون من تسامح
تجاه الشعوب الأوروبية ، وبين ما كان من تعصب المسيحيين تجاه المسلمين
في أثناء حروبهم الصليبية في مصر ، وبلاد الشام ، وشبه جزيرة إيبيريا ،
(الأندلس) . فإن ذلك يعطينا دلالة واضحة على مدى الوحشية والقسوة ،
وإنّ البون شاح بين ما أبداه المسلمون من تسامح وعطف ، وبين ما كان
من الصليبيين من حقد وقسوة برزت من خلال أعمالهم الوحشية تجاه
المسلمين .

لم يكن الأوروبيون في عصر الحروب الصليبية إلا رمزاً للتعصب
والحقد والجفاء فتاريخهم في تلك الحروب وما جرى منهم عند فتح بيت
المقدس من ذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى قامت الخيل
إلى صدورهم في الدماء ، لدليل على الوحشية والبربرية والقسوة كما أطلقنا .
(٢)

إنّ هذه الحروب الصليبية لم تعبر عن نفسها في الشرق الأدنى ،
بل ظهرت جلبة واضحة حيث دارت رحاها في القرن الحادي عشر بين
المسلمين والصليبيين الأسبان في بلاد الأندلس ، لم تنته إلا بعد عدة
أقرون بطرد المسلمين من أسبانيا ، بعد سقوط آخر معقل لهم وهي مدينته .
(٣)

(١) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٩٦ .

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(٣) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٢٩٢ ؛ ل . ج . شني
تاريخ العلم الغربي .

(٤) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٥) نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(١) غرناطة عام (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) وقد نال المسلمون على أيدي الألبان الكثير من العنف والإضطهاد والتنكيل ، بالإضافة لما قامت به محاكم التفتيش من إرغام المسلمين على اعتناق النصرانية أو القتل ، مما دعى بالكثير منهم للهجرة إلى مراکش ، وإنشاء حضارة إسلامية هناك. (٢)

أما الأتراك العثمانيون فإن الذي منعهم من إكراه النصراني الذين تحت أيديهم وسلطانهم على الإسلام هو الدين الإسلامي الذي يمنع الإكراه في الدين ، ويرى من المعاهد بالجزية ، فإن الإسلام وسماحته هو الذي هذب الأتراك ، وحال بينهم وبين طرد المسيحيين من ديارهم ، كما فعل الطليبيون في بلاد الشام ، والأندلس ، ولكن أتباع النصرانية من أقوام أوروبا لم يمنعهم دينهم المزيف ، ولم يمنع البابا إسكندر السادس ، وأساقفة الكنيسة في ألبانيا. والملك فرديناند وإيزابيلا وغيرهم من الملوك المشهورين بالكنيسة من نصب محاكم التفتيش وارتكاب الفظائع في المسلمين ممن بقى على دينه ، إلى أن أجليهم من ذلك القطر الذي استوطنته المسلمون ثمانمائة وعشرين عام ، مع أن الإنجيل غير المحرف لا يجيز شيئاً من هذه الأفعال . (٤)

إن مادفع النصارى على الفتك بالمسلمين ليس الإنجيل —إن الإنجيل كتاب مقدس قبل أن يتعرض للتحريف والتعديل على مათيوى الأندلس ، ولكن الذي دفعهم لما فعلوا الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين .

- (١) أحمد توفيق العدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٢٩٢ ، ل بح شينسي ، تاريخ العالم الغربي ، ص ١٧٤ .
- (٢) شكيب أرسلان ، حاض العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٢٩ .
- (٣) نفس المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٢٩ .
- (٤) أحمد توفيق العدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٢٩٢ .

ولعل أهم عوامل انتصارات المسلمين هو ما فوجئت به الشعوب من ساحاتهم ، حتى أن الملك الفارسي كيروس (Kyros) نفسه قال : " إن هؤلاء المسلمين لا يأتون كغزيرين " فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية ، إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكتبها الأدلة والبراهين القاطعة على تسامح المسلمين وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة ، والتاريخ لا يقدم لنا إلا عدداً قليلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل المسلمون ، وقد أتاح ذلك للحضارة الإسلامية أن تتفاعل وتختلط مع تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببيروتها الزاخر ، والحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها ^(١) .

ومما ساعد على انتشار الإسلام السياسة التي اتبعتها الدولة في تحويل الكثير من الكنائس إلى مساجد ، ومن ذلك ما قام به السلطان محمد الثاني (الفاتح) عندما استولى على القسطنطينية سنة ١٤٥٣م / ٨٥٧ هـ (من تحويله كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد ، وعلى بها صلاة الجمعة ^(٢)) كذلك حولت العديد من الكنائس إلى مساجد ، وللسلطان الفاتح مسأثر كثيرة من مدارس وزوايا وهوامع ^(٣) .

هذا وقد واصل السلاطين العثمانيون سياستهم في إنشاء العديد من المساجد والحوامع ، مما ساعده على انتشار الإسلام وتقدمه في كثير

(١) ريجنريد هونكه ، شمس العرب تنطق على الغرب (أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا) ص ٢٥٧ - ٢٥٨ : Stanford - Shaw , Op, Cit., P, 163 .

(٢) العصامي المكي ، سبط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٦٧ .
(٣) محمد الدموتى ، الدولة العثمانية والممالكة الشرقية ، ص ٤٥ .
(٤) السقاوي ، الفؤاد اللاحق ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .

من دول أوروبا الشرقية ، وقد أوردنا ذلك سابقاً .

كذلك عمل السلطان سليمان القانوني على تطوير قاعدة بناء الجيش الإنكشاري وتوسيعها ، على الأسس التي طبقها سلفه من الخلفاء العثمانيين ، وأظهر كفاءة عالية في حشد كافة القوة على تباينها واختلافها ، وإذا كان خلفاء العثمانيين قد حققوا نجاحاً في دمج الشعوب والأمم التابعة لهم في بوتقة الإسلام ، فإن السلطان سليمان في طبيعتهم حيث يعود الفضل إليه في صهر تلك الأمم في بوتقة الإسلام ووجه جهودها نحو هدف واحد هو رفع راية الإسلام عالية خفاقة وتجاوز حدود الإقليمية (١) والجنسية .

ولم يكن العثمانيون في هذا العضار إلا متبعين لمن سبقهم من العرب قبل قرون عندما حملوا راية الإسلام ، وانطلقوا برسالتهم إلى أرجاء الدنيا ، فعزّزوا الأمم والشعوب بفضايل دينهم ، ونقلوا إليهم الأمانة فصارت تلك الأمم من عرب وعجم ، وترك وفرنس ، وكرد ، وپرسر ، بیخ وسود ، وصفر ، پتندلسون جميعاً لرفع راية الإسلام والدفاع عنه . (٢)

لقد أخذت الدولة العثمانية بعداً الحرية الدينية باعتبارها الدعامة الأساسية لنظام الدولة ، وهذا العبد جعل الشعوب غير مسلمة الخاضعة لسلطة الدولة العثمانية تدبّر لها بالطاعة والولاء ، وتوثر حكم الدولة العثمانية على حكم الشعوب النصرانية .

(١) تاريخ نعميا ، ج ١ ، ص ٢ .

(٢) بسام العسلي ، القانوني القائد ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

لقد حافظ العثمانيون على السياسة الإسلامية الخاصة بالتسامح مع الذميين من أهل الكتاب ، فكانوا يحمون حياتهم وأموالهم وملتتهم ، طالما قبلوا حكم الإسلام ، ودفعوا الجزية ، مقابل الإعفاء من الجندية ، وقد قبل أبناء البلقان الإسلام ، لضمان المزايا التي كفلها لهم الإسلام ولأنهم أبناء أقلية دينية تعرضت للإضطهاد في ظل الحكم المسيحي ، ووجدت في الحكم العثماني خلاصاً لها من الظلم .^(١)

هذه هي سياسة الدولة العثمانية ، في نشرها للدين الإسلامي بين شعوب البلدان المفتوحة ، فقد استخدمت معظم الطرق التي تفتح المجال أمام الشعوب للدخول في الإسلام ، فقد تمتعت الدولة العثمانية بسياسة التسامح الديني التي شملت جميع تلك الشعوب ، مما أدى بالتالي لاعتناق الآلاف للإسلام ، وإفساح المجال أمامهم للتخلص من نير السدوم المسيحية المسيطرة عليهم وإن نظام الملل الذي سمحت به الدولة لكبر دليل على ذلك التسامح الذي أبدته الدولة تجاه رعاياها .

فنلاحظ أن المجتمع الإنساني في هذه الدولة ضم العديد من المسلمين والأقربان من أديان ولغات بشرية مختلفة كالمسلمين والمسيحيين والأورام ، والأكراد ، والأرمن والعرب ، والشماري واليهود جميع بينهم سماحة الإسلام ، وليس كما حاول بروكلمان أن يقرره من أن الذي يربطهم جميعاً هو رباط غير طبيعي ، رباط السيف الذي كان يملطه على أعناقهم الخلفاء العثمانيون هكذا يفسر هذا المورخ الألماني وجود هذه الملل^(٢)

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول لتاريخ العثماني ، ص ٤٢ .

(٢) بروكلمان . تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١٣٥ .

المختلفة داخل الدولة العثمانية ، يبطل الزعم القائل بأن الرباط
الذى يربطهم جميعاً هو رباط السيف والنار ، إذ لو كان ذلك صحيحاً لما
كانت هذه العمل داخل اطار الدولة العثمانية وُقِرَغموا على الدخول
تسراً في الإسلام ، كما فعل الطليبيون في بلاد الأندلس ، ولكن إن دل ذلك
على شيء فإنما يدل على مدى سماحة الدولة العثمانية ، وعملها على نشر
الإسلام باتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك ولكن الذي دفع المـؤرخ
لهذا القول هو حقه على الإسلام متمثلاً في هذه الدولة التي حملت لواء
خفاقة في ربوع أوروبا المسيحية .

الفصل الثاني

مواقف لدول الأوربية من الدولة العثمانية

- ١- موقف روسيا من الدولة العثمانية.
- ٢- موقف النمسا من الدولة العثمانية.
- ٣- موقف فرنسا من الدولة العثمانية.
- ٤- موقف بريطانيا من الدولة العثمانية.

إن تطور الدولة العثمانية ، وقوتها السريعة من إمارة صغيرة في شبه جزيرة الأناضول ، إلى دولة واسعة الأرجاء في قساعات ثلاث عالمية ، وإن انزاعها بالإسلام ونشره في البلاد التي أصبحت فسي حوزتها خاصة في أوروبا ، ألب الدول الأوروبية فدها وناصبتها العداء ، أضف إلى ذلك الأطماع الاقتصادية كموجه لمواقفهم ، والنواحي الإستراتيجية والدينية ، فأولئك الروس كانت لهم أطماعهم في الدولة العثمانية ورغبتهم في السيطرة على المضائق للوصول إلى الميناء الداخلي ، والإنتمال بأوروبا ، أما النمسا فعلى الرغم من عدم وجود حدود مباشرة لها مع الدولة العثمانية إلا أنها شنت على الدولة حرباً من منطلق خوفها على حدودها وذلك بإشارة دول البلقان بالثورة ضد الدولة العثمانية ، لإضعافها ولكي تبعد شبح الخوف عنها ، أما فرنسا فعلى الرغم مما حصلت عليه من امتيازات في الدولة العثمانية ، إلا أن ذلك لم يمنعها من العمل على الإستيلاء على الكثير من المناطق التابعة للدولة العثمانية في الشمال الأفريقي ، وتحقيق أطماعها الإستعمارية ، كذلك قامت بريطانيا بتوقيع اتفاقية سايكس-بيكو بينها وبين فرنسا وروسيا وقسمت بينهما أملاك الدولة العثمانية ضماناً لتحقيق أهدافها في الشرق الأوسط .

كان العداء العثماني الروسي عداً بين الأتراك كمسلمين - الذين يعملون على نشر الإسلام - والروس كدولة معادية للإسلام، هذا وقد دخل الأتراك المغول في الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاة مؤسس دولتهم جنكيز خان ، ابتداءً من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية في بلاد الروس ، وانتهاءً بتأسيس دولة العثمانيين كما أشرت إلى ذلك^(١).

كان الصراع بين الروس والعثمانيين يتمثل في الكثير من جوانبه بالطابع الديني فكان صراعاً بين النصرانية والإسلام وتاريخ الإسلام في بلاد الروس قديم جداً حيث دخل إليها الإسلام قبل تأسيس دولة الأتراك . وكان العداء بينهما يعود إلى جذور موغلة في القدم .^(٢)

وقد تحدث ابن فضلان عن رحلته إلى بلاد الروس والتي جرت عام (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) أن أحد ملوك السلاف واسمه (الطش بن بلطسوار) اعتنق الإسلام وقد أشرت إلى ذلك حيث يقول (... فلما كنا من ملك المقالبة وهو الذي قمدا إليه .. وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذهبين تحت يده واخوته وأولاده .. فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا بنفسه ، فلما رأنا نزل وخر ساجداً شكراً لله عز وجل ، ... وأخرجت ككتاب الخليفة وقلت له : لا يجوز أن تجلس والكتاب يقرأ فقام على قدميه هو ومن حفر من وجوه مملكته .. وبدأت فقرأت صدر الكتاب ، فلما بلغت فيه سلام عليكم فإنى أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو قلت ردوا على أمير المؤمنين السلام فردوا ...) ، وفي نص هذا الكتاب دليل على دخول الإسلام إلى تلك البلاد قبيل العهد العثماني ، وإن التأشير الإسلامي

(١) على حصون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٣) ابن فضلان ، ص ١٠٧ .

كان واضحاً في بلاد الروس ، حيث أرشد ابن فضلان ملك الروس إلى الطريقة الصحيحة في تادية الشعائر الدينية ، فهو يقول (ورأينا منهم أهل بيت يكونون خمسة آلاف نفس من أمراء ورجال قد أعلموا كلهم وقد بنوا مسجداً من الخشب يطولون فيه لا يعرفون القراءة تعلمت جماعة ما يعلمون منهم . كذلك يذكر ابن فضلان عن المعهودي قوله إن ابن ملك البلغار (١) العقالية حج عام (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ومر ببغداد وأكرمه لقوم فيها) .

وكان اهتمام الروس بالقسطنطينية حيويّاً منذ القدم نظراً لموقعها العفري ، فهذه المدينة تتألف من شبه جزيرة تقع بين قارتي آسيا وأوروبا وتحتضنها بحار ثلاثة هي القرن الذهبي ، والبسفور ، وهو المضيق الذي يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق بحر مرمرة ، ومضيق الدردنيل ، ويفعل القرن الذهبي المضيق المدينة القديمة عن المدينة الحديث المسماة (بك أوفلى) أو ما كان يدعى سابقاً (بيرارغلطة) (٢) ويفعل البوسفور المدينة الأوروبية عن الجزء الآسيوي . واكتسبت القسطنطينية أهميتها الدينية من حيث كونها مركزاً كنسياً معتبراً ، عزز ارتباطها بالكنيسة الروسية ، وعد بطريقتها في المرتبة الثانية بعد بابا روما ، هذا بالإضافة لمكانتها التجارية ، حيث كانت المدينة التجارية الأولى ، حتى ظهور الدول الإيطالية البحرية ، وكانت تعد المدينة الرئيسية الأولى ، من حيث القوة والاعتبار حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي . (٣)

إن فتح القسطنطينية على يد العثمانيين كان له القدوي

(١) ابن فضلان ، في وصف الرحلة ، ص ١٠١ .

(٢) على حون تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤١ - ٤٢ .

(٣) بيرونوف ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .

(١) العظيم في كافة أرجاء العالم وبخاصة في الغرب النصراني ، الذي دفعه النبأ .

لذلك فإن أهمية القسطنطينية لدى الروس قديمة ، وقد اعتنق الأمير الروسي (فلاديمير) النصرانية على المذهب الأرثوذكسي ودمج النصرانية والمذهب البيزنطي كي يبنى كرسياً أسقفياً في كييف من هنا بدأ الارتباط المذهبي بين الروس وبيزنطية ^(٢) إلى أن أصبحت محط أنظارهم .

ومن هنا ظهر العداء المذهبي الروسي ضد المسلمين متمثلاً في الدولة العثمانية ، حاملة لواء الإسلام ، والتي تمكنت من فتح القسطنطينية والسيطرة عليها .

لذلك فإن أهداف روسيا ومغامرها ومواقفها من الدولة العثمانية واحدة ، منذ نشأة تلك الدولة ، وبذلك يتضح أن اهتمامات الروس بالدولة العثمانية تتلخص في التالي :

السيطرة على المضايق التركية في سبيل الوصول إلى المياه الدائنة ومنافسة الدول الأخرى ، واسترجاع القسطنطينية من أيدي المسلمين وإعادتها لحظيرة الكنيسة الأرثوذكسية ، والقعد من ذلك تدمير وحدة المسلمين وترباطهم والتنوع في الجهات الجنوبية ، والجنوبية الشرقية بحجة الوصول إلى الأراضي الحارة ، المنتجة لبعض السلع والتقليل من ^(٤)

-
- (١) بيبيرونوف ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .
 - (٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ٢٢٠ .
 - (٣) بيبيرونوف ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .
 - (٤) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(١) اللفظ السكاني الروسي ، ويمكن الهدف الرئيسي من وراء ذلك تشتيت المسلمين ، وهزيمتهم في تلك المناطق التي يلقونها . وهناك دافع سياسي ، هو الحفاظ على توازن القوى مع الدول الأوروبية ، وتحقيق ما يمكن تحليفه عن طريق بسط نفوذهم في جنوب شرق أوروبا . (٢)

ومن هنا نجد أن الروس بدءوا في التوسع على حساب الدولة العثمانية منذ عام (١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م) حيث انتصروا على العثمانيين وانتزعوا أوكرانيا ، وفي عام (١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م) استولى بطرس الأكبر على ميناء آراق^(٣) أهميته لمملكته ، ووصلوا إلى سواحل البحر الأسود على أن ملج كارلوفتس (١١١٠ هـ / ١٦٩٩ م) أدى إلى فقدان الدولة العثمانية جزءاً^(٤) ليس بالقليل من ممتلكاتها في أوروبا ، وبعد ذلك استمر السلام بين الدولتين ثلاثين عاماً بطح عام (١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م) عمل فيها القيصر على تحصين آراق فقابل العثمانيون ذلك فقاموا^(٥) الحصون والقلاع الجديدة في مواجهتهم ، وقد شغل بطرس الأكبر عن الكيد للعثمانيين عندما هاجمه عدوه شارل الثاني عشر ملك السويد ، فلما هزم ملك السويد ، لجأ إلى العثمانيين الذين رفعوا تسليمه إلى بطرس فشن حرباً عليهم غير مراعية لمصلحة الثلاثين عاماً ، ولكنه بعد ذلك فوجئ بالجيوش العثمانية محاصرة له من كل جانب ولو استمر ذلك الحصار لخذ أسيراً هو ومن معه ، ولعمت الدولة الروسية من العالم

(١) فشر في أصول التاريخ الأوربي ، ص ٢٧١ .

(٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ٢٧١ .

(٣) أحمد عبد الرحيم معظفي ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٥٥ .

(٤) آراق : هي آزوف (Azov) وتقع في الشمال الشرقي من بحر آزوف ويطلق اسم (بحر آزوف) على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود ، (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٨٦) .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٥) جلال يحيى ، معالم التاريخ الحديث ، ص ١١ .

(١) السياسي ، وقد أبرمت بعد ذلك عدة معاهدات عام (١١٢٣ هـ / ١٧١١ م)
 وثلاثها معاهدة أخرى عام (١١٢٣ هـ / ١٧٢٠ م) وقضت شتات قسلا
 بعد هذا صاد أوروبا اعتقاد عام بأن شمس الدولة العثمانية آذنت
 بالمغيب على أن إزال بطرس الأكبر من قبل العثمانيين لم يبرح ، من
 أذهان الروس ورعايا روسيا ، وكانوا يلتهبون غيظاً على الأتراك كلما
 ذكروا ذلك العار وهنا جمع بطرس الثاني الجموع لمهاجمة العثمانيين ،
 ولكنه مات عام (١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م) وتأخر مشروعه إلى عام (١١٤٩ هـ /
 ١٧٣٦ م) في مارس حيث تحركت الجيوش الروسية بأمر المعلقة حنيفة
 للإنتقام من المسلمين ، وختمت الحروب بملح بلغراد عام (١١٥٢ هـ /
 ١٧٣٩ م) ولكن الدولة الروسية لم تنف غليلها لأن مواد الملح لم تكن
 كافية لإذلال العثمانيين .
 (٢)

وهنا يظهر الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين موجهاً ضد
 الدولة العثمانية وبعد مئتي سنة وعشرين عاماً عاد العداء بين
 الدولتين سنة (١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) وحظ الرأي العام في الأستانة
 على احتلال روسيا لبولونيا ونشبت الحرب بين الدولتين ، وانتهت
 بملح (قينارجة) المتعقد في عام (١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م) وبموجب
 هذه المعاهدة أجبرت روسيا الدولة العثمانية على الاعتراف لها بحق
 حماية المسيحيين في داخل الدولة العثمانية ، وبإضافة معاهدة
 بخارست في مايو عام (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م) ، وبموجبها عدلت الحدود
 بين تركيا وروسيا فصارت تنطبق على نهر الدانوب ، وكان هذا الملح

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٢ .

(٢) محمد الديراوى ، الحرب العالمية الأولى ، ص ٢٥٤ .

(٣) حسين ليبب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٢٧ - ١٤١ .

في صالح الدولة العثمانية حيث أنهى الحروب بينهما والذي كانت تتعظم
 ويلاتهما وخسائرها على مرور الزمن .^(١)

ونلاحظ موقف روسيا العدائي من الدولة العثمانية عندما
 شار أهالي الجبل الأسود ضد الدولة العثمانية ، ودخلت روسيا الحرب
 إلى جانبهم ، وانضمت إليها رومانيا ، إلا أن روسيا تكبدت خسائر
 فادحة ، مما جعلهم يجندون الجيش الإحتياطي ، بينما بقيت الحامية
 التركية في استحكاماتها ^(٢) حتى نفذ الطعام ، وقد وصل الروس إلى أدرنة
 فخشيت بريطانيا من استيلائهم على اسطنبول ، وأرسلت أسطولاً إلى الدردنيل
 لحمايتها، عند ذلك تقدم الروس إلى (استيفانو) في غواحي اسطنبول،
 ولكنهم لم يجرؤا على الدخول حتى لاتقع الحرب بينهم وبين بريطانيا
 وطلب السلطان العثماني من القيصر بركات معاهدة (سان استيفانو) في
 (١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨ م) حيث اعترف السلطان باستقلال رومانيا وصربيا
 والجبل الأسود ، ووجدت دولة بلغاريا الكبرى المعتمدة من الدانوب إلى أدرنة
 ومن سلانيك حتى البحر الأسود ، ونعت المعاهدة على إعطاء روسيا بسارابيا
 التي خسرتها في حرب القرم ، وباستقلال البوسنة والهرسك ، ولم ترض بريطانيا
 والمانيا بهذا وأجبرت روسيا على إعادة النظر وعقد مؤتمر برلين في الثالث
 عشر من حزيران (١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨ م) وقد مثل المؤتمر السابق سبع دول
 هي روسيا ، وبرلين ، والنمسا ، وإنجلترا ، وفرنسا ، وتركيا ، وإيطاليا،
 تحت رئاسة بسمارك رئيس وزراء ألمانيا ونتيجة لذلك المؤتمر أدخلت
 التعديلات الآتية : أصبحت بلغاريا الكبرى دولة صغيرة تتمتع باستقلال داخلي،
 ووضعت مقاطعتي البوسنة والهرسك تحت الإدارة النمساوية ، وأيد المؤتمر

(١) حبيب لمبيد ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٢٧ - ١٤١ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٧ .

صامت عليه معاهدة سان استيفانو من استقلال رومانيا وصربيا والجبل
الأسود استقلالاً تاماً وكانت نتائج هذا المؤتمر الرئيسية القضاة على
البلقان ، وإيقاف المطامع السلافية .^(١)

لم يلق العداء الروسي ضد الدولة العثمانية عند هذا الحد ، بل
كانت روسيا تعمل بين الحين والآخر على فرض وجودها على الساحة
الأوروبية ، ولكي تعمل إلى غرضها فهي تعمل كل ما من شأنه أن يحل بها
إلى المصالح التركية للإلتصاف بأوروبا .

فلقد وقعت روسيا ضد مشروع سكة حديد بغداد والذي قام
بإنشائه المانيا ، وهذا المشروع ظهرت فكرته منذ السبعين سنة الأخيرة
من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ، عندما فكر فيه المهندس
النمسواوي (الفون بريسل) والذي كان يعمل لدى الدولة العثمانية كخبير
في شؤون السكك الحديدية ، فرحب السلطان عبدالحميد الثاني بهذا المشروع ،
وأنجز القسم الأول منه في فترة مابين عام (١٢٨٥ - ١٢٩٠ هـ) (١٨٧٢ -
١٨٧٣ م) والذي يحل اسطنبول بأزمير^(٢) ، ونفذ هذا المشروع برووس أموال
فرنسية ، ثم انتقل بعد ذلك الإمتياز إلى المانيا . لذلك شعرت روسيا
بخطورة المشروع على مصالحها الإستعمارية في الدولة العثمانية ، فحاولت
القضاء عليه في مهنده ، وذكرت المطالبات العثمانية بالعقادة الذي تربطها^(٣)
به ، ولكنه لم يجر لذلك أدنى صافية ، كذلك لم تعر الحكومة الألمانية

-
- (١) محمد عابدين حمادة ، تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع
عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ص ١٢ - ١٤ .
(٢) جان بيشون ، بواعث الحرب العالمية الأولى ، ص ٩٥ .
توبوليف ، الامبريالية والعسكرية الألمانية ، ص ٢٢٢ .
(٣) السلطان عبدالحميد الثاني ، مذكراتي السياسية ، ص ١٤٤ .

أدنى صاغية للتهديدات الروسية بسبب قوة مركزها في السياسة الدولية ،
بعد حملتها على ميناء بورت آرثر في البر الصيني ، والذي حد ———
نفوذ روسيا في الشرق الأدنى وهذا مما جعل المفاوضات الروسية العثمانية
تصل إلى طريق مسدود .^(١)

إن نجاح ألمانيا في الحصول على امتياز سكة حديد بغداد ،
ووجود البعثات العسكرية الألمانية ، وتزويد الجيش العثماني بالسلاح الألماني
أدى ذلك إلى قلق الروس وشعورهم بالخطر الألماني المتزايد مما جعلهم
يحاولون جر كل من النمسا والمجر للوقوف معهم لعرقلة المشروع ،
ولكن كل ذلك لم يمنع ألمانيا من تنفيذ المشروع ، وقد عقدت اتفاقية
بين ألمانيا وروسيا عام (١٩٢٨ هـ / ١٩١٠ م) تقضي بإعتراف ألمانيا
بالمصالح الروسية في شمال فارس وفتحاً لمعاهدة (١٩٢٥ / ١٩٠٧ م) وتكف
روسيا عن معارضة مشروع سكة حديد بغداد ، كذلك وقعت معاهدة من قبل
روسيا مع الدولة العثمانية ، عام (١٩٣٢ هـ / ١٩١٣ م) تقوم على
أساس إلغاء معاهدة (١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م) ، وتعهد السلطان العثماني
لمدة عشر سنوات بعدم إقامة خط حديدي في المناطق الواقعة إلى الشرق
من طرابزون خربوط ديار بكر ، وإذا كانت هناك حاجة لإنشائها تنشأ
برؤوس أموال روسية ، ولذلك عندما فشلت روسيا في إحباط المشروع^(٢)
اتخذت لها مواقف آخر من الدولة العثمانية ، وهو حماية مصالحها في
الحدود الجنوبية .

- (١) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ١١ .
- (٢) باسل دقاق ، تركيا بين جبارين ، ص ٢٧ .
- (٣) جان بيثون ، بواق الحرب العالمية الأولى ، ص ٩٥ .
W.L.Langer, The Diplomacy of Imperialism, P, 640.
- (٤) سياسة روسيا الخارجية ، ١٢ ، وثيقة رقم ٣٢٩٠٣٦٢٥ صفحة لفقرسية ،
ص ٤٢ .
- (٥) مجموعة الإتفاقيات الروسية مع الدول الأخرى ، ١٨٥٦-١٩١٧، ص ٤٢٥ .

يعود موقف روسيا من الدولة العثمانية وكرههم للعثمانيين بسبب أن الدولة العثمانية دولة مسلمة ، وأن نشر الإسلام في أوروبا سواء في المناطق الغربية وجنوب شرق أوروبا أو المناطق القريبة من الدولة الروسية ، إنما نعتبره روسيا استثماراً للإسلام والمسلمين ومن شأن هذا أن يعمل على تقوية نفوذهم تدريجياً ، وروسيا ليست إلا عدوة لدودة للدولة الإسلامية منذ زمن طويل ، ولا ترضى أو يطمح لها بال أن يرتفع شأن الإسلام سواء في بلادهم أو أي مكان آخر، وإذا نظرنا إلى دورها في تقوية قوى الدولة العثمانية ، فذلك واضح من مواقفها خلال القرون الحديثة المتأخرة ومن ذلك اشتراكها مع فرنسا وبريطانيا ، وبألي دول أوروبا للتآمر ضد الدولة العثمانية ، هذا بالإضافة لما قام به نيقولا الأول من التشهير بالدولة العثمانية ، وإطلاعه عليها الرجل المريض ، وهذا دليل على مدى الحقد الروسي، المعوجه ضد الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

أغنى العثمانيون هم القوة الإسلامية الكبرى في آسيا الصغرى في آخر القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وذلك جعل حركتهم وفتوحاتهم التوسعية على حساب الإمبراطورية البيزنطية وغيرها من القوى المسيحية في شرق أوروبا ، وتعتبر الحملات التي أدهمها الأوربيون في القرنين الثامن والتاسع الهجري / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، الوقت التوسع العثماني في شرق أوروبا حملات صليبية قام بها الأوربيون لحماية شرق أوروبا من خطر التوسع الإسلامي على حساب الشعوب المسيحية .^(١)

وفي القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي نجح العثمانيون في العبور إلى القارة الأوروبية ، واستعمروا في توسعهم في شرق أوروبا .^(٢)

إن علاقة الخصم مع الدولة العثمانية كانت من أسوأ العلاقات في تاريخ العلاقات الدولية ، ليس من ناحية العداوة العنيفة عن المصالح فحسب بل من الناحية الإنسانية أيضا ، وهناك مواقف عديدة توضح تلك العلاقات العداوية .

ففي عام (٩٢٤ هـ / ١٥٢٧ م) في عهد السلطان سليمان القانوني ادعى ملك النمسا فرديناند أحقيته في أن يكون ملكاً على المجر ، وسار لمحاربة ملكها الذي عينه السلطان سليمان القانوني ، مما

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) علي بك حليم ، التحفة الحليمية ، ص ٢٩ .

(٣) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ .

أدى إلى استنجد ملك المجر بالسلطان سليمان القانوني ، الذي سار بنفسه عام (٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م) على رأس جيش ، سار به إلى بودا عاصمة المجر ، التي احتلها ملك النمسا ، وسرعان ما فر منها فرديناند إلى فيينا عاصمة النمسا ، وخرجت الحماية النمساوية من المجر بعد أن حصلت على عهد الأمان من السلطان ، وبعد إعادة ملك المجر إلى مملكته ، سار مع السلطان سليمان القانوني بجيوشه إلى فيينا عاصمة النمسا في (٢٧ سبتمبر ١٥٢٩ م) وملك المدافع نحو أسوارها فهدم جزءاً منها ، ثم أمر السلطان الجيوش بالهجوم ، ولكن أمد القتال طال ، فعادت الجيوش دون أن تتمكن من دخول المدينة ، ثم لم يلبث السلطان سليمان أن أمر بسحب الجيش العثماني ، نظراً لاقتراب الشتاء ، وانتهاء ذخيرة الطوبجية ، وعندما عاود ملك النمسا مهاجمة بودا عاصمة المجر ، سار السلطان سليمان القانوني لمحاربته مرة ثانية عام (٩٣٩ هـ / ١٥٢٢ م) وهذه المرة أيضاً لم يكتب له النصر .^(٢)

كذلك نلاحظ ، أن النمسا فعلت على تحريض أمير البغدان ضد الدولة العثمانية ، ففي عام (١٥٢٨/٥٩٤٥ م) تمرد أمير بغدان بتحريض من فرديناند ملك النمسا ، فهزمت الدولة العثمانية وعينت آخاء (اسطن) وعززت حاميتها في البغدان لمنع حصول أي تمرد ، لذلك عمل فرديناند على الاتفاق مع ملك المجر (زابولي) لاقتسام بغدان لأن ذلك في رأيهم أفضل من تدخل العثمانيين في شؤونهم ، كما أن وجود المجر تحت الحماية العثمانية أمر مزعج لكافة الممالك الأوروبية وكانت هذه الخطة من فرديناند ملك النمسا ، تستهدف الإيقاع بملك المجر الذي قبل الحماية العثمانية ولكن تلك الخطة باءت بالفشل ، لأن ملك المجر قضى نحبه ، فلم يكن من

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

السلطان سليمان القانوني ، إلا أن دخل المجر وجعلها ولاية عثمانية وحول أكبر كُنائشها إلى مسجد جامع ، وفي عام (٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م) عقدت هدنة بين السلطان سليمان القانوني والنمسا لمدة خمس سنوات بشرط : أن يدفع فرديناند ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما يبقى تحت يده من بلاد المجر ، وأن تبقى بلاد المجر تابعة للدولة العثمانية يحكمها ابن ملك المجر (زابولي)^(١) .

وقد تطورت العلاقات بين الدولة العثمانية والنمسا ، ومن ذلك التطور أنه في أواخر عهد السلطان سليم الثاني وافق على تجديد المعاهدة مع النمسا لمدة ثماني سنوات وذلك بعد نقاش طويل ، وقد بعثت نسخة من هذا القرار فور توقيعها إلى الإمبراطور النمساوي بواسطة مترجم الحكومة العثمانية محمود أفندي ، ولكن بعد وفاة السلطان سليم الثاني ، أرسل رسالة إلى المبعوث محمود أفندي لإخباره بوفاة السلطان ، وإلغاء المعاهدة ، وإذا كان الإمبراطور النمساوي يرغب في دوام المعاهدة فعليه أن يرسل سفيراً جديداً إلى إسطنبول ليقدّم الشهادي للسلطان الجديد بمناسبة جلوسه على العرش ، وعليه أن يوقع المعاهدة من جديد وهذا يستلزم إرسال الهدايا والنقود بواسطة السفير الجديد للسلطان ، ففعلاً حضر السفير النمساوي ومعه الهدايا والنقود لكل الوزراء داخل الحكومة العثمانية^(٢) .

وبهذا يظهر أن الدولة العثمانية عندما كانت في أوج قوتها تمكنت من إحباط جميع المكائد المدبرة من قبل النمسا ، من تحريض الدول

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ - ١١٢ .

الخاضعة لسلطة الدولة على الثورة ، وكان هذا يحتم على الدولة العثمانية مواجهتها والتعدي لها لإحياء ما تقوم به ، مما يدفعها في كثير من الأحيان لطلب الملج مقابل الأموال التي تدفعها للدولة العثمانية .

هذا وقد دخلت الدولة العثمانية في حروب عديدة وطويلة مع النمسا ، ففي عام (١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) تمكنت القوات النمساوية من احتلال بلغراد ، وهزيمة الدولة العثمانية ، وخرج بلغراد وقوطها في يمد النمسا معناه فتح الطريق لهم لدخول البلقان ، ونتيجة لذلك فقد طلب السلطان سليمان الثاني الملج ، حيث بعث مندوباً من قبله إلى ملك النمسا يطلب فيه عقد الملج وكان ذلك عام (١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) وبدأت المفاوضات التي اشترك فيها أربعة مندوبين من العثمانيين وإثنان من بولونيا ، وواحد من فينديك ، وأربعة من النمسا ، وعلى الرغم من أن المندوبين اجتمعوا أكثر من أربع عشرة مرة إلا أنهم لم يطلوا إلى نتيجة كما أن النمساويين لم يهتموا بتلك المفاوضات وكانوا يهرون على أن هدفهم هو استنبول (١) .

تعتبر المفاوضات التي أثمرت عنها معاهدة (سبتوا) ، نقطة تحول ، حيث أنه لم يسبق لحكومة عثمانية أن جلت مع العدو على طاولة المفاوضات ، لأن الدولة العثمانية لم تكن تعترف لتلك الدول باستقلال ، وكانت تعتز بانتصاراتها على الأعداء ، وكانت تعتبر طلب المفاوضات على أنه التجاء إلى عطف السلطان ، وتعتبر كل ما يقوله سفير العدو رجساً وشرفاً والتماصاً ، كما أنها لم تكن تقوم بالتوقيع مع السفير ، بل كانت تصدر مرسوماً ملكياً يوضح ذلك ليقدّم إلى ملكهم أو يبعث بواسطة عريضة

وكان أعضاء المفاوضات لا يعرفون شيئاً من مضمون تلك المعاهدات إلى حكوماتهم ، وإنْ نصوص تلك المعاهدات كانت مملوءة بعبارات رديئة فيها أثر الاستعلاء ، مثل (من لطف وإحسان ملك العالم الذي ينتصر باستمرار إلى كفرة أو سترية) النمسا () والعانية المغلوبين المحتاجين لمغفرت الملك () . وكان ملوك ألمانيا وروسيا والنمسا المعروفين بغفارتهم وعظمتهم يتقبلون ذلك ، وحررت المعاهدة والمذكرات بينهما مثلما يحدث بين أي دولتين متجاورتين كالعمتاد ، ثم بدأ أعضاء النمسا يعرضون شروطهم على أساس إعادة المواقع التي أُخِلَّت أثناء الحرب ، وإعادة تلعة قايينجا مع ملحقاتها مع ضمان كل مصاريك الحرب وقطع العلاقات مع أرض أردل ، وقد استمع مراد باشا لكل ذلك ، ثم كتب خطاباً مدلولاً وضح فيه أن للدولة العثمانية حقوقاً في تلك المناطق ، وفرض أمثلة كثيرة وطلب المندوسيين بوضع مقترحات مغلولة (٢) .

إن هذه المعاهدة (سيتوا) اشتهرت تحت اسم سيتوا-تورق ، وأخذت مكانتها المهمة لأنها وثيقة رسمية تبين تاريخ توقف العثمانيين وغاراتهم تجاه الغرب ، كذلك فإن أهم نقطة فيها ، أن الحكومة العثمانية اعترفت وقبلت ملك النمسا وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة (ماتياس) في مستوى السلطان العثماني حيث كان للدولة العثمانية قبل ذلك ألفاظاً نذل على عظمة الملك العثماني مثل " ملجأ العالم ومأواه " ، وطلباً لهذه المعاهدة تعدلت العادة الخامة بالقريبة ورفيت النمسا أن تدفع مائتسي ألف ذهب مرة واحدة في السنة ، وجاء فيها أيضاً تبادل المطرا ، وتعاضلي الهدايا كل ثلاث سنوات ، وأن لا تتدخل النمسا في شؤون المجر وأردل ، ومن

(١) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ٧٢ .
Ismail Hakkı, Op, Cit., PP, 511 - 512 .

(٢)

نصوص المعاهدة عدم التعدي على الحدود ، وبموجب من لايراعي ذلك ، وإن هذه المعاهدة ليست موقفة بل عقدت نيابة عن الأحماد والأولاد وفي حالة الخلاف يحل النزاع بواسطة حكمين أحدهم من الدولة العثمانية والآخر من النمسا وأن يستعمل السلطان العثماني لقب (ملك فينسا) والسفير الذي يبعث إلى الإمبراطور النمساوي لا يختار من خدم القصر أو عريف ، بل لا يقل من رتبة اللواء * ، وإن هذه المعاهدة لم تقض على المشاكل نهائياً ، لأن اليسوعيين الذين احتلوا قصر الحكومة في النمسا لم يتنازلوا عن إشارة الشعب داخل المجر ، ومن تصير المواثيق على طول الحدود ، كذلك فساد النمسا أدى إلى قتل ملك المجر ، وفي غفلة من الحكومة استطاع مطير النمسا تعيين وريث للعرش وكانت الأمور الداخلية في المجر وأردل من الأمور الخاصة بالدولة العثمانية طبقاً لاتفاقية (سيوا) ، كما أن هذه المعاهدة لم تأخذ شكلها النهائي لعدم التصديق عليها من المقتضى .^(١)

لم يبق الأمر عند ذلك ، بل استمرت النمسا في مواثيقها العدائية من الدولة العثمانية ، ففي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كان موقف النمسا سلباً بسبب حرب الثلاثين عاماً ، حيث لم تعمل على إيقاف الحرب ، بل أخذت تبحث عن مساعدتها في تمهيدها ، فلجأت إلى أسبانيا وبولونيا وعدد من الدول الأوروبية ، وعلى الرغم من عدم تدخل فرنسا إلا أن أوروبا لم تنزع عن تقديم المساعدة لها ، حيث أمدتها البابا بالنفوذ ، وأشار الدول الكاثوليكية ضد الدولة العثمانية ، وكانت تطالبها بالإمدادات من الدول الأوروبية المختلفة . وكانت أكبر المساعدات التي قدمت للنمسا من بولونيا المجاورة لها وبتشجيع من البابا عقدت

(١) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
Ismail Hakki, Op, Cit., Part 3, PP., 438-445. (٢)

اتفاقية عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٢ م) بين النمسا وبولونيا أنهت الأخيرة بموجبها بإعطاء النمسا أربعين ألف جندي محارب على رأسهم ملك بولونيا ، عند ذلك استدعى معظي باشا أمير الجيش الإنكشاري ، استدعى السفير النمساوي بأدرنة وتحدث معه عن ضرورة إرجاع القلعة التي احتلتها النمسا حتى يتجدد الطح ، ولكن السفير رفض ذلك ، فاستعبد الجيش العثماني للخروج في عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٢ م) وبلغ عدد الجيش خمسمائة ألف مقاتل ، ورأى الوزير الأعظم والقائد الأعلى للجيش أن يبداً بفتح فيينا عاصمة النمسا ، قبل الإستيلاء على قلعة (ماموران ديانتق) وتحرك الجيش من بلغراد ووصل أمام قلعة ماموران ، ومن هناك عبر النهر ولم يستطع جيش الأعداء منعه ، وكان تقدم الجيش نحو فيينا بدلاً من الأراضي المجرية مفاجأة لملك النمسا ، وقد تعجب السلطان من اتجاه الجيش نحو فيينا ، ولكنه سكت لأنه لا مجال للمناقشة ، وقد كان هناك إضطراب في ألمانيا وروسيا وبولونيا ، مما دعاهم للاتفاق مع الدولة العثمانية ، وقد حاول البابا إقناع فرنسا للدخول معهم ، وخاصة أن لفرنسا مصلح تجارية في الشرق ، وعلى الرغم من موقع فيينا على الضفة اليمنى لنهر الدون وإحاطتها بحور محكم من جميع جهاتها ، إلا أن الجيش العثماني تمكن من احتلال ما حول القلعة ولم يبق إلا قلعة فيينا ، ولكن مدة الحصار طالت ، وبدأ التحرك الأوروبي من بولونيا وألمانيا في جيش بلغ مائة ألف ، ألتف حول الجيش العثماني ، وتمكن من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين فولوا هاربين شاركين كثيراً من الذخيرة ، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في وسط أوروبا في هذه الفترة ، لم يقم العثمانيون بغزو فيينا وبدأ العد التنازلي ، وبعد أن كان الأوروبيون في موقف الدفاع بدأ الأوروبيون يهاجمون أقاليم الدولة العثمانية بين فترة وأخرى .^(١)

Ibid, Part 3, P, 449, 452, 455.

كما أن عبء الدفاع من أوروبا وقع على كاهل أسرة هابسبورج الكاثوليكية ، وأن دور النمسا الخطير في التاريخ الأوروبي هو أحسن المبررات الرئيسية لوجود الإمبراطورية النمساوية لقرونًا عديدة وراء الحدود الجنوبية الشرقية لأوروبا تدافع عن الحضارة اللاتينية والألمانية ضد الإسلام .^(١)

مما تقدم نلاحظ أن سياسة العداوة النمساوي ضد الدولة العثمانية ، ليست فريدة بل أن جميع دول أوروبا ناصبت الدولة العثمانية العداوة من منطلق أنها دولة إسلامية ، تعمل على نشر الإسلام وتفتح بابه ، في شرق أوروبا وجنوبها ، ونلاحظ أن النمسا على الرغم من أنها من دول وسط أوروبا وبعيدة عن مركز الدولة العثمانية ، إلا أن هذا لم يمنعها من التحالف مع الدول الأوروبية ، والإشتراك في الاتفاقيات ضد الدولة ، ومحاولة إثارة الفتن والإضطرابات في المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة العلية ، وبخاصة وأن الجيوش الإسلامية طرقت أبواب فيينا عامتها عدة مرات فكان موقفها موقف الدفاع عن كيانها كدولة مستقلة حتى لا تفقد استقلالها ، لذلك لم تترك فرصة إلا وامتثلتها للسبيل من الدولة العثمانية ، إما بالتحالف مع دول الغرب الأوروبية ، أو بتحريض دول البلقان على الثورة ضد الدولة العثمانية ، وإمدادهم بالسلاح والعتاد ، كل ذلك لإبعاد الدولة العثمانية وتقدم جند الإسلام نحو أراضيها .

وظهر كذلك أن أهم طريقة استطاعت أن تنجح بها اللواتي

(١) هيربرت فيشر ، أصول التاريخ الأوروبي ، ص ٢٧٥ .

أمام تقدم الدولة العثمانية ، هي إشارة الفتن والإضطرابات الداخلية ،
 في المناطق الواقعة على حدود الدولة العثمانية ، وهي بذلك قد جعلت
 بينها وبين الدولة العثمانية حاجزاً مكانياً ، تتحقق فيه الإضطرابات
 التي من شأنها مساعدة النمسا على أن تكون بعيدة بقدر الإمكان عن
 الاحتكاك المباشر مع الدولة العثمانية ، ذلك الاحتكاك الذي قصد
 يتسبب في أن تصبح كبتية دول البلقان تابعة للدولة العثمانية .

أما بالنسبة لفرنسا فلم تكن تربطها بالدولة العثمانية حدود مباشرة وعلى الرغم من ذلك فقد تناولت فرنسا العلاقات مع الدولة العثمانية سلباً وإيجاباً ، وهي بذلك كالدول الأوروبية تنظر إلى تحقيق مستعمرات لها في أملاك الدولة العثمانية ، وبخاصة في الشمال الأفريقي أقرب المناطق إليها .

والعلاقات العثمانية الفرنسية قديمة ، بدأت منذ عهد السلطان سليمان القانوني، حيث كان هناك إتصالات بين ملك فرنسا والسلطان سليمان القانوني عام (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) ومن هذا التاريخ بدأت الإتصالات الفرنسية العثمانية ، وفي تلك الفترة كان شارل الخامس ملك النمسا هو ملكاً لاسبانيا والأراضي المنخفضة وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وملكاً للجزء الأكبر من إيطاليا الجنوبية ، وكانت جنوا ، وفلورنسا ، تابعتين لهذه الجمهورية البندنية ، طوع أمرو ، ووهران بالجزائر تابعة للسلطان ، وكذلك جزيرة مينورقة - إحدى جزر البليجار شرق أسبانيا - وجزيرة صقلية من أملاكه .^(١)

كل ذلك دعى بفرنسوا الأول ملك فرنسا للتحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس حتى تحاربه الدولة العثمانية من جهة المجر والنمسا فبشغل عن جيوش فرنسا من جهة الغرب، فبشغل بذلك ملك فرنسا من الأخذ بتأثير والفة بافيا المشهورة عام (٩٣٠ هـ / ١٥٢٥ م)^(٢) بإيطاليا جنوب ميلانو - والتي أخذ فيها ملك فرنسا أسيراً .

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٨ ؛ بسام الصلبي ، القانوني القاشد ، ص ٥٩ .

(٢) خير الله أفندي ، تاريخي ، المجلد التاسع ، ص ١٩ .

ويظهر من سعي فرنسا لدى الدولة العثمانية إنهاء أو الدولة العثمانية - أصبحت في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي عنصراً هاماً لحفظ التوازن في أوروبا على المعيد السياسي .^(١)

ففي عهد السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠ م) تمكن العثمانيون من ضم البلاد العربية والأماكن المقدسة ، وشهد حكم السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٢ هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) توسعاً كبيراً وهاماً ، حيث اتجه بفتوحاته نحو أوروبا فاستولى على بلغراد بوابة أوروبا الوسطى ، وجزيرة رودس مفتاح شرق البحر المتوسط .^(٢)

وفي تلك الفترة كانت أوروبا تعاني انقساماً سياسياً ، فهناك الحروب بين شارل الخامس وملك فرنسا .^(٣) لذلك فإن من مصلحة فرنسا وملكها فرنسا التحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس وأعماله التوسعية .

وقد وصل أول سفير فرنسي إلى إسطنبول عام (٩٧٧ هـ / ١٥٢٥ م) واسمه (موجان مرتجيباني) ومعه خطاب من ملك فرنسا إلى السلطان يطلب فيه مهاجمة العجم ، طلب شارل الخامس وقد قابل السلطان السفير الفرنسي في (٦ ديسمبر ١٥٢٥ م) باحتفال رائد وأجرى له العطايا .^(٤)

هذا وقد عقد فرنسا الأولى فرنسا معاهدة مع السلطان سليمان القانوني عام (٩٤١ هـ / ١٥٢٥ م) وكانت تلك المعاهدة ذات ثقلين حربيين ،

Roger. B. M, Suleiman The Magnificent , PP, 50, 54(1)

Ibid. PP, 70 - 78.

(٢)

Wilkinson Burke. Francis in all His glory. P, 204. (٣)

(٤) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٢٠٩ .

واقتصادي ، أما من الناحية الحربية فكانت معاهدة دفاعية هجومية ، أما من الناحية الاقتصادية ، فقد منح السلطان سليمان القانوني بمقتضاها دولة فرنسا بعض الامتيازات في بلاده ، ولم تكن هذه هي أول المعاهدات الامتيازية ، فقد منح سلاطين المماليك الأتوريين في مصر معاهدات (١) وامتيازات تجارية للشندقية وغيرها من دول أوروبا .

وقد أشار الدكتور يوسف الشوقي إلى هذه المعاهدة في كتابه " دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور " ، بقوله : إن هذه المعاهدة أعطت حق الإستفادة منها لملك إنجلترا والبابا وغيرها . معن له الرغبة في ذلك شريطة سديتها من السلطان العثماني ، وبذلك حصل رعايا الدولة الفرنسية على امتيازات كانت أول شرارة تندلع (٢) داخل الدولة العثمانية ، ظهرت آثارها البعيدة فيما بعد .

بدأت فرنسا بعد هذه الإتفاقية في تخفيض السفن التجارية لنقل البضائع والأقمشة والمصنوعات المعدنية من الدول الأوروبية كالألمانيا إلى الدولة العثمانية ، وتبادل التجارة مع بلدان الشرق الأدنى فـسب الصف والظن والحرير والبهارات ، وقد أصبح للفرنسيين في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي مجالاً كبيراً في التجارة مع بلدان الشرق الأدنى وكان لفرنسا حوالي ألف سفينة تجارية ، كما كانت الدول الأوروبية الأخرى مثل بريطانيا وهولندا تتاجر تحت العلم الفرنسي ، طبقاً للمعاهدة (٣) المبرمة بين الطرفين .

(١) محمود محمد زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) يوسف علي الشوقي ، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب

على مر العصور ، ص ١٠٧ .

Halil Inalick , Op, Cit., P, 137.

(٣)

وبالنظر إلى بنود تلك المعاهدة المتفق عليها بين كل من فرنسا والدولة العثمانية ، نلاحظ بأن هذه البنود أُنشأت الكثير من الإمتيازات للفرنسيين داخل أراضي الدولة العثمانية ، من حيث حرية التجارة فسي جميع الأنظار العثمانية مع الحفاظ على الحقوق الفرنسية داخل الإطصار العثماني .^(١)

كما أعطت هذه الإمتيازات للدولة الفرنسية الحق في فرض حمايتها على الرعايا الأوروبيين ، وحماية الأقليات الدينية داخل الدولة العثمانية . كما أن هؤلاء الفرنسيين قاموا بإنشاء المدارس والمعاهد والكنائس ، ومارسوا حماية على تلك الرعية المسيحية ، وعلى النقيض من ذلك فإن التجار العثمانيين لم تكن لهم مثل تلك الإمتيازات في فرنسا ، ولا يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية على نمط مساو للفرنسيين المقيمين في الدولة العثمانية .^(٢)

وقد حققت الدولة العثمانية نصراً سياسياً حين استغلت الإنشقاق الديني في أوروبا لتحقيق نصراً على شارل الخامس ، ولم يكن ذلك النصر لصالح الدولة العثمانية ، بل لصالح فرنسا .^(٣)

ومن الآثار السلبية لهذه الإتفاقيات كما أشار الدكتور يوسف الشقفي أنها أُنشأت الفرقة للفرنسيين للتعرف على طبيعة البلاد العربية

Halil Inalcik, Op, Cit., P, 224. (١)

رأفت الشبخ ، تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٩٩ يوسف الشقفي، دراسات متميزة ، ص ١٠٧ . (٢)

Stephen P. Fischer, Galati. Ottoman Imperialism and German, P, 117. (٣)

Ibid. P, 117. (٤)

(١) الإعلامية من حيث إمكانياتها وآماكن القوة والضعف بها ..

كل ماسبق مهد للإستعمار الفرنسي للبلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية ، ابان ضعف الدولة ، والدليل على ذلك ماقامت به فرنسا في القرون الحديثة من تخليق أحلامها الإستعمارية ، فبسطت نفوذها على الأقاليم التابعة للدولة العثمانية واستعمرتها ، وبخاصة في الشمال الإفريقي ، فسيطرت بادي* ذي بد* على مصر بواسطة الحملة المعروفة - حملة نابليون - عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) هذه الحملة التي ساقتها فرنسا ، منافسة لبريطانيا على المصالح الاقتصادية في الشرق الأوسط ، مما جعل بريطانيا - خوفاً على الطريق التجاري إلى الهند عبر البحر المتوسط - تعمل على عرقلة المشاريع الفرنسية ، وإخفاق فرنسا في تخليق مناطق نفوذ في أملاك الدولة العثمانية مقارنة بها .^(٢)

وعلى الرغم من أن الاحتلال الفرنسي لمصر كان قصيراً وغير ناجح ، فقد كان حادثة هامة ومشحونة بنتائج كثيرة بالنسبة لمصر ، فقد مهد هذا الإستعمار الطريق لحدوث تغييرات بدلت شكل مصر في خلال القرن الثالث عشر الهجري ، الناجح عشر الميلادي فقد أثر العلماء الذين قدموا إلى مصر مع الحملة الفرنسية في الحياة الثقافية المصرية ، وقد دأب هؤلاء العلماء الذين قدموا إلى مصر إلى دراستها من جميع الجوانب

-
- (١) يوسف الشقفي ، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، ص ١١١ .
 - (٢) عبد العزيز توار ، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، ص ٧٩ .
 - (٣) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥ .
 - (٤) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٧٢ - ٣٢٥ .

(١) قد رسوا التربة والمناخ والمنتجات الزراعية والمعدنية ، وكان يقابل هؤلاء العلماء في مصر المشايخ وعلماء الشريعة ، وقد حاول الفرنسيون استعالتهم وإطلاعهم على ماحوته أبنية المجمع العلمي المصري الذي أسسه نابليون ، ولكنهم رفضوا ذلك لإيمانهم بأن الثقافة الأوروبية قد جاءت مع جيش غاز كافر ، كذلك عمل الفرنسيون على فرنسا التعليم ، وكان الغرض الحقيقي للثقافة الفرنسية في مصر يمكن إرجاعه إلى عصر محمد علي إذ دخلت أفكار فرنسية كثيرة إلى مصر في خلال حكمه على أيدي رجال أمثال (دروفتي) قنصل فرنسا في مصر و (منجان) والقبط ————— الفرنسيين الذين بقوا في مصر بعد انحسار فرنسا ، كما أتت المؤثرات الفرنسية إلى مصر في عصر محمد علي مع البعثات التبليغية إلى فرنسا ، التي كان يشرف عليها (جومار) أحد علماء الجامعة الفرنسية . (٢)

واعلمت فرنسا موافقها العدائية من الدولة العثمانية حيث اتفقت الدول الأوروبية الإستعمارية فرنسا وبريطانيا وروسيا ضد الدولة العثمانية ، وتذرت فرنسا بشتى الذرائع لاحتلال الجزائر ، ولم تمنع بريطانيا معارضة جادة ، ففي عام (١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م) نزل سبعة وثلاثون ألف مقاتل فرنسي على ساحل خليج سيدي فرج (الذي يبعد ثلاثة وعشرين كيلو متر غربي الجزائر) وكانت المقاومة عنيفة حيث فقد الفرنسيون أربع مائة شخص ، بينما استشهد عشرة آلاف من العثمانيين ، ووقعت بعد ذلك وثيقة الإستسلام ودخل الفرنسيون مدينة الجزائر عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م . (٣)

-
- (١) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ص ٢٢٠ .
 - (٢) محمد فؤاد شكرى ، مصري مطلع القرن التاسع عشر ، ١٨٠١-١٨١١ م ، ص ٢٦٦ .
 - (٣) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ١٥١٦-١٩٢٢ م ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٧ .
 - (٤) ل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٢٨٧ .
 - (٥) آمال السبكي ، أوروبا في القرن التاسع عشر ، فرنسا في مائة عام ، ص ٢٠٢ .

فنهضوا غريزة البلاد التي تحتوي على ثمانية وأربعين مليون أسرنك ،
ثم ثلث ذلك في عام (١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) إعلان لويس فيليب ملك فرنسا
ضم الجزائر رسمياً لفرنسا .^(١)

ومنذ ذلك الوقت وحركات المقاومة مستمرة بقيادة الأمير
عبدالقادر الجزائري، ومن تبعه من قادة الجهاد وقامت الكثير من
الثورات لشلل الإستقلال مثل ثورة لالا فائدة عام (١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩م)، وثورة
المقراشي عام (١٢٨٩ / ١٨٧٢ م) إلى أن نالت البلاد استقلالها .^(٢)

بعد الإستعمار الفرنسي للجزائر أشد وطأة وقوة ، فقد كان
التخريب الثقافي الذي أحدثه في الجزائر لتحقيق الفرنسة أو الإدماج أشد
خطراً وأكبر هولاً ، فقد كانت فرنسا تعتبر الجزائر جزءاً منها ، وترى
أن تفرض على المجتمع الجزائري عاداتها وتقاليدها ولغتها ، فـ...
استخدمت اللغة الفرنسية أداة للقضاء على الشخصية الجزائرية وتربية
موظفين يكونون خدماً للإستعمار .^(٣)

لذلك فقد ناضل الأبطال أمثال الأمير عبدالقادر الجزائري
والمقراشي إلى أن تحررت البلاد ، وقد ظل الجزائري محارباً للفرنسيين مدة
عشر عاماً .^(٤)

- (١) على خمون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
- (٢) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٣ ؛ مصطفى حليم ، الأصرار
الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، ص ٦٠ .
- (٣) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
- (٤) عبد الله عبد الجبار ، الغزو الفكري في العالم العربي ، ص ١٦ - ٢٠ .

واعطت فرنسا سطوها على البلاد العربية ، فبعد مؤتمر برلين (١٨٨١ هـ / ١٨٨١ م) ادعت وجود استغارات على حدود تونس الجزائر ودخلت تونس بحجة حماية الأمن بقوة قوامها ثلاثون ألف جندي ، ثم عززت قواتها شيئاً فشيئاً واتجهت نحو العاصمة وحاصرت قصر الباي، وأجبرته على توقيع معاهدة ، وافق بموجبها على الإحتلال بدعوى حفظ الأمن والاستقرار ، واعترفت جميع الدول النصرانية بذلك الإحتلال ، أما الدولة العثمانية (١) فقد أعلنت احتجاجها ، وفكر الباب العالي بإرسال السفن الحربية إلى هناك لاسيما بعد أن أعطت فرنسا للعثمانية حرية الحركة في تونس ، وهددت بالحرب ، فأبدى الباب العالي رغبته بالحل السلمي عن طريق المفاوضات . (٢)

وبذلك ضاع جزء آخر من أملاك الدولة العثمانية وصار فرنسا للدول الإستعمارية وأطماعها التوسعية في البلاد الإسلامية .

وافقت بريطانيا على إعطاء حرية التصرف لفرنسا في مراكش (٣) في اتفاقية لانزون كامبون المشهورة (عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٣ م) ووجد الحلفاء أن الوقت قد حان لحل المسألة الشرقية حلّاً نهائياً وذلك باتفاقهم على تجزئة الدولة العثمانية ، وقد اختتمت فكرة التقسيم ، عندما توصلت كل من بريطانيا وفرنسا إلى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في (١٣٢٥ هـ / ١٩١٦ م) تدعى بموجبها بريطانيا وفرنسا إلى مقابل روسيا . وفي حالة إنتصار الحلفاء فإن إسطنبول والمعاقيق تضم إلى ممتلكات روسيا على أن تعترف روسيا بخلاوق بريطانيا وفرنسا في الممتلكات العثمانية

(١) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٢ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .

(٣) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ الشرق العربي ، ص ٤٤٦ .

الأسبوية ، ووافقت أيضاً على أن تكون الأماكن المقدسة الإسلامية والحجيرة العربية تابعة لبريطانية ^(١) ، ولكن ذلك لم يحصل حيث لم تدخل هذه المناطق تحت أي نفوذ .

لم تحدد بريطانيا ما كانت ترغب في الحصول عليه من ممتلكات الدولة العثمانية ، بينما طالبت فرنسا بضم سورية وطيح الإسكندرونة ، ووافق القيصر على ذلك ، ولكنه تحفظ بشأن فلسطين حيث أعلن (سارنوف) وزير الخارجية الروسية أنها لن تترك مناطق القدس والجليل والأردن وطبرية تحت حماية دولة قبر أرثوذكسية ، ولقد تبادلت الحكومات الثلاث إحدى عشر مذكرة تضمنت القواعد التي تم الاتفاق عليها وتضمنت معاهدة (سان بطرس برج) في مارس (١٩١٣هـ / ١٩١٦م) تمطية الدولة العثمانية والتسام أملكها بين الحلفاء الثلاث وتأسيس مناطق نفوذ بريطانية فرنسية ، في البلاد العربية الأسبوية على النحو التالي :

■ تتعهد بريطانيا وفرنسا وروسيا أن تعمل يداً واحدة من أجل إنقاذ البلاد العربية وحمايتها ، وتأييد حكومة إسلامية مستقلة تتولس بريطانيا مراقبتها والإشراف عليها وإدارتها .

■ التمهيد من الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيله .

■ تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة حيث تلزم بريطانيا العراق والمناطق العربية التي تشغل الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، والساحل الغربي للخليج الفارسي من البصرة شمالاً إلى الكويت والبحرين وقطر ومثلث عمان وخرموت والمحميات حتى حدود عدن ونهاية

(١) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

البحر الأحمر من الجنوب بالإضافة إلى مصر التي احتلتها عام (١٣٠٠ هـ /

(١)

١٨٨٢ م) .

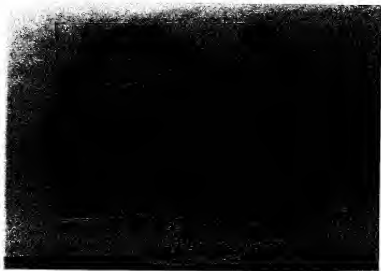
أما فرنسا فقد اختتمت بالعناطف التالية من الشرق العربي وهي:

• العناطف المتفق على تقسيمها وتوزيعها بقية الساحل السوري على البحر المتوسط من النافورة جنوباً إلى عيدا فطرابلس في بيروت واللاذقية والإسكندرونة حتى الحدود التركية شمالاً ، وحتى الحدود العراقية شرقاً ، وبذلك تكون فرنسا قد خرجت بفنائم وألأب كبرى شملت لبنان ، والتسم الأكبر من سورية وكانت الموصل تعد جزءاً من سورية لذلك كانت في هذه الإنفاقية من نصيب فرنسا ، كما أنه تولف منطقة عربية من منطقتي نفوذ فرنسا وبريطانيا ، وتكون مستقلة في شكل اتحاد من دول عربية وفقاً لاتفاق خاص بين فرنسا وبريطانيا ، وأخرجت فلسطين من نطاق الدول العربية وطلبت وضع هذه المنطقة تحت إدارة خاصة ، وفقاً لاتفاقية عقدت بين روسيا وفرنسا وبريطانيا ، وقد خضعت لفرنسا منطقة لونس باليون الأزرق ، تشعل الشريط الساحلي لسورية بما في ذلك لبنان ، ثم جنوب الأناضول بما في ذلك (أفنة) و (مرسن) (والإسكندرونة) وأعطيت لفرنسا حقوق إنشاء إدارة أو مراقبة سواءً بطريق مباشر أو غير مباشر وذلك حسبما يتراءى لفرنسا ، وقد أشيرت إلى منطقة فرنسا بحرف (أ) على الخريطة وتشمل شمالي العراق بما في ذلك الموصل ثم مدن دمشق وحمص وحلب وفرنسا في هذه المنطقة (أ) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية وتقديم المستشارين والموظفين الأجانب عند طلب الحكومة العربية ، أو اتحاد الدول العربية المستقلة . (أنظر الخريطة ص ١٢٠) .

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٣ .

(٢) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٣) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .



أما بالنسبة لبريطانية فأعطيت منطقة لونت باللون الأحمر، واشتملت على أراضي ما بين النهرين بما في ذلك البصرة على الخليج العربي ثم بغداد ، كما حصلت على ميناءي حيفا ويافا في فلسطين ، وأنشأت إدارة مراقبة بنغل وسيلة فرنسا في منطقة نفوذها الزرقاء ، وإلى جانب المنطقة الحمراء ، منحت بريطانيا منطقة أخرى أشير إليها بالحرف (ب) محصورة بين خط طبرية أبو كمال - كركوك في الشمال وبين حدود المنطقة الحمراء في الشرق والجنوب الشرقي والجزيرة العربية في الجنوب ، وكان لبريطانيا في المنطقة (ب) نفس حقوق فرنسا في المنطقة (أ)^(١).

كما نرى الإتفاق على أن تكون المنطقتان (أ)، (ب) الواقعتان بين المناطق الفرنسية والإنجليزية اتحاداً من الدول العربية أو الدولة العربية المستقلة تحت رئاسة رئيس عربي ، على أن تقسم إلى منطقة نفوذ فرنسية وإنجليزية وتشمل منطقة النفوذ الفرنسي المنطقة الداخلية إلى الحدود الإيرانية ، وأن تكون للدولة صاحبة النفوذ (بريطانيا وفرنسا) الأولوية في المعاملات الاقتصادية وتقديم الموظفين والمستشارين الأجانب ، ونرى الإتفاق أيضاً على إنشاء إدارة دولية في فلسطين لا يتقرر شكلها النهائي إلا بعد استشارة روسيا وشريف مكة . كذلك تضمنت الإتفاقية أن يكون ميناء الإسكندرية حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية .^(٢)

واصل المستعمرون الفرنسيون السيطرة على أملاك الدولة العثمانية فاتجهت فرنسا لاحتلال سوريا ولبنان ، لاستكمال خططها الاستعمارية فسد^(٣)

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٥ - ٤٦٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٣) أحمد عسة ، معجزة فوق الرمال ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

الدولة العثمانية لم يكن استعمار فرنسا لسورية ولبنان بفسرارة استعمارها للجزائر فقد وجدت فرنسا فيهما (سورية ولبنان) شعباً لانتج فيه الأساليب التعليمية المقيمة ، أو الإجرامية التي سبّارت عليها فرنسا في مستعمراتها ومحمياتها ووجدت أنه من العبث التفكير في وقتها في التعليم ، ومعاربة اللغة العربية لفرط انتشارها في المدارس الحكومية والخصوصية لما تحدثه في محاربتها من تأثير سيء في سياسة فرنسا العامة ، وفي الشعب السوري واللبناني ، لذلك لم تتعرض للغة والتدريس ، كما لم تتعرض للمجمع العلمي العربي الذي تأسس (١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م) ولكنها فرضت سياسة تعليمية تقوم على أساسين هما : فرض أماليب المناهج الفرنسية في التدريس ، وفرض اللغة الفرنسية على جميع مدارس القطرين ، وقد تفاوت عدد المدارس الفرنسية في أنحاء سورية ولبنان وكلها تدرس العلوم باللغة الفرنسية ^(١) وقد حاربت اللغة العربية بشتى الوسائل وعملت على نشر اللغة الفرنسية ^(٢).

(١) عبدالله عبد الجبار ، الغزو الفكري في العالم العربي ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٣) الميداني ، أجنحة المعكر الثلاثة ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

أما بريطانيا فإن موقفها من الدولة العثمانية جاء متأخراً
بعض الشيء بالنسبة للمواقف الأوروبية الأخرى .

كانت علاقة بريطانيا بالدولة العثمانية - قبل بداية القرن
الثاني عشر الهجري / أواخر السابع عشر الميلادي ، وحتى منتصف القرن
الثامن عشر - تجارية فقط .^(١)

وأثناء الحرب العثمانية الروسية (١١٨٢ - ١١٨٨ هـ / ١٧٦٨ -
١٧٧٤ م) لم تكن المصالح وشرق البحر المتوسط لها أية قيمة لديها
حتى أنه أمكن لأسطول روسيا أن يحتل جزر اليونان والعمورة بارشاد
وموافقة من بريطانيا .^(٢)

وقد أدركت بريطانيا أهمية الإمبراطورية التي أمتها في
شرق البحر المتوسط في أواخر القرن الثاني عشر الهجري / بداية الثامن
عشر الميلادي لذلك رأت أن القيام بالمحافظة على الطرق المروية إلى تلك
الإمبراطورية أصبح هدفاً رئيسياً لسياستها ، وإن أقرت الطرق مابين
أوروبا والهند ، - حيث المستعمرات البريطانية - كان يمر بالبحر المتوسط
فهذا الطريق لم تكن له قيمة اقتصادية فحسب بل وقيمة سياسة لاسدى
بريطانيا ، مما جعل المحافظة على هذا الطريق من الأمور الهامة بالنسبة
لها .^(٣)

(١) Enver Ziya, Osmanlı Tarihi, Part 5, P, 207 .

(٢) Ibid. Part 5, P, 207 .

(٣) ساطع الحصري ، يوم ميلاد ، ص ٤٣ .

(٤) عبدالعزیز رفاعي ، قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٧م .

لقد قامت بريطانيا واحتلت جبل طارق عام (١١٢٥هـ / ١٧١٣م) حتى لا تنفرد روسيا بالسيطرة على تجارة البحر المتوسط مع فرنسا ، حيث كان من أهداف نابليون بونابرت قرب بريطانيا في سياستها الإستعمارية فسارعت بريطانيا بالإتفاق مع روسيا والدولة العثمانية لإخراج فرنسا من مصر بعد عدة إتفاقيات .^(١)

لقد كانت بريطانيا تدرك أن تحقيق أطماعها في الدولة العثمانية قد لا يتحقق إذ لم تقم بالدور الفعال ضد السيادة الفرنسية في المنطقة ، وفرنسا استغلت إنشغال الدولة العثمانية في حروبها مع النمسا وروسيا وحالة الفوضى التي انتابتها نتيجة الحروب والمشاكل الداخلية ، كما أغرأها المواقع الإستراتيجية لمصر ووجود طريق الهند الذي كانت تملكه التجارة البريطانية من الإسكندرية إلى السويس عبر الصحراء ، فوقفت ضد بريطانيا في تلك المنطقة نظراً لموقفها من الثورة الفرنسية في تلك الفترة ، بالإضافة إلى الحرب بين الدولتين التي خرجت منها فرنسا وقد فقدت معظم مستعمراتها في الهند وكندا ، فأرادت فرنسا تعويض تلك الخسارة على حساب بريطانيا التي أجبرتها على ترك مواقعها ، ولقد ثبت أن باحتلالها لمصر تنتظم من بريطانيا وتجهزها على الرغوى لمطالبتها .^(٢)

بناءً على ذلك صدرت الأوامر لنابليون بونابرت في (١٢ ذو الحجة ١٢١٣ هـ / ١٩ مايو ١٧٩٨ م) باحتلال مصر بدون إعلان الحرب ، ويكـون

-
- (١) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .
 (٢) عبد العزيز الرفاعي ، قضية الجلاء عن مصر ، ص ٧ .
 (٣) علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ - ١١٩ .

ذلك سرّاً وخفية من أمين بريطانيا فجهز نابليون جيشاً قوامه ستة وثلاثون ألف محارب مدرب ، وعشرة آلاف بحار ، ويعيشه ثلاثون سفينة حربية ، ومراكب وسفن صغيرة أخرى ، ومائة وإثنان وعشرون عالماً من مختلف التخصصات ، وتحرك الجيش من فرنسا وتمكن من إحتلال مالطة ، وسار بعد ذلك إلى الإسكندرية وأنزل الجند بالقرب منها ، ولم يلبث أن احتلها وقد ترك نابليون بها قائده كليبر ، واتجه هو إلى القاهرة من طريق المحراة ، بعد تغلبه على المقاومة ، وتمكن من دخول القاهرة (١)

(في ١٧ صفر عام ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليو عام ١٧٩٨ م) . (٢)

وحينما علم العثمانيون باحتلال مصر أخذوا يعدون العدة لمحاربة الفرنسيين ، لاسيما وأن الدولة العثمانية كانت مستقرة وهادئة البال من جانب النمسا وروسيا ، حيث كانتا متشغلتين بمحاربة فرنسا ، خوفاً من تسرب مبادئها الحرة إلى بلادهما ، أدركت بريطانيا كل هذه الأعمال الفرنسية وأحست بأن سياستها يجب أن تتخذ العمار الذي بواسطته قد تحقق أهدافها ، فقامت بعرض مساعدتها للدولة العثمانية بهدف إخراج الفرنسيين من مصر . (٤)

وفي حقيقة الأمر كانت بريطانيا تهدف من ذلك حماية طريق الهند من أن يكون في لفة دولة قوية تتحكم فيه وفي ذلك خطر عليها ، فقبلت الدولة العثمانية المساعدة البريطانية بكل ارتياح . (٥)

-
- (١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥٠ .
 - (٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٧٤ .
 - (٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .
 - (٤) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥٠ .
 - (٥) عبدالعزيز توار ، تاريخ العرب المعاصر ، ص ٧٩ .

هذا وقد عرضت روسيا إمداد الدولة العثمانية بمراكب بحرية فوافقت الدولة العثمانية ، وأعلنت الحرب رسمياً على فرنسا ، فبقي الحادي والعشرين من ربيع الأول عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) وأخذت في جمع الجيوش بمدينة دمشق ، وجزيرة رودس ، لإرسالها إلى مصر ووصلت البحرية الروسية من البحر الأسود إلى بوفار إسطنبول ، وخرجت إلى البحر المتوسط مع السفن العثمانية .^(١)

وعندما علم بونابرت بذلك الاستعداد ، وجد أن الحرب لن تكون في حاله إذا لم يهاجم الدولة العثمانية في بلاد الشام ، ويحتل القطر السوري ، فلهذا عزم نابليون على الإستيلاء على بلاد الشام فاتجه من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصداً الشام من طريق العريش فاحتلها في أواخر شعبان عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) ودخل مدينة غزة في التاسع عشر من رمضان من نفس العام ، وسار منها في ثلاث وعشرون من رمضان ووصل الرملة في خمس وعشرين منه ، ومنها اتجه إلى يافا فوصلها في سبست وعشرون من رمضان واحتلها بالقوة في أول شوال ، ثم مضى إلى عكا ووجد فيها مقاومة عنيفة ، وقيل وموله إلى يافا قام بعملية وحشية لا إنسانية حيث قتل من معه من الجرحى والمرضى من جنده حتى لا يعيقوا تقدمه ، وعاد بعد ذلك إلى القاهرة .^(٢) عندما علم نابليون بالندوم الجيش العثماني من رودس ونزوله بأبي قير في جيش بلغ ثمانى عشرة ألف مقاتل ، سار بونابرت لحربهم وانتصر عليهم وأسر قائدهم الأكبر مصطفى باشا ، وفي هذا الموقف لعب البريطانيون لعبتهم فالقائد البريطاني (الأميرال كيث)

(١) على حنون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

(٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٧ .

(٣) على حنون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

أرسل لنابليون عدة نسخ من الجرائد الفرنسية والتي توضح انتصار النمساويون على فرنسا وشيوع الفوضى بها فأراد نابليون استغلال الفرصة للوصول إلى المطلة فارتحل إلى فرنسا خفية ، وترك قائده (كليبير)^(١) وكيلاً عنه في مصر .^(٢)

عندما علمت الدولة العثمانية وبريطانيا برحيله فبالت الخناق على قائده في مصر ، وشنّوا على عدد الجيش الفرنسي ويكن القاسد (كليبير) من الحفاظ على مصر ، فاتفق مع الباب العالي والأميرال البريطاني (بدني سميت) (٢٠ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٠ م) على أن تنسحب العساكر الفرنسية بسلّاحها ومدافعها ، وتعود إلى فرنسا على مراكب بريطانية ، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق ، واستمر الفرنسيون في مصر إلى أن تم انسحابهم منها في (ثمان وعشرين من صفر ١٢١٦ هـ / ١٠ يوليو ١٨٠١ م) .^(٣)

إن موقف بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية ، كان انطلاقاً من محافظتها على مصالحها ، فعندما تعرضت تلك المصالح للخطر الفرنسي على يد دولة منافسة لها وضعت يدها في يد الدولة العثمانية لحماية تجارتها في الهند من منافسة دولة قوية كفرنسا ، وحاربت مع الدولة العثمانية إلى أن خرج الفرنسيون من مصر ، وأطمأنت على مستعمراتها في الهند ، ومع العلم أن بريطانيا ساهمت في طرد الفرنسيين من مصر إلا أننا لانعفيها كدولة أوربية من أطماعها الإستعمارية التي كانت ترغب في تحقيقها في

(١) محمد كمال الدوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٨ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٢٧٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

الشرق الأوسط ، فهي لا تختلف عن فرنسا وألمانيا ، فكل منهما لا تهتم بمصلحة الدولة العثمانية ، بقدر اهتمامه بمصلحته الذاتية ، وتحقيق ما يمكن تحقيقه من مناطق نفوذ الشرق الأوسط .

إذا كانت الحملة الفرنسية عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) قد أثرت على مستقبل مصر السياسي في القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، فإنها أدت أيضا إلى ازدياد نشاط بريطانيا في الشرق العربي ، فلقد أحدثت هذه الحملة الفرنسية ردود فعل مباشرة على منطقة الخليج العربي وأصبح التنافس السياسي الحرس بين بريطانيا وفرنسا هو الوجه لتاريخ المنطقة لعدة سنوات ، فقد أدى ذلك إلى تغير سياسة بريطانيا بالدولة العثمانية فلم تعد هذه السياسة تجارية فقط بل قطرت هذه العلاقات إلى الناحية السياسية ، وتولت وزارة الخارجية البريطانية تعيين السفير البريطاني في إسطنبول ، كما أدت هذه الحملة إلى تدخل بريطانيا السياسي في منطقة الخليج العربي .^(١)

عملت إنجلترا على إقامة علاقات صداقة مع كل من سلطنة عمان ، والعراق . ولقد حاول هونابرت في عام (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) التحالف مع سلطان عمان ضد بريطانيا ولكنه فشل ، وفي نفس الوقت أرسلت شركة الهند أحد موظفيها من الفرس - مهدي علي خان - للتفاوض مع السلطان في عقد اتفاق معه في (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) وقع مهدي علي خان أول معاهدة سياسية ربطت بين سلطنة عمان وبريطانيا ويظهر من نصوص هذه المعاهدة إنها تهدف إلى إقصاء فرنسا أكثر من كونها علاقة صداقة مع سلطان بن

(١) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٢٩ .

(١) أحمد حاكم عمان ولكنه فشل .

وقد نجحت بريطانيا في عمان وقوف العراق بجانب بريطانيا في النزاع الذي انتقل إلى الشرق الأوسط .^(٢)

كما وقعت بريطانيا اتفاقية مع حكام البحرين عام (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م) كذلك وقعت معاهدة الحماية مع أمراء الكويت (عام ١٢١٧هـ / ١٨٩٦م) وبعد ذلك اعترفت بريطانيا بالكويت كنزلة مستقلة تحت حمايتها فهي (٣ نوفمبر ١٩١٤م) وريث باقي الإمارات العربية بمعاهدة حماية، ولم تخضع للنفوذ الاستعماري الغربي الأراضي السعودية واليمن حيث كانت ترابط بينهما القوات العثمانية، ثم لم يلبث أن ظهر الملك عبدالعزيز، وعمل على استرداد ملك آبائه وأجداده فبدأ باستعادة الرياض عام (١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م) ، وان علاقة الملك عبدالعزيز ببريطانيا لم تكن كغيرها من الدول .^(٤)

لم تكن دول الخليج العربي وجنوب البحر الأحمر آخر عمليات السطو المباشر على أملاك الدولة العثمانية، فلقد تعكنت بريطانيا من إبعاد فرنسا من سباق المنافسة معها فاحتلت مصر عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) ، فبعد الهزيمة التي لحقها محمد علي باشا (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م) أصبح

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ الشرق العربي ، ص ٢٢٩ .

(٢) نلس المريج السابق ، ص ٢٤١ .

(٣) أحمد حسن جودة ، المعاليم البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩م .

ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٤) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، ص ٩٦-٩٨ .

(٥) ل . ج . شين ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٢٨٨ .

لبريطانيا النقيب الكبير في تعذيب بها شعها لعمر، دون دفع رسوم تذكر،
 وكثرت الديون المصرية من البنوك البريطانية في عهد الخديو إسماعيل،
 فبيعت أهم القناة لبريطانيا^(١)، وفي عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) بدأت
 القوات البريطانية بالقصف الإسكندرية ، فأعذر أحمد عرابي وزير الحربية
 أوامره إلى القوات المصرية بمقاومة البريطانيين ، ولكن الخديو
 توفيق انحاز إلى جانب المحتلين ، وأعذر أوامره إلى أحمد عرابي
 بوقف إطلاق النار، وعندما رفض عرابي ، أعلن الخديو عصيانه وعزله من
 وزارة الحربية ، ومما مكن بريطانيا من السيطرة على مصر أن مهندس القناة
 فرديناند ديلسيس ، الذي تعهد لأحمد عرابي بوقوف القناة على الحياد، أهمل
 بوعده^(٢) فوصل الإنجليز إلى الإسماعيلية ومنها إلى القاهرة عن طريق قناة
 السويس ، بعد أن ألحقوا هزيمة بالقوات المصرية في النبل الكبير، وفرضت
 القوات الإنجليزية التعويضات على الشعب المصري ، وحكم على أحمد عرابي
 وأنصاره بالموت ، الذي استبدل بالنفي إلى جزيرة سيلان ، وأصبح السلورد
 (كرومر) الإنجليزي حاكماً مطلقاً على مصر .^(٣)

(٦)

بدأت بريطانيا ترنوا ببحرها نحو السودان والسيطرة عليه ،
 بعد أن أطمعته إلى إخلاسه من القوات المصرية ، فوصلت حملته إليه كان أكثرها
 من البريطانيين ، والبقية من المصريين والسودانيين ، بقيادة (كثنسر
 سردار) القائد العام ، وقد لقي الجيش البريطاني مقاومة عنيفة من المهسدي

(١) عبد الرحمن الرافعي ، عصر إسماعيل ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٢) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ج ١ ، ص ٩٦-٩٨ .

(٣) إل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .

(٤) أحمد ثلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٤ ، ص ٤٠٨ .

(٥) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة محمد على ، ص ١٥٣ .

(٦) إل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .

في السودان ، ولكن بعد وفاة المهدي تمكنت بريطانيا من احتلال السودان ، وقد قامت على أثر ذلك حركات المقاومة حيث سجل السودان ثلاث حركات تحريرية هي : حركة المهدي في السودان ، وحركة الشوا^(١) الأبيض ، وحركة الخريجين ، إلى أن نال السودان استقلاله عام (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م)^(٢) .

لم تكن بريطانيا بما سيطرته من أملاك الدولة العثمانية ، بل اتجهت نحو بلاد الشام ، وقسمتها فيما بينها وبين حليفاتها فرنسا طبقا لاتفاقية سايكس-بيكو عام (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م)^(٣) ، لقد كانت بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية تكون وحدة سياسية واحدة ، وعند قيام نظام الإنتداب عام (١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) قسمت بلاد الشام إلى أربعة أقسام^(٤) سياسية : سورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، أخذت بريطانيا فلسطين وشرق الأردن وفرضت عليهما الحماية البريطانية .

وفي ظل الإنتداب البريطاني بدأت ثلاث فئات اليهود تغزو فلسطين ، وتقوم بإعداد المستعمرات ، والسطو على الأراضي العربية وتحويلها إلى مستعمرات يهودية ، وبذلك زرعت هذا الكيان القذر فصار بؤرة فساد وشوكة في جنب الأمة الإسلامية يقوم بالإرهاب والإغتصاب والإعتداء^(٥) .

أما باقي بلاد الشام فكانت من نصيب فرنسا كما أشرنا إلى ذلك حيث استولت على سورية ولبنان وفرضت عليهما حمايتها إلى أن نالت

(١) على حسن ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٨٢ - ١٨٤ .

(٢) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢٢٣ .

(٤) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٢١ .

(١) هاتان الدولتان استقلالهما عام (١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) .

لم يكن سبيل الإحتلال والعدوان المملوح هو الطريق الوحيد الذي إتخذته بريطانيا ، بل سلكت سبل أخرى لحماية مصالحها في الدولة العثمانية .

إن بريطانيا لم تتورع عن مساعدة أبناء جلدتها ومساعدتهم في شمردهم ضد الدولة العثمانية عند شعورها بالخطر ، فعندما بدأ التمرد اليوناني ، أخذ الرأي العام في بريطانيا يؤيد هذا التمرد، وأعلنت بريطانيا أن المتطرفين محاريون ، حتى وصل بهم الأمر أن طلبوا من الدولة العثمانية حماية اليونان ، ولكن رفض ذلك الطلب ————
(٢)
(١٣٤١ هـ / ١٩٢٥ م) .

لقد كانت بريطانيا قلقة من توليد محمد علي ألدائه في البحر المتوسط، لأنها ترى في ذلك إضراراً بمصلحتها، ولهذا اتفقت مع روسيا ضد الدولة العثمانية عام (١٢٤٢ هـ - ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٦ - ١٨٢٧ م) على أن يستقل اليونان وأن يدفع للدولة العثمانية غريبة معينة على أن يخرج جميع الأتراك من اليونان ، ثم انضم إليهم في هذا الإتفاق فرنسا ووقعوا معاهدة لندن^(٣) عام (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م) وبُليخ هذا القرار إلى كل من النمسا وفرنسا وبروسيا ، وبُليت الدولة العثمانية بالقرار وفي حالة عدم موافقتها عليه ، فإن بريطانيا سوف تقف بجانب المتطرفين

(١) لورانس ، لغز الجزيرة العربية ، ص ٢٥٧ .

(٢) إميل خوري ، وعادل إسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي، ص ١٨ .

(٣) Enver Ziya, Op, Cit., Part 5, P, 117 .

باليونان ، أما إذا وافقت على القرار فسوف يظل إطلاق النار ، وعندما رغبت الدولة العثمانية ذلك اجتمعت فيها الدول الأوروبية (فرنسا ، روسيا ، بريطانيا) وهاجموا الأسطول العثماني والمصري في ميناء * نافارين (نافارين) وقد تسبب دخولهم ميناء * نافارين في حرب بحرية ، وأفرقت جميع السفن العثمانية والمصرية عام (١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ م) في نافارين .^(١)

واعلمت الدول الطليبية تحزبها ضد الدولة العثمانية فوقعنت معاهدة سان ستيفانو عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) بين روسيا والدولة العثمانية وبموجب هذه الاتفاقية فقدت الدولة العثمانية جميع ممتلكاتها الأوروبية .^(٢)

مما تقدم نلمس أن بريطانيا كغيرها من الدول الأوروبية الأخرى ، وقعت من الدولة العثمانية موافق الحقد والطمع في آن واحد ، فحققت أهدافها وأطماعها في الدولة العثمانية ، عن طريق السيطرة على الكثير من المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية ، إما بالاستيلاء والإحتلال العسكري ، أو بالتحالفات مع الدول الأوروبية ، أو بتحريض دول البلقان والقوقاز على جانبها أثناء قيامها بالثورة ضد الدولة العثمانية ، كمساعدتها للثورة اليونانية ووقوفها إلى جانب اليونان ، وتزويدها بالسلح ، إلى أن نالت استقلالها ، وبذلك اقتطع هذا الجزء من الدولة العثمانية كما اقتطع غيره من فسيل تحقيلاً للأعداء الإستعمارية البريطانية في الدولة العثمانية ، ثم أنها تمكنت من الاستيلاء على مناطق مهمة (واستراتيجية) في الشرق الأوسط وربط بعض المناطق بمعاهدات واتفاقيات ، تجعلها تحت حمايتها وهكذا كان الموقف البريطاني من لدولة العثمانية موقفاً له آثاره البعيدة والعميقة ، ليس على الدولة العثمانية أبان ضعفها وإنما على العالم العربي ، في فترة ما بعد الحكم العثماني .

(١) Seton - Watson, Magh. The Russian Empire P. 298.

(٢) على حسن العثمانيون والبلقان ، ص ٢٤١ .

الفصل الثالث

رُدُّودُ الْفِعْلِ الْأَوْرَبِيِّ عَلَى الْوُجُودِ الْعُثْمَانِيِّ فِي أَوْرَبَا

- ١- الرأى الأوربى العام وآراء المؤرخين فى الدولة العثمانية .
- ٢- الحملات الشهيرية بالدولة العثمانية .
- ٣- تضاؤل الوجود العثمانى فى أوربىا .

لقد كان لانتشار الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية الأولى الأثر العظيم على نفوس أعدائه من الغربيين ، حيث اعتبروه خطراً بهيـدد مسيحتهم ، واستمر العرب في نفوس المسيحيين يأخذ طريقه كلما تحقق للدولة الإسلامية إزدهار وتوسع . فما أن كان القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي حتى شعر أعداء الإسلام بأن الأجداد الإسلامية وصلت إلى عتق دارهم ، فبدؤوا يحتدون على كل من يحمل لواء الإسلام ، ويبدؤوا كعادتهم برون أن من واجبهـم التمـدي للفتح الإسلامي بالكلمة والسلاح على حد سواء . ولأن الدولة العثمانية هي التي كانت تحمل لواء الإسلام وتنشره في جنوب شرق أوروبا ، فقد شعرت أوروبا - وهي حاتمة - بأن الإسلام خطر عليها وعلى مسيحيتها ، وإن في كلمات الأسقف وليام كاش في كتابه (النصرانية والإسلام) أبلغ دليل على ذلك إذ يقول (إن فرائض أوروبا كانت ترتعد عندما يعلن الخليفة التركي الجهاد) ، ولهذا القول وزنه الكبير لاسيما وأن صاحبه من كبار رجال الكنيسة ، وقد استطرد كاش قوله : وينبغي لنا أن نعتبر بتاريخين هما : عام (١١١٤م / ١٧٣٢م) عندما هزم شارل مارشال العرب في موقعة جواتيه (بلاط الشهداء) و عام (١٠٩٥م / ١٦٨٣م) عندما رد يوحنا الثالث البولندي الجيوش التركية من فيينا ، وقد أتخذ الأتراك الهلال رمزاً لهم في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي باعتباره رمزاً دينياً وحرية^(١) ، ويذكر الأستاذ ردجواي : " أن الهلال هذا لاملالة له بالقمر ، يسل يمثل نابيين من أجل الإنقاذ على الفريسة (أوروبا) وهذا يمثل صورة واضحة لسياسة الدولة العثمانية في إخضاع الشعوب الأوروبية ، فإذا رجعنا هلالاً على خريطة جغرافية فإن أحد طرفيه يبدأ من جبال البرنس ويعبر إتحناوة عبر

(١) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

أسبانيا فشمالي إفريقيا فمصر وفلسطين وسورية والسنځور ، والسنځرف
الأخر في فينا ، إذاً لاستطعن أن نرسم في أذهاننا صورة واضحة للمعننى
المتمثل في العظام الإسلامية ، وبذلك يكون ، أحد طرفي الهلال في أسبانيا
والآخر في النعمسا ، ولقد عملت الجيوش الإسلامية ليلوځ ذلك اليوم الذي
تلتقي فيه النقطتان في قلب أوربى :^(١)

ومهما يكن في هذا التمثيل من البعد عن الحقيقة ، إلا أنه
يعطى صورة واضحة عن الشعور الأوربى العام تجاه العالم الإسلامي ، وامتداد
الدولة العثمانية ممثلة الإسلام نحو أوربى ، وفي ذلك بيان لشعور الهلنځ
والذعر والخوف الذي عاشته أوربى طوال تلك السنين ، كما أنه معاً لاشك
فيه أن الشعور الأوربى الدينى كان عنيفاً ضد المسلمين ، والتعصب الدينى
لعب دوراً كبيراً في حركة تشويه الإسلام وسعة العرب ، والتعمية على
حضارتهم ، ومما لا يتطرق إليه شك في أن الصهيونية والإستعمار تصافرت
جهودهما مع التعصب الدينى ، وبذلك تحزبت تلك القوى ضد العالم الإسلامي
وانبثت مخابراتها فيه ، ولاتزال تعمل من أجل السيطرة والشأمر عليه بشننى
الطرق والوسائل للومول إلى أغراضها .

كذلك نرى أن الأوربيين ساروا للفتوحات العثمانية في أوربى
على أنها فتوح إسلامية ، وتعمق ذلك الشعور في أذهانهم ، أن أي نصر
عسكري تحققه الدولة العثمانية يمثل نصراً للإسلام وهزيمة للنصرانية
فباسم الإسلام فتح السلطان محمد الطانځ القسطنطينية عام (٨٥٧ هـ /
١٤٥٣ م) وأتخذها عاصمة بعد أن استبدل أممها (باسلام بول) وأخذ
بتنفيذ المشروعات الخاصة بالمدينة ، وكذلك باسم الإسلام أخذ يخطط وينظم
للاستيلاء على روما مقر البابوية ، وبالفعل نزلت القوات العثمانية
(١) فيليب حنى ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢١ .

في أوترانتوا في مملكة نابولي عام (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) وأسرت إحدى عشر ألفاً من سكانها ، وأعتزم السلطان اتخاذها قاعدة للانطلاق في شبه جزيرة إيطاليا ، للوصول إلى روما ولكن العنية عاجلته قبل تنفيذ ذلك الحلم الرابع ، وبذلك تنفست أوروبا الحعدة^(١) . حين علمت بوفاته ، فأمر البابا أن تقام صلاة الشكر ثلاثة أيام .^(٢)

أولت الجيوش الإسلامية العثمانية في أوروبا حتى بلغت مشارف فيينا ، وتعاقد العداوة بين أوروبا المسيحية والعثمانيين حكام الدولة الإسلامية ، فلم يكن عجباً أن الأجيال المتعاقبة من الأوروبيين الذين عاشوا الدولة العثمانية على امتداد تاريخها قد ربطت بين الإسلام والدولة العثمانية ، ورسم في أذهان الأوروبيين أنها الرمز الحي للإسلام ، لذلك عندما كان أحد الأوروبيين المسيحيين يعتقد الإسلام فلا يقول عنه الأوروبيون أنه أصبح عثمانياً بل يقال عنه أنه أصبح مسلماً^(٣).

وهكذا ارتبطت الدولة العثمانية بالإسلام وأرتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، وتعاقد العداوة والتحد والكراهية بين الحكومات الأوروبية ضد الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

لذلك فقد استيقظت الشعوب الأوروبية لتجد نفسها لأول مرة تخضع لحاكم مسلم ، وعملت جاهدة لتعطية هذا الوجود الإسلامي العثماني في أراضيها وأسهمت معها دول أوربية أخرى ، لم يعمل أيها الحكم الإسلامي ، جمع بينهم هدف واحد وغاية واحدة هي الانتصار للمسيحية والقضاء على الإسلام ، وتوزيع

Bernard Lewis., The Emergence of Modern Turkey, P, 13. (١)

Ibid., P, 13 . (٢)

Ibid., P, 13 . (٣)

ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينهم ، وإنهاك قواها وتشتيت تركيبها في جهات شتى ، وذلك بتحريض رعاياها على الثورة في مقاطعاتها المختلفة ، وإمدادهم بالأسلحة والمال لأجل ذلك ، وكفتك برعايا الدولة المسلمين ، وتعدهم بالتعويض فيما لو فشلت هذه الثورات ولم تحقق أغراضها .

تلك كانت مقدمة من الإنطباع الأوروبي العام عن الدولة العثمانية التي فتحت في أوروبا باسم الإسلام ، وعملت على نشره ، وسرى بعد ذلك في الصفحات التالية ، آراء المؤرخين الأوروبيين في الدولة العثمانية ، وهم في هذا الموضوع ينقسمون إلى فئتين : الفئة الأولى وهي التي كتبت عن تقدم العثمانيين إلى أوروبا ، وفتوحاتهم وانتصاراتهم ، وأسندت ذلك عن عمد إلى البطش والثوة والقهر والجوع ، أما الفئة الثانية فهي معتدلة وذكرت مايجب ذكره تجاه الدولة العثمانية ولو على مضض .

من أمثلة الفئة الأولى ما ذكره هربرت فشر عن تقدم العثمانيين نحو أوروبا حيث أورد : أن العالم الأوروبي في تلك الفترة لم يكن قادراً على توحيد جهوده ومقوفه ، فقد ساء التفكك والانقسام والنزاع والخصومة الشديدة بين الكنيستين الشرقية والغربية ، كل ذلك مكن العثمانيين من تشيبت أقدامهم وتوسيع رقعة بلادهم ، وتقدم فتوحاتهم باتجاه أوروبا .^(١)

والمؤرخ الآخر هو ربنسون الذي يؤيد قول زميله السابق ، فيقول أن دول البلقان ذات التكوين الضعيف لم تستطيع الوقوف ضد قوة العثمانيين^(٢) وبذلك أنتصر الأتراك في أرض المعركة ولم تعتمد أمامهم تلك الدول ، كما

(١) هربرت فشر ، أصول التاريخ الأوروبي ، ص ٢٧٤ .

(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101 .

ذكر بروكلمان أن وقع البلقان والنزاع المتوغل بين صفار الأمراء* وتنازعهم على السلطة أدى إلى أن يتوجه السلطان مراد بن أورخان إلى البلقان، ويشن هجوماً على أولئك الأمراء* ويتمكن من تحقيق الإنتصار عليهم .^(١)

وهذا مؤلف آخر يحاول أن يصف العثمانيين بعدم تقدير الحضارة والإهتمام بها ، فيذكر أن العثمانيين لم يقيموا للحضارة الأوروبية وزناً ولم يدرکوا قيمتها حيث عاش العثماني قريباً في أوروبا ، ليس له نصيب من عاداتها وتقاليدها ، ولا تتعدى نظره إلى البشرية إلا أنها لاتلمح إلا للإسترقاق والعبودية والتبعية.^(٢)

وهذه مؤلفة أخرى هي ماري ملزباتريك توف الجيش الإنكشاري بأنه جيش الأرقاء* لخدمة السلاطين وحمايتهم .^(٣)

وهذا آخر يحاول التقليل من أهمية الفتوحات العثمانية في أوروبا ويررر الهزائم التي لحقت بهم في أوروبا التي انهيار البنيان الإجتماعي حيث كان الفلاح يكن تحت الضرائب البهزنتية ، والصراع الكنسي رهيب .^(٤)

ولم تخل كتابات مؤرخي أوروبا من التهم والمخبرية من طريقة الحياة ، والمعيشة العثمانية فيصف فشر البيت العثماني بأن قزائر الأوروبي

-
- (١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
 (٢) فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .
 (٣) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٢ فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢١ .
 (٤) Norman Itzkowitz, Op, Cit., P, 13 .

إذا رأى البيت العثماني خيل إليه كأنه رأى بيتاً مهجوراً من البيوت المعلقة بقصور الأتراك في ريف إنجلترا، وكان جماعة من المسافرين مشروا فمضى طريقهم على هذا البيت فالتفوه خائباً إلا من تراب الإهمال فأخذوا في تهيبته للإقامة به بضعة أيام^(١).

ويستطردنشر في وصفه للعثمانيين حيث يقول : إن خلقهم أمتاز بشيء غير قليل من الهيبة الممتزة بوقار السلطنة وبأن تفكيرهم لا يتعدى لزوميات الحكم الإمبراطوري مبادئ الأوليغاركية الإستشارية، وهي المبادئ التي تعتمد على الرقيق وتنظر إلى البشرية المحيطة بها كأنها لا تملح إلا للإسترقاق والعبودية، وجاء هذا الرأي متفقاً مع رأي المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي حيث قال : " إن طائفتهم الرعوية انتقلت نقلة فجائية من رعاة لقطمان إلى حكام إمبراطورية ومثل كل البشر فإن الحلول التي استعانوا بها لمواجهة المشكلات التي استجدت عليهم كانت متأثرة بتجاربيهم السابقة، فمازال عالماً بتفكيرهم أنهم رعاة وكل ما في الأمر أن قطعانهم لم تعد من العاشية بل من البشر ولكي تظل هذه القطعان البشرية تحسب سيطرتهم فقد أنتقوا وتربوا كلاباً (الإنكشارية) لحراستها وصادفوا متاعب أشد في تربيتها وتدريبها من تلك التي صادفها أسلافهم الرعاة"^(٢).

وهذا فشر أيضاً في وصفه للشخص التركي يذكر أنه كسولاً خاملاً ، طغياً غيبياً ، لا يملح للعمل في الصناعة والتجارة ، لذلك رغب للمسيحيين بممارسة العمل في تلك المهن ، وكان لا يملك الثقافة اللازمة به فعاش

(١) فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٣٦٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .

(٣) Toynbee. A Study of History, The Osmanlis, Part 3, P, 22 .

اليونانيون والبلغار والصرب تحت حكم عثماني متراخ غير منظم يعارضون
شماخهم الدينية ويحتفظون بعاداتهم ، وقد ميز الحكم العثماني في أوروبا
ظفيانه وتسايله ، حيث أبدى الأتراك إهمالاً وعدم مبالاة بل واحتقاراً
للمنارات القائمة بين الكنائس المسيحية .^(١)

ومن فتح العثمانيين للقسطنطينية ذكر عدد من مؤرخي
الغرب ذلك الفتح وأتروا ما تكنه صدورهم من الكراهية والحقن ضد السلطان
محمد الفاتح فعند فتحه للقسطنطينية عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) عسند
فريق ممن كانوا محاصرين فيها إلى تسجيل وقائع الحصار وما أعقبه من
دخول السلطان والجيش إلى المدينة ، وأفعالهم فيها ، في مقدمتهم (جورج
فرانتزنس) صديق الإمبراطور قسطنطين وأمين وماحب مشورته وقد أسروا
أهله بعد الفتح ثم أطلق سراحه بعد ذلك ، فاتجه إلى المورة ومنها إلى
إيطاليا ، وكتب كتابه في تاريخ الدولة البيزنطية من (١٢٥٨ - ١٤٧٦ م)
وأورد فيه ما شهد من أحداث بنفسه لاسيما فتح القسطنطينية ، وقد ضمن
كتابته هذا أحقاده على العثمانيين وعلى رأسهم السلطان محمد الفاتح
فتناول ما تقول على ما أملاه عليه حقه وتعممه .^(٢)

وهذا الكاردينال أيسدور الذي بعثه البابا للقسطنطينية لتوحيد
الكنيستين الشرقية والغربية كان أول ما فعله بعد خروجه من القسطنطينية
إلى إيطاليا أن استنقردول النصرانية إلى حرب العثمانيين وصج جام غضبه
على السلطان محمد الفاتح ، وقال عنه أنه عبالشيطان وابن إبليس ، ومثل

(١) نشر ، في أصول التاريخ الأوروبي ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٢) سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١١ - ١٢ .

تلك الروح المتعصبة نجدتها عند الكثير من مؤرخي أوروبا ، أمثال جيبون ، وبيوري، وهمر ، الذين أعترفوا أنفسهم بتعصيب مؤرخي الغرب ولم يسلّموا هم من ذلك التعصب .^(١)

فعل كثير من مؤرخي الغرب على إصاقي الكثير من الأعمال السيئة والتي لا تستقيم مع الدين الإسلامي ومع سلاطين آل عثمان كملعبين كقول أحد مؤرخي أوروبا (ثو) حيث يورد أن السلطان محمد الفاتح لم يستطيع التخلص من تأثير العذر الأعظم ، ولكنه استطاع أن يمنع الخطر الملحوظ عليه من أخيه الأصغر، فقتله وهذا الأمر أصبح سنة لمن جاء بعده من السلاطين سلامة الدولة والمحافظة عليها من النزاعات على العرش، يؤيد رأي ذلك مؤرخ آخر هو برنارد لويس ، حيث يقول: إن الأمراء المغار بعد سن البلوغ يبعثون لحكم المقاطعات في الأناضول ، ثم بعد ظهور كفائتهم يختار منهم ولياً للعهد، ولتجنب الصراع على تولية الحكم اتخذ العثمانيون ماعرف بنظام قتل الإخوة وكانت هذه القاعدة معمولاً بها منذ القدم، حيث أشار إليها الإمبراطور يوحنا السادس كقاعدة مألوفة بتأييد دستوري من السلطان محمد الثاني ويتسجيلها في القوانين الأساسية للدولة العثمانية.^(٢)^(٣)^(٤)

لم يهدر مثل هذا القانون من السلطان محمد الفاتح ولا غيره من السلاطين العثمانيين ، فليس في الإسلام قانوناً يخول قتل الإخوة بعضهم بعضاً حيث أورد ذلك على همت الأتسكي وهو ممن كان يعمل بالقضاء، وأكد أن ذلك لم يهدر عن السلطان محمد الفاتح أو غيره من السلاطين .^(٥)

(١) سالم قرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ١٣ - ١٤ .
Stanford, Op, Cit., P, 56 .

(٢)

(٣) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ .

(٤) Lewis Bernard, Istanbul, PP, 33 - 34 .

(٥) على همت الأتسكي ، المعامل العثماني أوالفتح السلطان محمد الثاني، ص ٩٩ .

وهذا رأى مؤرخة أوربية في السلطان محمد الثاني حيث أوردت بأنه من أغرب الشخصيات في التاريخ ، فهو بطبيعته شرقي ، مستبد لا يعرف شيئاً عن الروح الديمقراطية ، ورجل هذه أهواء الشخصية لا يطمئن الإنسان على رأسه إذا عاشه أو اشتغل معه فهو بكلمة واحدة قد يطلع الأعناق .. ثم تعود لتناقض نفسها فتقول وهو من شاحية أخرى رجل متعلم حريص ، بل والأدهى من هذا أنه كان له نفسية الشاعر ويعترف بأهمية العُلوم والترسية .^(١)

يحاول برنارد لويس أن يشير الحقد بين المسلمين بعضهم البعض فيذكر * أن حروب سليم الأول قد جبرانه المسلمين بعد نصف قرن وهم الأراضي العربية في آسيا وأفريقيا إلى الإمبراطورية العثمانية قد قوى ذلك التقليد الإمبراطوري الإسلامي " .^(٢)

وحقيقة الأمر أن التقدم العثماني نحو المشرق العربي زمن السلطان سليم الأول في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي له عوامل وأسباب مباشرة وغير المباشرة والتي أهمها الخطر الشيعي من ناحية الشرق (الدولة الصفوية الشيعية في فارس) ثم ضعف الدولة المملوكية عن مقاومة الغزو البرتغالي القادم من الجنوب والمستهدف الأمة الإسلامية ، والأماكن المقدسة واتحادها مع الشيعة ضد الدولة العثمانية السنية حيث لم تستهدف الدولة العثمانية من ضم البلاد العربية الاستعمار .

ويصف فيليب حتي ، نظام الحكم العثماني فيقول : إن نظام

(١) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٤ .

(٢) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ .

الحكم الإمبراطوري ، أخذ يتفتح شيئاً فشيئاً حيث كان هذا النظام فسي جوهراً ، بدأ سلطان من حلب عثمان ، فحسب هذا النظام كانت سلطة الدولة تنحصر في جماعة عسكرية تعرف بأصحاب السيف ، وتشمل الوزراء وحكام الولايات وقواد الجيش وضباطه ، ومهما بلغت رتبة الموظف فسي الحكومة ومهما سمى رتبته ، فإنه كان يظل عبداً تحت رحمة سيده السلطان وفي مقدوره أن يقتله ساعة ما يشاء ، هذا عدا حق العصانة التي كان يمارسها السلطان ، وكان المجتمع الإنساني في هذه الإمبراطورية يتألف من مزيج من أديان ، ولغات وأعراق بشرية مختلفة ، مسلمين وأروام وأكراد وعرب ، وأرمن وسلافي ونصارى ويهود يربطهم جميعاً رباط غير طبيعي رباط السيف الذي كان يسلطه على أعتاقهم الخلفاء العثمانيون .^(١)

إن ما أورده آنفاً المؤرخ فيليب حتي ، أملاه عليه حقد وكراهيته للإسلام ، إذ لو صح ما ذكره من تسلط الحكم وغلبة السيف وقهر أهالي البلاد المفتوحة لو صح أنها فتحت بالسيف لما بقي أحد منهم على دينه ولا كره الجميع ممن ذكرهم بالسيف على الدخول في الإسلام ، ولكن يترفع الإسلام عن ذلك الظلم والظلم فقد ترك الحرية لكل من أراد أن يدخل في الإسلام أو أن يبقى على دينه .

واصل مؤرخو الغرب ص جام حقدهم على الدولة العثمانية ، فبدأوا يطلقوا عليها التسميات التي تنتقص منها ويشهرون بها ومن تلك الألقاب ، ما حدث في العصر الحديث عندما أطلق قيصر روسيا نيقولا الأول لقب (الرجل المريض) الذي لا يبرح شفاؤه^(٢) وعملت أوروبا حاهدة للخلفاء على الدولة

(١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .

(١)
العثمانية لانقسامها وتحليق مصالحها الإقتصادية *

لقد كانت الدولة العثمانية مصدر رعب وقلق للعالم الأوربي نتيجة لما تمتعت به من القوة والتقدم الحربي والثقل السياسي خلال القرنين التاسع ، والعاشر الهجري ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، وأصبحت دولة قوية يحسب لها في أوروبا ألف حساب فلا غرو إن حصدتها الحاسدون وتحرب ضدها المفرضون ، وحقد عليها الحاقدون *

أما الفترة الثانية والتي أبدت إعجابها بالدولة العثمانية ولو على مضي ، وأن لم يخل ذلك من الحسد فعنها ريتشارد نولز مؤرخ عصر اليزيت ملكة إنجلترا (١٥٥٨ - ١٦٠٣ م) حيث وصف الشعور الأوربي العام تجاه الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد أوروبا فكتب هذه العبارة معبرة عن إعجاب مشوب بالحقق ضد الدولة العثمانية (إن الإمبراطورية العثمانية هي مصدر الرعب في العالم) .^(٢)

وهذا توماس أرنولد في مؤلفه (الدعوة إلى الإسلام) يبسدي رأيه في السماعة الدينية التي تمتع بها رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين فيقول .. حيث سارع الكثيرون من الإفريق والذين كانوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية سارعوا إلى الدخول في الإسلام ، واعتبروا العثمانيين مخلصين لهم ، وأنفل من بني جلدتهم بخافة الذين قد عانوا الكثير من الإضطهاد على أيديهم .^(٣)

-
- (١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٤٠ .
(٢) الشاوي ، الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ، ص ١٥ .
(٣) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٧٢ .

وهذا مؤلف آخر يعترف بما حققه الإسلام للفلاحين في أوروبا من العدل والأمن ، فيذكر رفلا لوييس أن الفلاحين في ظل النظام الكنمسي يعانون الكثير في جمع الضرائب ولكن عندما عرفوا النظام الإسلامي فسي الأموال وجدوا أن أخذ الجزية من غير المسلمين ، هو أرحم بكثير من نظام سادتهم السابقين ، وأن الساحة الدينية لدى العثمانيين أقوى ففعلوا نظام الإسلام في أخذ الجزية والضرائب على النظام البيزنطي الجائر كما تعرفوا على العدل الذي جاء به أولئك الفاتحون .^(١)

كما يود نيشر أن الخليفة العثماني أمتان في نظر الأوروبيين بشيء غير قليل من الهيبة والوقار ، وهي صفات حمدها الأوروبيون الذين لعبوا العثمانيين من كذب كما حمدها ما تمقت به الجيوش العثمانية من القصد في المأكول والمشرب والسرعة .^(٢)

وهذا مؤرخ آخر يشيد بالمعاملة الحسنة التي أتبعتها الدولة العثمانية تجاه رعاياها ، وحتى تجاه الأجانب الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية ، إما كتجار أو زراعيين ، فقد كان هؤلاء الأجانب يعيشون في الدولة ، وفق شروط خاصة ومعينة ، وقد حافظت الدولة على حقوقهم وكان لهم حق التجول في البلاد الإسلامية كزوار ، إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين .^(٣)

كما يذكر المؤرخ خالقو فونديل من حكم السلطان أورخسان

(١) Raphaël a Lewis. Everyday Life In Ottoman Turkey. PP, 180-182.

(٢) فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .

(٣) Cohun, L'Introduction, a l'histoire de l'Asie, P, 60. (٣) Stanford Show, Op, Cit., P, 163.

فذكر " أن السلطان أورخان كان حليماً على الفقراء وأرباب المعاناة والعسر وأنه تعامل مع النصارى أيضاً بالعلم حتى يجلبهم إليه".^(١)

وهذا مورخ أوربي بشيد بأخلاق السلطان محمد الفاتح فيذكر أن سياسته كانت تتبع المنهج الإسلامي ، ومساعدة الشعب المغلوب على أمره حيث لم يأخذ منهم أموالهم وأكتفى بأخذ الجزية الشرعية نظير ماتقدمه الدولة من حماية لمن لم يعلم منهم .^(٢)

ويعد فولتير الفرنسي الشهير موقف المنتصر العلم من المهزوم المسيحي بقوله : إن الأتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن، والذي يجب ملاحظته أن أمة من الأمم المسيحية لاتسمح أن يكون للمسلمين مسجد في بلادهم بخلاف الأتراك فإنهم سمحوا لليونانيين المقيمين بأن تكون لهم كنائسهم .. ومما يدل على أن السلطان محمد الفاتح كان عاقلاً حليماً تركه للنصارى المقيمين الحرية الدينية في انتخاب البطريرق، ولما انتخبوه ثبته السلطان وسلمه عما البطارقة والنسب الخاتم حتى صرح ذلك البطريرق عند ذلك بقوله : إني خجل مما لانيته من التجهيل والحفاوة الأمر الذي لم يعمل به النصارى مع أبنائهم .^(٣)

ويذكر أيضاً عن السلطان سليمان القانوني أنه لم يكن هناك من الملاحطين العثمانيين من هو مثله حيث حمل على العرش دون نزاع أو خلاف

(١) أحمد رفيق بيوك ، تاريخ عثماني ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .
(٢) Stanford Shaw ، Op. Cit.، P، 87 .

(٣) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٦٥٥ .

داخلياً ، فقد ترك له والده ملكاً واسعاً ، ودولة بعيدة عن النزاع السياسي في الشرق والغرب ، ففي الشرق رال حكم العماليك كما سكن الطغويون الشيعة ، كما أنه ورث أسطولاً بحرياً قوياً تحدى به أعداءه براً وبحراً ، وورث خلافة المسلمين عن والده سليم الأول ، ونال شرفاً وكرامة في أنظار العالم الإسلامي نظراً لفتوحاته في أوروبا باسم الإسلام ، وكان له مصادر إقتصادية في مختلف أنحاء مملكته ، ولحب (بالعظيم) و (القانوني) لما وضعه من قوانين وأنظمة للدولة ، وترك شهرة فالت جميع السلاطين من العثمانيين وقاد الجيوش للفتح في أكثر من ثلاث عشر غزوة ووصل في فتوحاته إلى أسوار فيينا ، كما أنفق عشر سنوات في ميدان الحرب من أجل نشر الإسلام ، وترك ملكاً كبيراً لمن جاء بعده .^(١)

وقد طاب للمراقبين والسياسيين في غرب أوروبا في القرن السادس عشر أن يتحدثوا عن شيخ الإسلام فوصفوه بأنه يشبه (كاردنالاً عظيماً) وأن مركزه يفوق مركز البابا ، وقد ربطوا بذلك بين مركز شيخ الإسلام في اسطنبول والمركز الدولي الذي تتمتع به الدولة العثمانية بين دول العالم كقوة لا يستهان بها ، وهذا أحد الباحثين الأنجليز وهو ريكوت سيربول (Ricaut, Sir, Paul) يتحدث عن شيخ الإسلام وعلو شأنه واتساع اختصاصاته وأهتمام السلطان العثماني باسترضائه وتنفيذ ما يشير به عليه ، فأورد أن شيخ الإسلام هو الرئيس الفعلي للهيئة الإسلامية وهو المرجع الذي يرجع إليه في المسائل المختلف عليها من ناحية مدى مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية^(٢) وبذكر أن شيخ الإسلام يتمتع باحترام وتقدير من

Stanford Shaw . . P, 87 .

(١)

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، ج ١ ،

ص ٤١٦ .

(٣) عبد الكريم رفيق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٢ .

السلطان العثماني ، وجميع العثمانيين ويقوم السلطان بتعيينه ، ويكون
 ضليعاً في علوم الشريعة الإسلامية وأصول الدين ، كما يكون معروفاً
 بفخائله مشهوراً باستقامته وملكه الحسن وإذا أصدر شيخ الإسلام
 أمراً أو بياناً^(١) فلا يعترض السلطان على ذلك ، كذلك يطلب السلطان
 رأي شيخ الإسلام عند إعلان الحرب أو عقد صلح .^(٢)

(١) عبدالكريم رفيع ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٢ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ١ ،

ص ٤١٨ - ٤١٩ .

أما من الحملات التشهيرية ضد الدولة العثمانية فقد عملت الدول الأوروبية وروسيا من أجل تحطيم الدولة العثمانية والقضاء عليها بشتى الطرق الممكنة، وغير الممكنة، المشروعة وغير المشروعة من التآمر والحروب والتخريب وإشارة الفتن والإضطرابات في الولايات التي كانت تحت سلطانها ، فعملت على تحريضها على الثورة ، وإمدادها بما يلزم من الأموال والأسلحة ، والعتاد ، وتشتيت جهود الدولة في جبهات متعددة حتى تجهز عليها وتمل إلى مبعثها ومرادها الا وهو القضاء عليها وتقسيم ممتلكاتها فيما بين الدول الأوروبية ، فتلقى بذلك على تقدم الإسلام نحو أوروبا .

لم تكتف هذه الدول الأوروبية بما قامت به ضد الدولة العثمانية ، من ممارسات عسكرية ، وإشارة الفتن في المناطق الخاضعة لحكم الدولة العثمانية بل أخذت تطلق الشائعات هنا وهناك للتشهير بها والتقليل من أهميتها وقوتها بهدف إضعافها ، فبدأت تطلق عليها المسميات اللاذعة مثل الرجل المريش الذي لا يرجى شفاؤه ، ومحاولة خلق فجوة بينها وبين الدول العربية الخاضعة لها بالقول بأن الدولة العثمانية عملت على عزلها عن العالم الخارجي ، والإبتعاد بالحضارة الأوروبية ، كل ذلك من أجل التمهيد للإجهاد على الدولة حاملة لواء الإسلام الذي جعله رجال مخلصون من حكام الدولة العثمانية .

من هذه الحملات ما قبل أن السلطان سليم الأول بعد فوزه لمصر عام (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) أمر بترحيل أفواج كثيرة من مفوه علماء الفقه الإسلامي وأمواله ، والصناع بحيث أفقد مصر أكثر من خمسين منعة .^(١)

(١) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

إن هذه الثروة البشرية وترحيلها واقعة محزنة أوردتها ابن
 إياس^(١) وكثير من المؤرخين وفي ذلك يقول : (وفيه (أي عام ٩٢٧ هـ) قدم
 جماعة من إسطنبول ممن كان هناك من أهل مصر، وأشيع أن السلطان
 سليمان نادى في إسطنبول بأن جميع الأسرى من أهل مصر يرجعون إلى
 بلادهم ، وكل من تأخر شئ ٠٠٠ وفي رمضان سنة ٩٢٧ هـ أشيع أن السلطان
 سليمان نصره الله تعالى ، أعتق جميع الأسرى الذين كانوا بإسطنبول
 من أهل مصر ولم يبق بها سوى أولاد المملوكين^(٢))

إن هؤلاء الصناع وأرباب المهن والعلماء والموظفين ممن
 سبق أن رحلوا إلى إسطنبول إبان سيطرة السلطان سليم الأول لمصر عام
 (٩٢٣ هـ / ١٥١٢ م) لم يزل بهم المقام في إسطنبول كما ذكر ابن إياس
 حيث مكثوا بإسطنبول ثلاث سنوات ، ثم أميدوا إلى مصر في عهد السلطان
 سليمان القانوني عام (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) وإن الثلاث سنوات لم تكن
 بالمدة الطويلة التي تشل حركة التقدم والتطور في أي بلد من البلدان ،
 وإن مثل هذا يحصل في كثير من الدول التي في طور التقدم حيث تستقدم
 الخبرة الأجنبية والأيدي المدربة للاستفادة منها في شتى الميادين من
 خرا* وفنيين ومهندسين إلى غير ذلك مما تحتاجه الدولة من خبرات ، ثم
 بعد أن يحدث الاكتفاء لدى الدولة المستقدمة لهؤلاء الخب* يـعودون
 إلى بلادهم ، فخرمان البلاد العربية من فعالها المهرة والقول بنقل أعداد
 منهم ، ماهي الأحلة تشهيرية بالدولة العثمانية أوردتها المؤرخون
 الغربيون ليوفروا القلوب العربية في مصر والبلاد العربية وغيرها ممن

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

الأنظمة الخاصة للدولة العثمانية ، وبذلك تحقق الدول الأوروبية
أغراضها .

أما الحملة الثانية التي أراد الأوروبيون شنّها ضد الدولة
العثمانية فهي الإدعاء بأنها عملت على عزل البلاد العربية التي
دانت لحكمها ، وإن الأحداث الدولية التي سبقت الفتح العثماني ولحظته
كثيرة بالرغم من هذا الاقتراح .

الدولة العثمانية ضمت بلاد الشام عام (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) بعد
الانتصار على المماليك في مرج دابق ، ثم سيطرت على مصر بعد إخراج النصر
على طومان باي في الريدانية عام (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) ، وفي نفس العام دخل
الحجاز دخولاً سلمياً تحت الحكم العثماني ، ونهض هذا النهج أمراً*
المماليك الذين كانوا يسيطرون على اليمن بوسيطر العثمانيون على اليمن
سيطرة تامة عام (٩٤٥ هـ / ١٥١٩ م) .

وهكذا دخلت خلال عام وبعض عام أربعة أقاليم عربية تحسنت
السيادة العثمانية ، وظهرت الدولة العثمانية لأول مرة دولة من دول
البحر الأحمر . قبل دخول هذه الأقاليم الإسلامية السابقة الذكر تحت الحكم
العثماني وقبل أن تصبح الدولة العثمانية من دول البحر الأحمر بدأ الغزو
البرتغالي تحت ستار الكشوف الجغرافية ، وكانت تحملهم سفن مسلحة ، وتمكن

(١) الشيخ عبدالواسع بن يحيى اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن زنبيل ، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، مخطوط رقم ٤٨ ،
ص ١٤١ .

(٣) نفس المخطوط السابق ، رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مطلق ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٨ - ٩٩ .

البرتغاليون من السيطرة على الهند وساحلها العربي سنة (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م) قبل وصول العثمانيين لتلك البلاد ، وكان شعار هؤلاء المسيحيين المطيب (١) أو المدفع .

كان من أهداف البرتغاليين السيطرة على الهند، وشرق الجزيرة العربية وجنوبها ، والأقاليم العظيمة على البحر الأحمر، والساحل الشرقي لإفريقية المطل على المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا، وتطور الهدف البرتغالي إلى تكوين مراكز تجارية مسلحة ، في احتكار تجارة الشرق وقد تمكنوا من إغلاق الطريقين التجاريين القديمين ؛ أولهما طريق الخليج العربي والعراق ثم الشام ، أما الثاني عبر البحر الأحمر من طريق المكن التي تتجه إلى السويس ثم تنقل البضائع على ظهور الإبل إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية ورشيد ودمياط . (٢)

لذلك قررت الدولة العثمانية وضع خطة لحماية الولايات العربية الخاضعة لها ، وتتمثل هذه الخطة في اتخاذ عدن بوابة البحر الأحمر خط دفاع ، وقاعدة عسكرية لضرب المراكز البرتغالية في شرق الجزيرة العربية وللسيطرة على البحر الأحمر، زاد نشاط الترسانة البحرية في السويس في بناء السفن الحربية الجديدة بناءً لأوامر السلطان سليمان القانوني حيث بعث بحملات بحرية (٤) من منطقة ميناء السويس إلى الخليج العربي لمواجهة الخطر

(١) علي حسن ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) Stanford Shaw, P, 83.

(٣) علي حسن ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ - ٦٣ ؛ محمد مصطفى

صوف ، إنجلترا وقناة السويس ، ١٨٥٤ - ١٩٥٦ م ، ص ٢٠ .

(٤) دائرة المعارف مادة بريسريس في Subhi Labib, The era of Suleyman the Magnificent, P, 435 .

(١)
البرتغالي وسار على نهجه السلاطين العثمانيون حتى عام (١٥٥٨/٨٩٨٩م)
وتنهذاً لمخلط الدولة العثمانية العسكرية قررت الدولة كإجراء أمني
داخلي وخارجي إغلاق البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية ، وعمم هذا
القرار على جميع السفن المسيحية ، فكان لايسمح لها بالإبحار في البحر
الأحمر فيما وراء شفر مخا جنوب شفر الحديدية القمعي فتفرغ شحنتها ،
ثم يعاد شحنها مرة أخرى على سفن إسلامية تجوب أنحاء البحر الأحمر
(٢)
وتتردد على موانئه .

ويمكن السبب وراء هذا المنع للسفن المسيحية هو وجود
الأمكن المقدسة في الحجاز الذي يطل ساحله على البحر الأحمر ، وقد ظلت
الدولة العثمانية حريصة على هذا المبدأ في إغلاق البحر الأحمر حتى القرن
الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي لتوفير الأمن والأمان للحرمين
(٣)
الشريفيين .

لو نظرنا إلى عزلة البلاد العربية نظرة واقعية لوجدنا أن
الدولة العثمانية كانت تحاول الإحتكاك بالعالم الخارجي من طريق عابـد
المعاهدات التجارية التي أبرمتها مع الدول الأوروبية لتنشيط الحركة
التجارية والتبادل فيما بينها وبين الدول الأوروبية ومن ذلك ما قام به
السلطان محمد الفاتح بعد استيلائه على القسطنطينية عام (١٤٥٣/٨٨٥٧ م)

-
- (١) اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٥٤٩ - ٥٥٠
تاريخ جودت ، ج ٣ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .
(٢) أحمد عبدالرحيم مفضل ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٧ .
(٣) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، دراسات تاريخية ، ص ١٩١ .
(٤) فريدون بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ص ٢٢٩ .

شجع السلطان التجارة مع المدن الإيطالية ، فقد كانت التجارة في أيدي المسلمين حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وكانوا يشكلون أغلب التجار ويتعاملون مع أوروبا دون وسطاء ، على الرغم من وجود الذميين الذين كانوا أكثر عدداً فيما يتمل بالتعامل مع دول أوروبا وأكثر نشاطاً. (١)

ولقد كان تشجيع السلاطين للإمتيازات الأجنبية داخل الدولة العثمانية يستهدف تنشيط الحركة التجارية ، ومن أمثلة تلك العلاقات التجارية العلاقة التجارية بين روسيا والدولة العثمانية حيث وصل إلى الدولة العثمانية أول سفير روسي إلى اسطنبول (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ومعه جملة من الهدايا للسلطان العثماني بايزيد الثاني ، ثم وصل سفير آخر وعندها بدأت تتحقق المصالح الروسية ، إذ بمسءاه حصلت روسيا على بعض الإمتيازات التجارية لصالحها. (٢)

وفي أثناء إقامة السلطان سليم الأول في مصر في الثاني والعشرين من شهر محرم (٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م) عقدت معاهدة بين الدولة العثمانية وجمهورية البندقية ، لتشجيع رعاية هذه الجمهورية على التقدم إلى الإمبراطورية بسفنها وبفنائهم ومباشرة نشاطهم التجاري في جو من الطمأنينة ، وقد كانت الدولة العثمانية حتى عام (١٥٦٩/١٥٧٧ م) ترتبط تجارياً بالبندقية التي أعطي لها الإمتياز بانتاج النسيج في مانيسا المركز الوحيد للإنتاج . (٣)

- (١) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٦ .
 - (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفي ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٢٢-١٢٣؛ راشد البراوي ومحمد عليش ، التطور الإقتصادي في العصر الحديث ، ص ٢١٠-٢١١ .
 - (٣) علي حنون ، العثمانيون والروس ، ص ٦٣ - ٦٤ .
 - (٤) أحمد عزت عبدالكريم ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٧ .
 - (٥) Norman ، The Ottoman Empire ، PP, 133 - 134 .
- راشد البراوي ، التطور الإقتصادي في العصر الحديث ، ص ٢١ .

كذلك أفاد الفرنسيون من معاهدات الإمتيازاتي مقدوها مع السلطان سليمان القانوني (٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) ومن ذلك الوقت وهم يتاجرون في كثير من أنحاء الدولة العثمانية ووصلوا بتجاريتهم إلى الشرق الأدنى من طريق غرفة التجارة بمصريليا التي كانت تتركز فيها تجارة الشركة التركية والمغرب حيث كانت مرسيليا هي الميناء الذي كان يجري فيه الحجر الصحي على السفن من تلك الأنحاء .^(١)

كذلك حصلت فرنسا على امتيازات تجارية أخرى في ١٨ أكتوبر عام (٩٧٨ هـ / ١٥٦٩ م) وتشمل هذه الإمتيازات السماح بالنقل في كافة أنحاء الدولة ، وحصلت فرنسا بعد ذلك على مياثي لها للسفارة في إسطنبول والإسكندرية ، وبيروت وطرابلس ولبنان ، وخصصت السفن الفرنسية لنقل الأنمثة من نورمندي إلى فرنسا ونقل القراطيس والمعنوعات المعدنية من ألمانيا وفي طريق العودة يحملون معهم الأنمثة من الصوف والقططن والحرير والعطور والبهارات .^(٢)

وفي القرن السابع عشر الميلادي كان لفرنسا مجاًلاً كبيراً في تجارة الشرق الأدنى حيث كانت لها مياثا قرب مرسى السفينة التجارية وكانت الدول الأوروبية الأخرى تتاجر تحت راية العلم الفرنسي . وهذا ما أتينا على ذكره في موقف فرنسا من الدولة العثمانية .

كذلك حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية داخل الدولة

(١) Roger, B. M., Suliman the Magnificent, PP, 129-131

Norman, Op, Cit., P, 137. (٢)

Halil Inalick, Op, Cit., 137 . (٣)

العثمانية ففي عام (٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م) أعطى العثمانيون امتيازات جديدة لبريطانيا وعادت العلاقات بين الدولتين مرة ثانية، حيث رأت الدولة العثمانية في ذلك منفعة لها وفي عام (٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م) تأسست الشركة بإذن من بريطانيا والحكومة العثمانية وقد حظيت الأسعار للبريطانيين إلى ٣ ٪ رغم أن الفرنسيين والآخرين من الأجانب كانوا يدفعون نسبة ٥ ٪ لذلك كان الهولنديون يتاجرون تحت العلم البريطاني إلى عام (١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م) حينما حصلوا هم أيضاً على امتيازات مفسيرة .^(١)

كان التجار البريطانيون يبيعون الاتعثة من العوف بأسعار زهيدة، ويصدرون الطبق والمفح إلى الدولة العثمانية ، وقد كانت تلك الأشياء مهمة للدولة العثمانية ، وقد فتحت بريطانيا الطارات لسي كل من اسطنبول ، وحلب ، والإسكندرية .^(٢)

مما سبق تندر الإشارة إلى أنه لم تكن هناك عزلة بالنسبة للعالم العربي والدول العربية أو إبعادها عن الإتصال بالعالم الخارجي فعندما رأت الدولة العثمانية أن هناك خطراً يهدد المقدسات الإسلامية نتيجة للغزو البرتغالي لجنوب الجزيرة العربية ، قامت الدولة العثمانية بإغلاق البحر الأحمر كإجراء أمني وقائي للمحافظة على الحرمين الشريفين والمقدسات الإسلامية .

لذلك فإن هذه الحملة التشهيرية - حملة عزلة العالم العربي - مردودة كسابقتها، اعتماداً على الأحداث الدولية والمعاهدات والاتفاقيات

Norman, Op, Cit., P, 137.

(١)

Ibid, P, 138 .

(٢)

التي أبرمتها الحكومة العثمانية مع كثير من الدول الأوروبية كما
أبلغتنا .

هذا إذا ما أضفنا أن اكتشاف رأس الرجاء الصالح كان له أثر
عميق في كساد الأمور الاقتصادية العابرة عن طريق مواني شرق البحر
المتوسط وبخاصة مصر بمطتها ذات موقع استراتيجي متميز بين ثلاث
قارات ، آسيا وأفريقيا وأوروبا ، لذلك فإن ما قامت به الدولة العثمانية
من منح الإمتيازات التجارية لفرنسا وماشابهها من الدول الأوروبية
الأخرى ، ما هو إلا إحياء وتنشيط لحركة التجارة التي كانت منتعشة
ومزدهرة قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، وقيام الدولة العثمانية
بهذا العمل يحض أي الشراء يقول بعزلة الولايات العربية عن العالم
لذلك فإن هذه الحملة مردودة كسابقته .

لم تكف الدول الأوروبية بما حققته بالدولة العثمانية من
أضرار جسيمة ، وذلك بانتطاع الكثير من ممتلكاتها والسيطرة عليها بل
عملت أيضاً على التشهير بها والنيل منها بشتى الوسائل ، كما أشرنا سابقاً ،
أمّا حملات التشهير بالدولة العثمانية فقد استمرت أوروبا في انتهاج
ذلك الممك السيء حيث تمكنت بعد ذلك من تحقيق أهدافها الإستعمارية .

لم تكن الحملات التشهيرية السابقة كافية لأوروبا لتكف عن
الدولة العثمانية ولكننا نراهم في القرن التاسع عشر الميلادي يطلقون
عدة مسميات على السلطان العثماني فهو العريضي الذي لا يرجى شفاؤه ، ورجل
أوروبا العريضي .^(١)

(١) جاك س . ريمر ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٦ .

وكان إطلاق تلك المسميات في البداية على نطاق ضيق في المجال الدبلوماسي المغلق ولكن لم تمش سنوات قليلة حتى أذيعت تلك المسميات في الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي ^(١) لقد انتقلت تلك المسميات إلى الدول الأوروبية ووقف عليها الرأي العام البريطاني واتخذت منها مادة للتشهير بالدولة العثمانية ومما كان هذا التوجيه بإبعاد من الدول الأوروبية وحكوماتها، أو جاءت من تفكيرهم السيئ وحقدهم فلقد كان الهدف الرئيسي منها هو التشهير بالدولة العثمانية متمثلة في السلطان العثماني ، والإعداد المسبق لدى الشعوب الأوروبية بأن سقوطها (الدولة العثمانية) أصبح وشيكاً ^(٢) وكان نيقولا الأول قيصر روسيا هو أول من صدرت عنه عبارة الرجل العريش ، نظراً لأطماعه التوسعية في أراضي الدولة العثمانية ، حيث وقع الخطط الكفيلة للإستيلاء على عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول وتحويلها إلى عاصمة للفرشوكسية المسيحية ^(٣) ، ولم يكن ذلك التصريح من قيصر روسيا وعديقه إمبراطور النمسا هو الأول من نوعه فقد سبق وأن أعلن رأياً يتفق مع ذلك التصريح حين قال : (قيصر روسيا) عام (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م) (ليس في استطاعتنا أن أبعد الحياة في الموتى ، إن الإمبراطورية العثمانية دولة ميتة ليس لدي ثقة في أن يستمر هذا الجسم المعجوز محافظاً على الحياة ، إنه في انتظار من جميع النواحي) ^(٤) .

واضلت روسيا وفيما صرحتها التشهير بالدولة العثمانية ، وأنها رجل مريض ، ففي عام (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) قبل حرب القرم صرح قيصر

(١) على حسن ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .

(٣) محمد علي البار ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ج ١ ، ص ٤٧ .

(٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .

روسيا في حديث له مع (سير هاميلتون سيمور) ، وأقواله هذه تدور حول اعتقاده أن السلطان العثماني مريض للغاية ، وقد يلفظ أنفاسه في أي لحظة لذلك من الخير للسلام العالمي أن يفكر ملياً في توزيع ممتلكاته قبل وفاته وكان تقسيمه لهذا العبراث بين روسيا وبريطانيا دون حرب

وقد قصد الروس من ذلك إيجاد أسباب الشقاق لإعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول ، وقد سافر السفير الروسي من عاصمة روسيا إلى اسطنبول عام (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) بعد أن اتصل ببريطانيا ووضعوا الخطط المشتركة لتقسيم الدولة العثمانية وعرض الروس على بريطانيا التنازل معهم إذا ساعدوهم ، وذلك باحتلال مصر وكريت ، ولكن السفير البريطاني لم يعط جواباً شافياً ، وأجاب القدير ، بأن الأولى معالجة الرجل المريض وشعبه حتى يتم شفاؤه ليعود إلى سابق قوته ، لأن موته سبب إهدار الدماء الغزيرة حين القيام بتقسيم تركته .

إن ما قامت به إنجلترا وتحفظها في موقفها مع روسيا ومحافظتها على كيان الدولة العثمانية من الإنهيار لم يكن حباً لها ولا محافظة على ممتلكاتها ، بقدر خشيتها من الإمتداد الروسي وتقدمه في الدولة العثمانية لأن ذلك تهديداً لمعاملتها في البحر المتوسط ومستعمراتها في الشرق الأدنى .

وقد أفتتح الفرنسيون بريطانيا بغرورة مقاومة الخطر الروسي المهديد للمستعمرات الهندية ، وطريق مصر .

- (١) سليم قبيل ، تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، ص ١٨٠ .
- (٢) على صون ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ .
- (٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

عندما أدرك الروس عدم إصفاة بريطانيا لمطالبهم المحسوسا
للفرنسيين بالتساهل إزاء فلسطين ، ودعمهم إياهم لاحتلال فرنسا لتونس ،
وبلاد المغرب ولكن الفرنسيين لم يغيروا أذناناً صاغية لذلك لأن اهتمامات
نابليون الثالث كانت منعبة على محاولة إرجاع مجد فرنسا السابق فـ (١)
أوروبا كما كانت في عهد عهد نابليون الأول .

أن إنجلترا رأت المحافظة على بقايا الدولة العثمانية ليس
حياً فيها ، أو إنقاذاً لها مما لحقها من الفعل ولكن الذي حملها على
الوقوف بجانبها وحمايتها هو المحافظة على المصالح البريطانية
والحيلولة دون التوسع الروسي في المصالح العثمانية وعدم إفراج المجال
لفرنسا لمنافستها .

فبريطانيا ظلت محافظة على سياستها تجاه الدولة العثمانية
حتى عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٩ م) . ولكن هذه السياسة لم تلبث أن تغيرت
إذ قام البريطانيون باحتلال جزيرة قبرص عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) ثم تلى
ذلك سيطرتها على مصر عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) في عهد وزارة جلاستون
الثانية ، وبذلك تكون بريطانيا قد سيطرت الدول الأوروبية وعلى رأسها
روسيا وفرنسا في خطتها التدميرية للدولة العثمانية . (٢)

إن تعبير الرجل العربي (٣) أو العربي الذي لا يرضى شفاؤه

(١) على حسن ، العثمانيون والروس ، ص ١١٠ .

(٢) عبد العزيز خوار ، التاريخ المعاصر لأوروبا ، ص ٩٧ ، ٩٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

إنما هو تعبير سياسي ، للدلالة على ما أصاب الدولة العثمانية من
 ضعف سياسي وعسكري ، بلغا بالدولة حد الإضمحلال في القرن التاسع عشر
 الميلادي وهذا الضعف الذي انتاب الدولة ، كان للدول الأوروبية
 الجانب الأكبر فيه والممثلة العظمى ^(١) كما سنأتي على ذلك في
 الصفحات القادمة .

(١) الشاوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ص ٨٢٢ -

ان تفاؤل الوجود العثماني في أوروبا كان بسبب الحملات
التشهيرية التي نحدثت عنها في الصفحات السابقة ، ثم عوامل الضعف
الداخلية والخارجية .

أخذت عوامل الضعف التي انطوت عليها الدولة العثمانية
تعمل عملها حيث نشبت الفتن والإضطرابات الداخلية والخارجية وذلك
عندما بدأ نجم الدول الإستعمارية في الظهور ، ونجم الدولة العثمانية
في الأفول .

ومن تلك العوامل الداخلية التي أسهمت في ضعف الدولة
العثمانية وتدهورها وفي مقدمتها عدم التمسك بالدين الإسلامي .

لقد اعتمدت الدولة العثمانية منذ تأسيسها على العلماء
واتخذت من الشريعة الإسلامية منهجاً وطريقاً ونبراً شهتدي به ، فقد
ترب السلطان عثمان موسى الدولة العلماء والفقهاء إليه مثل الشيخ
أده بالي وهو شيخ جليل نقله على علماء الشام وترأ التفسير والحديث
وكان السلطان يرجح في شئون الدولة الدينية ^(١) .

وقد سار ملاطين آل عثمان على هذا المنهج في تقرب العلماء
والإعتماد عليهم في الدين وأمور القضاء وبأقني شئون الدولة فهذا العامل
الرئيسي - العامل الديني - عندما اعتمدت عليه الدولة عزت واتسع
وفتحت باسم الدين الإسلامي ، وعلت على الأمم ، ونشرت لا إله إلا الله
خلافة في أملاك جنوب شرق أوروبا ، وكان هذا العامل عاملاً من عوامل

(١) طاشكبري ، الشقائق العثمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٦٠ .

البناء والإزدهار للدولة إبان قوتها ، ولكن عندما بدأت الدولة في التدهور وتركزت الإلتزام بالشرعية الإسلامية وأحكامها ، وأصبح العلماء أداة طيعة لتنفيذ أوامر السلاطين والأمراء حينئذ تبدل الحال ، وبدأت الخربات تنهال عليها من كل حذب وصوب ، وكان التشكيل الطليبي والتخريب لإقطاعها والتساميها وانتشر الإسراف والتبذير والبلخ ، وأصبحت الدولة تنوء تحت ثقل وعيب كبير من سلاطين وأمراء اعتادوا التسرف (١) والإسراف .

ومن تلك العوامل أيضاً اتساع رقعة الدولة العثمانية حيث حكمت الدولة العثمانية ولايات مختلفة الأديان والمذاهب والأجناس ، وحفظت نفوذها بحكمة وشدة ونشاط إبان قوتها وقوة سلاطينها الأوائل حتى عهد السلطان سليمان القانوني ، ولكن هذا التوازن لم يدم في عهد السلاطين الضعاف ، الذين تولوا عرش السلطنة ، حيث لم يكونوا على قدر من الكفاءة والقدرة فأضاعوا جهود من قبلهم ، وتنافس البعض من الخروج للحرب وقيادة العيوش ، وتجنبوا في قصورهم وبذلك تمسرد الإنكشارية الذين تعودوا على الخروج للقتال والسلطان في مقدمتهم ، وكان نتيجة هذا التجمد أن أصبح السلاطين في معزل عن معرفة حقائق وشئون الدولة وخصوصاً وأن الحاشية التي كانت تحيط بالسلطان كانت تعمل على ألا يصل إلى سمعه إلا ما يوافق أهواءها ، وإن فعف السلاطين ومسدوم خروجهم للقتال أدى إلى سقوط هيبتهم لدى الجند الذين شعروا بقوتهم

-
- (١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٢٤ .
 - (٢) السلطان عبدالحميد الثاني ، مذكرات السياسة ، ١٨٩١-١٩٠٨ م ، ص ٧٨-٧٩ .
 - (٣) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٠ - ٥٩٢ .
 - (٤) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
 - (٥) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

الذاتية فكانوا يرفعون السلاطين على زيادة مرتباتهم والمطالبة بالأمانيات وإذا منعت عنهم كان بإمكانهم عزل السلطان وتعيين آخر وقد أدى ذلك الترف الذي عاش فيه الإنكشارية إلى فقدانهم لمطابقتهم الحربية التي تمتعوا بها.^(١)

كذلك نلاحظ أن هذا الجيش الإنكشاري الذي كان أحد الأسباب الرئيسية للمفتوحات العثمانية في أوروبا وعاملاً من عوامل النصر ابيض توة الدولة أصبح وبالأعلى عليها في ترونها الأخيرة ، فكان تمرد الإنكشارية سبباً في زعزعة سلطة الدولة وقدرتها الحربية وضعف حكم الدولة فسي المقاطعات التابعة لها.^(٢)

ومن تلك الأسباب الداخلية أيضاً انتشار التزوير في أنحاء الدولة وبخاصة في الأمور الإدارية ، على الرغم من العقوبة الرادعة وهي الفتل إلا أن الرشوة انتشرت بين الكثير من الوزراء معاً شج على الخيانة والسرقات .^(٣)

وقد نشط الرشوة بين الجند حيث أصبح ترفيع القسود وترقيتهم لا يتبع الكفاءة الشخصية والجدارة ، بل بمقدار ما يبذلونه من الرشوة للولاة وبطانة السلطان ، كذلك لم يدخل في الجيش من الإصلاحات ما يمكنه من مجاراة الحيوث الأوروبية من استخدام الآلات الجديدة الخاصة

(١) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٢ .
 Enver Ziya . Op, Cit., Part 5, P, 7 .
 Halil Inalick . P, 103 .

(٣)

(١) سألقتال ، ولم يقتصر أمر الرثوة على الجند ، بل تعداه إلى المدور العظام وهو ملاء المدور العظام الذين كانوا يتولون الوزارة لسم يكونوا بعيدين من الشبهات ؛ فهذا بلطه جي باشا المدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث (١١١٥ - ١١٤٣ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م) ، تقاضى رثوة من بطرس الأكبر قيصر روسيا (١٠٩٣ - ١١٣٨ هـ / ١٦٨٢ - ١٧٢٥م) حيث أُلقت عليه القبلش الجيوش العثمانية وهو يسير جنوباً بمحاذاة نهر بروث فلم يجد بداً من طلب الملج ، واستجاب بلطه جي محمد باشا لطلب القيصر ، وعقد اتفاق أو سلم بروث في ٢٣ يوليو - تموز (١١٢٣ هـ / ١٧١١ م) ووافق القيصر على هدم القلاع المعترض على إقامتها والتنازل عن آزوف وعدم التدخل في شؤون القرم وبولندة وآلا يعود بتعيين مفير في إسطنبول وعدم الشأم مع رعايا السلطان الأرثوذكس .^(٢)

ومن تلك الخيانات خيانة أحد القادة يوسف باشا في حكم السلطان محمود الثاني (١٢٢٤ - ١٢٥٥ هـ / ١٨٠٩ - ١٨٣٩ م) وذلك بتسليمه مدينة وارنة الحصينة للروس الذين كانوا يحاصرونها واتجهوا إلى بلادهم ومن ذلك خيانة أحمد باشا القبودان^(٣) العام للأستول العثماني وذلك بتسليمه لمحمد علي باشا والي مصر الأستول خلال الحرب التي نشبت بينه وبين الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالمجيد (١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١ م) .^(٤)

-
- (١) محمود زبادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٢ .
 - (٢) عبدالعزیز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٦١١ .
 - (٣) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٢٧ .
 - (٤) نفس المصدر السابق ، ص ٢٢١ ، ٢٢٧ .

وان وجد هذا الشوع داخل الدولة فقد وجد الملاحون منهم مثل أحمد جانبي الدفتردار في عهد السلطان أحمد الثاني وكذلك حاجي علي باشا ، وحسين باشا عموجة زاده في عهد السلطان مصطفى الثاني الذي كاد يعيد للسلطنة مكانتها لولا المؤامرات ، وهذا كوبرلي حسين باشا في عهد السلطان مصطفى الثاني (١١٠٧ - ١١١٥ هـ / ١٦٩٥-١٧٠٣ م) الذي تنحى عن الإدارة خوفاً من المكائد والشؤون التي أخذت تحاك حوله ، ورامي محمد باشا في عهد السلطان السابق ، وكذلك داماد حسن باشا في عهد السلطان أحمد الثالث حيث خلعه السلطان تحت فقط أصحاب الفياضات ، وحكيم زادة ، في عهد السلطان محمود الأول حيث قام بالكثير من الإصلاحات فخلعت روسيا منه وأقعدت ما بينه وبين السلطان ، وهذا مصطفى باشا السردار مساعد السلطان محمود الثاني (١٢٢٤ - ١٢٢٥ هـ / ١٨٠٩ - ١٨٣٩ م) فقص عليه الإنكشارية والقائد ناظم باشا والي بغداد أهـاج الإنجليز الشعب فذه لسياسة المعتددة فدهم فقُـرِّل في عهد السلطان محمد الخامس (١٢٢٧ - ١٢٣٧ هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٨ م) .

كذلك من أسباب النقص الداخلي الزواج بالأجنبيات حيث بدأت هذه الظاهرة منذ الأيام الأولى لتأسيس الدولة العثمانية وبدأ بذلك السلطان أورخان بن عثمان الذي تمكن من السيطرة على الشطر الآسيوي وجاور الدولة البيزنطية حتى حباله ألف حساب وأرتفعت فرائضها ، ثم استنجد بأورخان الإمبراطور جان بالبولوج صام (٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) ضد ملك العرب وعرض أن يزوجه ابنته إذا قبل مساعدته ، فكان بذلك أورخان أول من تزوج بأجنبية ، ثم فشي ذلك فبعين بعده حيث تزوج مراد الأول (٧٦٢ - ٧٩٠ هـ / ١٣٦٠ - ١٣٨٨ م) من ابنة

(١) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

أمير البلغار ، بينما تزوج بايزيد الأول (٧٩٠ - ٨٠٦ هـ / ١٢٨٨ - ١٤٠٣ م) من شقيقة الأمير اسطغان بن لازر ملك الصرب واسمها (أوليفيرا) ، وقد كان هذا الزواج في عهد المومنين الفاتحين ذا أسباب سياسية ، غير أن من أتى من بعدهم اقتضت غاياتهم على اقتناء الحسناوات من الجواري والسراري معن كن بلا على الدولة حيث كان ذلك الزواج يوحي إلى خلق عيون للحدود الغربية في داخل الدولة العثمانية ، وكان من جراء ذلك مالحق الدولة من الهزائم المتلاحقة (١) في أوروبا.

كذلك تعدد الزواج من الأجنبية والسراري كان له أضراره الخطيرة على السلطنة حيث أدى ذلك إلى التنافس بين الأمهات من أجل تولية أبنائهن للحكم فضلاً عن التنافر بين الأخوة (٢).

ومن أسباب الضعف الداخلي كذلك تنافر الأسرة المالكة ، فلقد كان آل عثمان في الفترة الأولى من حكمهم يسودهم التفامن والألفة وبلغ هذا التفامن إلى الحد الذي يرى فيه أن علاء الدين وهو بكر السلطان أورخان الأول يتشارك لأخيه مراد عن السلطنة مكتفياً بالوزارة ولكن سرعان ما تحول هذا الحنو والألفة إلى بغض وقساوة لامثيل لها في تاريخ الأسرة المالكة فهذا السلطان يأمر بقتل ابنه لمجرد وشابهة ، وذلك بعدم أخوته وأولادهم معهم ليكون في مأمن من أي طامع بالحكم إنهما فطاعة وقسوة ، فهذا السلطان مراد الأول يقتل ابنه صادوجي لأنه ثار عليه مع صاحب ابن عاقل القسطنطينية ، والسلطان بايزيد الأول يقتل أخاه لأنه كان مهيباً فخاف منه ، وذلك محمد الأول بن بايزيد

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٦ .

يقتل إخوته كافة معاً ماعدا مصطفى الذي احتل بهامبراطور القسطنطينية ،
والسلطان مراد الثاني قتل مع مصطفى والحق به أخاه مصطفى ، بسبب
النزاع على العرش ، وذلك محمد الفاتح قتل أخاه أحمد الرضيع .^(١)

ولكن إذا أخذنا بهذا العامل كعامل من عوامل الضعف فقد
ينطبق على السلاطين العثمانيين في العهود الأخيرة من تاريخ الدولة
العثمانية فهل هذا حقاً تاريخ الأسرة العثمانية قتل وإعدام ومعاملة
مكائدها هذا يقتل وهذا بشنق ، لاهم للسلطان الحاكم إلا التخلص من أفراد
الأسرة واحد تلو الآخر لا رحمة ولا شفقة تأخذه لا لكبير ولا صغير ورغب
ليس من المعتول أن يكون ذلك صحيحاً قد تكون هناك بعض الحوادث
الفردية التي تخلص فيها السلاطين من الشائرين في فترة الحكم
والتأسيس ولكن هذا لا يعني أن يطلق ذلك ويعمم على جميع السلاطين
فيكون بذلك بؤرة سوداء في تاريخ آل عثمان جميعاً.

يضاف إلى الأسباب الداخلية كثرة الأموال وتدفقها على الدولة
من جراء الفتوحات التي غيرت الحياة الاجتماعية ، مما أدى إلى الترف
وتبذير السلاطين فقد كان آل عثمان في بداية دولتهم شديد التشف
والإقتصاد ، وعلى شيء كبير من البساطة في العيش ، شأن الشعوب التي
هي قريبة عهد بالبداءة ، فلما توفي السلطان عثمان مؤسس الدولة لم
يترك سوى ثوبين ودرس ، ولكن بعد ما انتصروا على البيزنطيين
واستولوا على القسطنطينية كان من جملة مآثره العثمانيون تنفهم وذلك
الإقتصاد في حياتهم ، حيث لم يعض عليهم جيل واحد في اسطنبول حتى
عم البذخ والترف ، ولكن السلطنة في تلك الفترة لم تتأثر بهذا البذخ

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) محمود زبادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٢ .

والترف والإسراف نهراً لاتسامها وكثرة فتوحاتها شرقاً وغرباً، ولكن ما أن شرعت الدولة في التدهور ، والإنحطاط ، وأخذ جيرانها الطامعون الحاقدون يشنون عليها الحرب المتواصلة ويشيرون الفتن والقتال فسي يلاذهم الشاعة حتى صارت تتأثر بهذا الإسراف والبدخ وتنوء تحسب أثقال سلاطين وأمرأه اعتادوا الترف والإسراف وموظفين خمو أنفهم بأعلى المرتبات ، ولم يجدوا مخرجاً من ذلك سوى مصادرة أموال الأغنياء وتخفيض مرتبات كبار الموظفين ، وتقليل رواتب الجند، مما أدى إلى شيوع الطوفى والإضراب ، وبالتالي ، التدهور والزوال بسبب الأموال التي كانت تصرف من قبل السلاطين على قصورهم وأقربائهم وشؤونهم الخاصة من لباس للسلطان ، وأسرته من الفرو وكل من يقوم على خدمة السلطان والحرم السلطاني وأولاده ، والمطابخ والوكلاء على خيم السلطان ، وشباب الخدم والإسطبلات والأملح واللحوم والمأكلات ذلك كان يقدر بملايين الانجاية (عملة ذهبية) هذا كله في الوقت الذي كانت فيه الدولة تنوء بحملتها، وخزانة الدولة شبه خاوية .^(١)

ليس السلاطين وحدهم الذين تقع عليهم التبعة في التدهور فهناك من أوكل إليه مهمة المحافظة على هذه المسئولية كالوزراء الذين أوكلت إليهم المهام والتبعة في الكثير من مجالات الحكم، وإن الحديث عن مفاسد الوزراء وجهلهم لايعمم على كل من أمثلت الوزارة، ولكن الغالبية العظمى من هؤلاء الوزراء كانوا سبباً من أسباب التدهور بجهلهم أو لئاليتهم فالفرنسيين الأولين من تاريخ الدولة العثمانية الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين أرهق قرونها، ولكن في الفترة الثانية من تاريخ الدولة العثمانية حيث احتجب السلاطين في قصورهم وابتعدوا شيئاً

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٢٤ - ٢٥

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ - ٢٨ .

فشيئاً عن إدارة شؤون الدولة كانت هذه فرقة سانحة للحاشية لتوزيع
المناصب فيما بينهم وإسنادها إلى المقربين إليهم .^(١)

قال جودت باشا كان منصب الإدارة لا يسند إلا إلى الوزراء
الذين يشبهون جدارتهم بالكفاءة والأخلاق أولئك الذين تولوا شأناً
المناصب الكبرى ، وتدرجوا من إمارة السنق ، وإمارة الأمراء ، وإمارة
الأنافول فالروم إبلى ، غير أن حضرة السلطان سليم خان حاد عن هذه
الطاعة الشبيهة ووجه مقام الإدارة مباشرة إلى إبراهيم آغا (خاص
أرطة باشا) رئيس غرفته الخاصة ونشراً لأن السلطان سليم كان رأس الدولة
وما الوكلاء إلا كالألات بيده لم يظهر أي أثر سياسي زمانه ، عن تولي
الإدارة رجل غير أهل لها ، غير أن الضرر لم يلبث أن ظهر من بعد
السلطان سليم حينما أخذ خلعاؤه يحتذون حذوه في تنصيب من يشاءون
على الوزارات من الشبان الذين لم تسبق لهم تجارب ولم يعرفوا شيئاً
من أصول الحكم وكان هؤلاء اعتزازاً منهم بما كسبوا من إقبال الحضرة
الشاهانية يتمتعون بالأحكام على أهواشهم دون الرجوع إلى أهل المعرفة
ودون الإسناد إلى قانون .^(٢)

(١) محمد جميع بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ .
(٢) السنق : هو الحاكم المدني لمركز إداري هو دون الولاية وفوق
القضاء وكان السنق متصرفه أيضاً ، فقد كان العثمانيون يقسمون
المراكز الإدارية إلى أربع مراتب الأولى هي : رتبة القوالي ومركزه
الولاية ، والثانية رتبة المتصرف ومركزه المتصرفية أو السنجق ،
الثالثة رتبة القائم مقام ومركز القضاء والرابعة رتبة مدير الناحية
ومركزه الناحية . (محمد فريد ، الدولة العثمانية ، ص ٢٢٦) .

(٢) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

وكان إلى جانب العوامل الداخلية الكثير من العوامل الخارجية التي أسهمت إلى جانبها في ضعف الدولة وإسقاطها.

ومن العوامل الخارجية التي ساهمت في تدهور وضعف الدولة العثمانية ظهور دولتين مجاورتين للدولة العثمانية وعلى قدر من القوة هما الإمبراطورية النمساوية الهنغارية ثم روسيا، وذلك خلال القرنين الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي^(١).

أما الإمبراطورية النمساوية فقد كانت تتوق لأخذ بالشار من الدولة العثمانية ، وما حلقت بها من ضربات موجعة ومتلاحقة في فترة قوة الدولة ، وقد رأينا كيف أن الدولة العثمانية وصلت في فتوحاتها إلى وسط أوروبا ودقت أبواب فيينا (١٥٢٩ م) وهددتها أكثر من مرة وكانت أن تقع في أيديهم .

وللنمسا العديد من المواقف العدائية من الدولة العثمانية ومن ذلك حربها عام (٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م) حيث اتحدت النمسا مع كل من أمبانيا والعاشيا والبابوية ، ثم عقد الملح قبل أن يتم التمسر لأي الفريقين وكان الموقف العدائي الشاس عندما حقق النمساويون مع حلفائهم الألمان إنتصاراً على العثمانيين عام (١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م) وتوالى تلك التحالفات النمساوية ضد الدولة العثمانية ، ففي عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م) اتحدت النمسا وبولونيا في حرب برية انتصر فيها العثمانيون وطاردوا الجيوش النمساوية وحلفاءها حتى حاصروا فيينا ، واهتزت أوروبا وارتعدت لذلك الإنتصار وبادت إلى نجدة

(١) محمد جميل بيهيم ، فلسفة التاريخ ، ج ٢ ، ص ٧١ .

النمسا فارتد العثمانيون عنها وخسروا معركتهم ^(١) وفي عام (١٨٠٦هـ / ١٦٨٤م) اتحدت النمسا وبولونيا والبندقية ورومانيا مملكة والبابا وروسيا ضد الدولة العثمانية وكانت حرب بحرية وبحرية هائلة استمرت إلى عام (١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م) إنتهت بانتصار العثمانيين وحللتهم ^(٢) عن المعير .

أما روسيا في الفترة ما بين (١٠٨٠ - ١١٢٨ هـ / ١٦٦٩ - ١٧٢٥ م) كان يحكمها القيصر بطرس الأكبر ، وكانت روسيا إلى ذلك التاريخ تعتبر دولة شرقية ، ولكنها بعد ذلك أخذت تفتح أبوابها في وجه الحضارة الأوروبية ومنها بدأ الصراع بينها وبين الدولة العثمانية حول حقوق التجارة الروسية في البحر الأسود ^(٣) الذي كان بحيرة عثمانية ، وقد أدى ذلك إلى حروب استمرت أكثر من مائتي عام ففي عام (١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م) ، إعتدى الروس على بلاد القفقاس فتمكن العثمانيون من منعه . ولم يرتدعوا حيث عادوا سنة (١١٠٨هـ / ١٦٩٦م) وامتدوا على بلاد القفقاس مرة أخرى مستغلين إنشغال الدولة العثمانية في حروبها مع بعض الدول الأوروبية ولكن الدولة انتصرت عليهم وكاد العثمانيون بأسرون القيصر الروسي سنة (١١٢٣هـ / ١٧١١م) ^(٤)

ثم توالت التحالفات الروسية ضد الدولة العثمانية تباعاً

-
- (١) محمد جميل بيهم ٤ مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
 - (٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
 - (٣) هريبرت فشر، في أصول التاريخ الأوروبي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .
 - (٤) فيليب حتي . موهز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٤ .
 - (٥) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٧٥ .

ففي عام (١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) اتحدت روسيا مع النمسا ضد العثمانيين بسبب بولونيا، ولكن العثمانيين إنتصروا عليهم ، وفي عام (١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) إنتصر العثمانيون أيضاً ، ثم تجددت الحروب مرة أخرى عام (١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م) وانتصر الروس في هذه المرة ، ووقعت معاهدة كونشك كينارجي والتي بموجبها دفعت الدولة العثمانية ضريبة باهظة وسحت بمرور الزمن الروسية في العياد العثمانية ، وحماية طائفة الأرثوذكس الذين هم من رعاية السلطان .^(٢)

هذه الحروب التي خاضتها الدولة أنهكت قواها وشغلتها عن الإهتمام بالكثير من المهام العسكرية الأخرى ، وكانت من أسباب فلك الدولة وتدهورها .

ومن الأسباب الخارجية الأخرى مساعدة الدول الأوروبية لدول البلقان الشائرة ضد الدولة العثمانية^(٣) وكان ذلك الإتحاد الذي تم بين جميع الدول الأوروبية - بعد انقضاء الحروب الدينية التي كانت بين الكاثوليك والبروتستانت - ضد الدولة العثمانية . كذلك من هذه العوامل ظهور طائفة من القواد العقام في المحر وبولندية واتحادهم جميعاً في الوقت والتعدي للدولة العثمانية ، ومنهم من إياها من الوصول إلى وسط أوروبا حيث كان هذا أحد الأسباب في انحسار المد الإسلامي نحو وسط أوروبا .^(٥)

(١) محمد جميل بيهم ، ص ٧٦ .

(٢) علي حسن ، العثمانيون والروس ، ص ٨٢ - ٨٤ .

(٣) هيرت فشر ، في آمول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .

(٤) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٢٥٨٩ ومطفي حلمي ،

الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، ص ٥٨ .

(٥) موفق العرجة ، صحوة الرجل المريش ، ص ٤١ .

كذلك تقدم الدول الأوروبية بمقتضى إحياء حركة العلوم في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على إثر سقوط القسطنطينية (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فقد تقدمت أوروبا في العلوم والصناعة والتجارة والملاحة ونظام الحكم ، في حين جمدت الدولة العثمانية في أواخر عهدنا ولم تلحق بركب التقدم .^(١)

وهكذا عملت العوامل الداخلية والخارجية عملها في إضعاف الدولة والإجهار عليها ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك تكالب الدول الأوروبية على الدولة العثمانية زيادة في إنهاكها والإجهار عليها والتعجيل في انهيارها ، وذلك بانقطاع أملاكها وتوزيعها غنائم وأملاب فيما بينها مما أدى في النهاية إلى انهيارها وسقوطها ، وهنا بدأ التفكك في الحكومة والمجتمع وطريقة الحكم .^(٢)

كانت الدولة العثمانية قبل الحرب مع روسيا عام (١٢٧٧ هـ / ١٨٦٥ م) تضم البلدان الآتية في أوروبا وشبه جزيرة البلقان حتى الدانوب وأمارتي الأملق وبغدان ، وبسارابيا ، والمجر وترنسلفانيا ، يودوليا ، وجميع الشاطئ الشمالي للبحر الأسود بما في ذلك شبه جزيرة القرم وآسيا الصغرى وأرمينية وغربي كردستان ، والعراق والجزيرة الفراتية وسورية ، والحجاز والأحساء واليمن ، وفي أفريقيا تضم كل من مصر وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومن جزر البحر المتوسط ، جزيرة قبرص وكريت ، كما ضمت بلاد جورجيا وداغستان وأذربيجان .^(٣)

(١) هــربـرت فـشر ، في أمـول الشـاريـخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٢٧٥ .
Robinson, Op, Cit., PP, 99 - 100 .

(٢)

(٣) هامـلتون ، جـب وهـارولـد بـورون ، المـجـتـمـع الإـسـلامـي ، ص ٢١ - ٢٢ .

كل تلك المناطق الساحلة الذكر كانت تحت السيادة العثمانية
أبان قوة الدولة وعظمتها ، حيث سيطرت نفوذها على تلك الدول فسي
القارات الثلاثة آسيا وأميرتيا وأوروبا ، ولكن بعد ذلك أخذت الدولة في
الضعف وبدأت تفقد ممتلكاتها .

ومن ذلك الحين بدأت الدول الأوروبية ترنو بيمررها نحو أملاك
الدولة العثمانية وتنتهز كل فرصة للإنتفاض عليها ، فهذه روسيا توجه
نظرها وأطماعها نحو العمايق للخروج من عزلتها ، وبريطانيا تود الوصول
إلى الهند عبر أملاك الدولة العثمانية ووسيلتها إلى ذلك هو استعمار تلك
البلاد ، أما النمسا والمجر عملت من أجل الوصول إلى أغراضها من طريق
إشارة دول البلقان والتحالف معها ضد الدولة العثمانية ، وهذه فرنسا
من طريق دورها كحامية للأقليات المسيحية في الشرق ، حيث استولت على
كل من الجزائر وتونس سنة (١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م) وأصبحت تركيا عن البحر
المتوسط ، وساندت إنجلترا فرنسا في الدور الإستعماري حيث احتلت كل
من قبرص ثم مصر سنة (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) وشاركت إيطاليا أخواتها
في هذا العضمار حيث وجهت أنظارها نحو شمال إفريقيا واستولت على
طرابلس سنة (١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) ومن ثم برقة وجزر الدورية كايينر^(٢)
وبذلك عزلت تركيا عن البحر المتوسط الشرقي وسبق ذلك فقدان الدولة^(٣)
العثمانية للدول الخاضعة لها في أوروبا حيث استولت البندقية على
المورة سنة (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، وفي نفس العام تنازلت الدولة^(٤)
العثمانية عن المحر^(٥) وفي سنة (١١٣١ هـ / ١٧١٨ م) تغلعت ألبانيا

- (١) سليم قنچن ، تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، ص ١٨ .
- (٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .
- (٣) علي حسن ، العثمانيون والروس ، ص ٥١ .
- (٤) هاملتون ج ، المجتمع الإسلامي ، ص ١٠٣ - ٣٢ .
- (٥) محمد فؤاد شكرى ، الصراع بين البرجوازية والقطاع (١٧٨٩-١٨٣٨م) - المجلد
ص ٧٩ - ٨١ .

وولاشيا ، والهرسك ، من الحكم العثماني ، تلى ذلك في سنة (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م) وبعد موقعة تافارين فقدت الدولة العثمانية اليونان للأبد ومعها الحرب وبلدافيا^(١) (أنظر الخريطة ص ١٧٨) .

رأينا كيف بدأ العد التنارلي للدولة العثمانية وفقدانها لممتلكاتها الواحدة تلو الأخرى نتيجة لعوامل داخلية وخارجية مضافاً إليها النظرة الإستعمارية الحاكمة لأملك الدولة العثمانية والإستيلاء على تلك المناطق ، مما أدى في النهاية إلى فعف الدولة وماتوتها والتسام أراغيها أسلاباً رغناشم لطبيي أوربا .

(١) جاك من ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .



الحائِثَةُ

حُفَّتْ ١٤٠٩ هـ

الخلاصة :

لقد رأينا في سياق هذه الدراسة أن الدولة العثمانية اعتمدت منذ نشأتها وتأسيسها على يد السلطان عثمان على الدين الإسلامي، واتخذت من الشريعة الإسلامية نهجاً ودستوراً لها، كما أن فتوحاتها وجهادها في أوروبا كانت باسم الإسلام مما أدى إلى نشر الإسلام في أوروبا وخاصة في أقاليمها الجنوبية الشرقية .

وبنظرة عامة على محتويات هذه الدراسة أود الإشارة إلى أنسي توصلت إلى النتائج الموجزة التالية :-

■ أثبتت الدراسة أن الأتراك العثمانيين على الرغم من أنهم لم يكونوا من العرب إلا أنهم أسلموا وحسن إسلامهم ، وكانت فتوحاتهم من أجل الإسلام وباسم الإسلام .

■ كما برهنت الدراسة أن الموقف العربي الإسلامي كان مؤمداً للموقف العثماني في نشر الإسلام بدل علي ذلك أنه عندما فتح العثمانيون القسطنطينية قام سلاطين مصر بإرسال المبعوثين للسلطان محمد الفاتح مهنئين مستبشرين ، وأقيمت الزينات ألياً في القاهرة إبتهاجاً بهذا النصر للإسلام والمسلمين .

■ برهنت الدراسة أن انتشار الإسلام في جنوب شرق أوروبا ، كان بواسطة التجار المسلمين الذين ارتادوا تلك المناطق ، بالإضافة لدور القبيلة الذهبية ، ومن ثم الفتوحات العثمانية لتلك المنطقة والعمل على نشر الإسلام ، وتدعيمه ببناء المساجد والجوامع ، في جنوب شرق أوروبا .

❖ والذي يهمنا في هذه الدراسة ، أنه على الرغم مما حدث للدولة العثمانية من الضعف والتفكك ، الذي تسببت فيه الدول الأوروبية ، فإن الدولة العثمانية أسهمت في نشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا وأصبح الأذان يرفع على المآذن في مناطق متعددة ، من أقاليم جنوب شرق أوروبا ، يشهد على ذلك الأثار الإسلامية الموجودة هناك من مساجد وجوامع .

❖ وأخيراً وصل البحث إلى خاتمة هي أن العالم الأوروبي يمتد عامة لايحلو له أن يرى انتشار الإسلام يأخذ طريقة في مناطقهم ومن ذلك رأينا في سياق البحث مواقفهم المختلفة من عسكرية وغير عسكرية ، كل ذلك لتحاشي الفتح الإسلامي وغرب أي جهة تتبنى نشره والجهاد فسيحياسه .

الملاحق

مناوین الملاحقملحق رقم (١)

صورة من نشرة الفتح الملكي لحفرة مراد خان غازي التي أرسلت إلى المالك
المحروسة والتي تحتوي نهر قوس اوه وهزيمة حاكم العرب .

ملحق رقم (٢)

صورة من الرسالة الملكية التي كتبت من دار أبو الفتح والمغازي
السلطان محمد خان غازي إلى عزيز معر ليرسل إلى شريف مكة العكرمة
وذلك في شأن فتح استانبول وخوبه .

ملحق رقم (٣)

صورة من نشرة الفتح الملكية المختصة لمدينة بلغراد التي صدرت
وأرسلت إلى الممالك المحروسة .

ملحق رقم (٤)

وثيقة رقم (٩) صفحة (٨٩) حكم رقم (٣٣١) بتاريخ ٢٤ شوال ١٢٧٧ هـ .
وذلك بشأن مساعدة الدولة العثمانية لمملعي الأندلس .

الملحق رقم (١)

مورة عن نثرة فتح الملك اسلطان حفرة مراد خان قاري التي
أرسلت إلى الممالك المحروسة والتي تحتوي نمرقوس اوه وهزم
مراد خان غازي حاكم صرب مع خمسين نفساً

الحمد لله الذي يستحق الحمد والشكر وهو الرزاق على الإطلاق ومفتح
الابواب الذي منح لواء السعادة أن يتعرف في أوج العالم بواسطة الملاطيين
ودمر بلاد الكفار وأعداء المسلمين برماهم ربهامهم وجعل أمانهم هيباً
مشوراً ومزقهم شر ممزق والحمد لله الذي فرض الجهاد على المسلمين
(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في الساعة
والإنجيل والقرآن) وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من غر
غزوة في سبيل الله أدى إلى الله جميع طاعته) وأخبر الله إن الذين
يحاهدون في سبيله هم الفاضلون (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفاضلون يشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وحنان ولهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً
إن الله عنده أجر عظيم) (و قال رسوله الكريم): (لا يجدهم من ألم القتل
الأكسى العرصة) وهم أحياء عند ربهم يرزقون (ولا تحسن الذين قتلوا في
سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله) (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا حرمة الله على النار)
وهذا الحديث يشير أنهم لا تحرقهم النار .

وحينما وصل الخطاب الملكي الرفيع أعلموا أن المعركة قد بدأت في
عام ٧٩١ في شهر شعبان في ميدان قوس اوه . وأخبر أن أحزاب العثمانيين

عليهم العنة الله والملائكة والناس أجمعين جرحوا مسلمين وقطعوا
أيديهم وعلى حسب الآية (ومس أن تكرهوا شيئاً فهو خير لكم) جهز
المسلمون أنفسهم بعد صلاة الصبح للقتال وعين بلدرم بايزيد في جانب الأيمن
وبعده أمير الأمراء : وأمير روم إيلس تمرقاش باشا وكذلك أورنوس بك
وطورجه سليمان ولاشاهين وعيسى بك وبخش بك ومستجاب غوباس ، وفي الجانب
اليسر يعقوب بك وبنجه أمير أمراء أناتولي صارجيه باشا وابنه بك
صوباشي والوزير نظير علي باشا يرأس الله له جيشاً وكل منهم أخذ مكانه
على رأس الجنود وكذلك جهز الجيش في ميدان القتال مهيباً للشهادة في
سبيل الله كانوا يلقون كسد منيع أمام العدو ومعهم الجيش الإنكشاري
كذلك . وقبل ابتداء الحرب قاموا بالمال وتنظيم الجيش ثم الوزير الأعظم
علي باشا دخل ميدان القتال وهو على حصانه فبدأ يحارب قوادهم ورؤسائهم
ومنهم سوريكيل بعناية الله استطاع أن يغلب عليه ويقطع رأسه وبعد ذلك
بدأ الفرار في صفوف الأعداء وبعد ذلك حارب إيتي بلدرم خان وساعدهم
في القتال وهزم أحزاب الأعداء وقطع رأس ابن ولس وهو من رؤساء الأعداء
فبدأ الفرار والسرور في صفوف المسلمين حيث أنهم غلبوا الكفار . وحنود
الكفار بدأوا بهربوا أمام قوات المسلمين (كأنهم حصر مستنفرة فحرب
من قمورة) . والمسلمون حمدوا الله وشكروه حق شكره لأنهم يعرفون بأن
هذا النصر من الله (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله) .

و اما شهداء المسلمين فهم في جنات نعيم خالدين فيها يرزقون
بنعم الله وبعد انتهاء الحرب بدأوا في توزيع الغنائم بين جنود المسلمين

ثم شرعوا في الرجوع إلى الخيمة العلكية وحينئذ كتب هذا الخطاب
(فتح نامه) وأرسل إلى الممالك المحروسة . ولابد أن تقوم بفتح
الفتح وتظهروا السرور حينئذ يمل إليكم هذا الخطاب .

وقد كتب هذا في شهر شعبان عام ٧٩١هـ بموقع قوس أوه .

مراد از دست کرانه چنانچه آری امانت داد و بست سر بهر بندیر دلیر مشا فیهت
 ایلا کره + در عساکم باز نمودن شایم خنایه مسک چشم انس و جان و سید + دماغ
 هکشتارا میفر و معطر داشت و جواهر الحکایت نفیسه اش که دال بود پر شعله آفر و زی
 شمع دولت آن نور چراغ سعادت و فیروزی بجای کوه شجر چراغ دره انبساط اکلیل
 کامکاری نموده هر نقطش چو درخشان بجای کوشواره در کوش شرف کشیده شد و معانی
 نفیسه اش را چون روح ثانی بد حیات جسمانی استکشته نشسته آب خضر و نموده جام
 چم به داشت و چون شعر بود تسلط و استیلا آن ملاذ اسلام بر قلاع و بلاد کثیره
 از مالک اعدای سرفراز ایدام و انتقام کسانخی فرمایان بد سرانجام سپارش ملوک علام
 ادا نموده گفت ﴿ بیت ﴾ چو بر تاخت تابع زمینوع روی ﴿ بشن شد باید بلا مرگ بوی ﴾
 مع هذا در باب عقو و امان آن آنکه شایسته لطیف و احسان شاهالست بجای آورده اند
 چرا که الله خیر جزاء امید که همواره اعدا سر نکون و مخافان زار و زیون کنند
 چون مهر میره لشکر باشند با فی حالات و از رسول مشار تبه مستحق از فرموده علی
 ان تصاب فرستاده این مخلص خدمت نبی صواب صواب همانچه شناسد ان شاهانه تعالی
 حق جل و علا وجود شریف خداوندی را در اوج عزت محمد داشته دولت بکام و کسبی
 غلام باد محمد و آله و صحبه الامجاد بیورت اوجان

﴿ حنیکان سلطان مراد خان غازی حضرت نوری و طغاه الباری قوس اوه صحرانده ﴾
 ﴿ در ب حاکمی افغانی اولان البی نذر با به یوز دنده نصر کره و قوه و لایان نصری حاوی ﴾
 ﴿ بمالک محروسته شاهانه به بلزمت اولادینی فتحشاده هبایو مت صوتیندر ﴾

بنا بد کره الاعلی و له الامعه الحسنی ﴿ و من التهم مالک الملک نوری الملک من نشاء و نزع الملک
 من نشاء و نزع من نشاء و نذل من نشاء یسئل ان یسئل علی کل شیء فدر ﴾ حدی غایه
 و شکر بی نهایه اول کریم و عذب و مفتح ثواب و غلب علی الامتلاقی و رافق خلیفه افغانی
 جنایانه لایق و سزاد که اوای سعادت انسانی سلامین اسلام مداری مرز صبح بجهان
 افروزی مشارفدن مقدار به مقرر و معنی قبول و سنجای مهر درخشا فی اوج رفعت
 و فیروزیدن اباده و الفاریه ارسال و الفایدوب عکرافهم ما تر سپهر مذابره اهل دینک
 مطاعن رماح و سدهام شهاب از نسای اعدای شایعین نهاد رجو میجون برقی خاطف
 ماندی ظلمت هبایو و بیچون آورده روان و بران ابدی و احسان آفتنی نژاد عتده عبده
 اصنام کفار خا کسار عجم مقام خذلهم الله و در هم اورد لرزه جهادی ارباب اسلامه
 فرض و لازم قبلدی و معرکه نشاء الله ضرب و حرب ایدوب ﴿ و یسائلون فی سبیل الله
 فیقتلون و یقتلون و عدا علیه حق فی الثوریه و الانجیل و القرآن ﴾ معنوت سعادت
 مشحونه مشهر دینتاری ﴿ من فزا غزوه فی سبیل الله ادی الی الله جمیع طاعنه ﴾ حثیث
 شریفه معتم ایدوب ﴿ الذین آمنوا و هاجروا و جاهدوا فی سبیل الله اموالهم و انفسهم
 اعظم درجه عند الله و اولئک هم الفائزون بشرهم و هم برجه منه و رضوان و جنات
 لهم فیها نعیم مقیم خالدین فیها ابد الی الله عنده اجر عظیم ﴿ آیت کریمه سیه در جان
 عظیمه به طائر قبول و فی سبیل الله شهید او شاره ا شاورت بر شاورت حدیث شریف
 حضرت رسالت ﴿ لا یجد شهید من الم القتل الا کس الذرینه ﴾ سهولتدن امتامت
 و استراحت نصیب ایدوب و فرمان حبس انجیش ﴿ و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله

موتایل اعیان هند رجم برزفون فرحین بما انیم الله من فضله که تصدیق شدن عمر ابدی
و بشای سرمدی مرزوق ابدی که من قائل لیکون کلمه الله هی العلیا حرمة الله علی
الناس که حدیث متفق اورد زبث برائت عذاب جیم احسان بروردی اینها افشای قضای
المؤمنین اولی ولایة الموحسین علیهم السلام علی الخلق اجمعین وارث عظیم الانبیاء والمرسلین
الطیّین برزده شایبه الملك المعین الخاکم العدل بقضاء بروسه دامت فضا که کا طابت شایه
توفیق رفیع هبارون واصل اولین معلوم اوله که سده احدى و تسعین و سبعین به شعبانک
اون دردی واقع اولان دوشنبه کوفی فوس اوه بصرامنده اعدای خاکساره مرکه فراده
صعوف ضیال مهیا خیلوب بخور به آه زنده ابکن انسانی اعدای خاکساره بندن نوحا نعوذی
ملاحقه اولین اخبار ما اختاره الله اوزره توقف اولوب لیکن طریقه شدن فرا و لیر
چقوب عقلت اوزره اوله یوچا بندن ایضا بیان خبر بیان و برغرانی اوختا زبک
قراویده طوشر و ابکی نفر برز دفری کجیل باشفرله مغرب کسار به قرب ابدی که رکاب
همایون اوزده الی بقار اوشدروب سکولار قفد قدن بکرم حیر آتشی که احزاب
مشکرین علیم لعابن الله و الا لکنه و الناس اجمعین اسلام عسکر به شغورن لدا رکن
سکور مسکن بورکیل نام بان شاید حاضر شکار بجزی کجیده به قاجورب لندن
چقاره و زدیوکر و عجبه توقف ایشرمش و بو خصوصک اصغاسندن که عسی ان تکرهوا
شاید فیهو خبر لکم که خواسته قلبه مؤمنه نوحا نسل یولوب و با بجه غر و نیل خیلوب
دراکه کریم کارساردن استعدای فصیح و صغرا اوش ابجانی ابدی اول کجیده صعبه دله
هرکنه اقدام افدای رکاب اهتمام ابریمرب و ده به خوب غفلت حرام و حرام خون
آشام فری فری اعدایک فقه منه لیس مدن خارج بی صبر و آرام ابدی که مایه ایام القبل
جیلی منصوره سی اوزده برائون باشفره صرافیت نولید ابدی آباء اولک اسم پاک
مهر بلند اخبر و خورشید برج طغر اسلافی ادوب و بالجه لشکر اسلام فرایض
صمدن سکوره پسانده و سوار اعلام بصرت نکالک بچین و پسانده الای لای و فوج فوج
و فرقه فرقه ابر شوب آداب و خضوع و انقیاد به حاضر اولوب طرز دیروزیب صفوفه
شروع خیلوب صاف فوشه فرزند اوجند دونیار و قاف اقدام صلعت شعار اولوب
من عند الله الملك المسنان اوجی بدترم بیزد خان ادام الله تعالی ایدم عزه و افسانه نعین
خانبوب و لدن ان اشاعه ابر الامراء الکرام دوم ابلی بکتر بکسی غمخ پشاد نام انقباله
وامراء کرامندن اورنوس بک و ابجه بیان و طو رجه بلسان و لایا شاهین و عیسی بک
و عیسی بک و مسیح صوباشی و صون فوشه فرزند سعادتند عاتقند اوجی بقوب بک
طیلان پناه مقرر خیلوب و لدن با بجه ابر الامراء الکرام اناطول بکتر بکسی صا و چه
باشا فوشوشی لشکرکله و غشوی و سجده و منشا و تنکه بک زاده لری و سکر بیان
سپاهیه لری اینه بک صوباشی و فرم معین طو روب و ذات همایوم جسد و روح بک قلب
سیاهی به کربوب و وزیر لای قدر علی باشا بصر الله له ما بشاء مقدمه اجیش مرآین برینه
کز ووب کبوتر که نقیل ادوب عی و ارشهادن مبدائنده سبغی اختیار ادوب
مهیا ابدی و بکیری اغا سی محمد اغا عسده سفر نچده شاه اوسکنده پیاده
طو رده بک برین بکوب فرزین بند بک منصوره سده استقام و روب و ابکی بک نفر
نیرا زرخشی طوس و اشکبوس چکنه معادل قبضه کاکدن بصرین منتک انقبوب
خدیج جان سنانی دلمنه حواله اتمک اوزره طو ردری مسایلندن دخی ماده انقاد اولان

فكان لها أعيان له سبع رؤس من فلاحها المشتهرة أولئك الدلائل سبع رؤس شياخات حصينة
 رفيعة مهيسة بأمر الله عز وجل لمقر الخلافة الإسلامية ومقر زوقة شياخات شريفة الحكم
 السجانية ولائك لها سلطان البلاد والأخربان من جنيها يمينها وشمالا كفاة دين في طلاق
 السلطان فلما توجهتا وعزنا عليهما هجم عليهما الكفار الملوثة فيها خارجا ودخلوا
 وحاربوا منها فقام الفناء ربة شيئا وبينهم قرب شجرين بعد أبائهم عن إعطاء الجزية
 الشرعية ثم جازوا عن القتال وهربوا من الخسار فلما دهم أهل الإسلام وجاهد كل
 من المجاهدين عن البر والبحر حتى أجهاد فقرعوا من السور وسعدهم كثير من الكفاة
 الموحدين فوق منافع جدتها المتدربة من المعنوي والعادة فدخلوا في نفس هذه
 البلدة المبركة الموروثة بتدويم النوحدين الكبير والتهليل يوم الثلاثاء والعشرين من شهر
 جمادى الأولى ففضع في مبداء الأول رأس رأس هذه الملاعين حتى أكنفوا والمعين
 أولئك بجهنم مع سائر القنوين من المشركين فحاربوا دورهم وكسر وأصلبهم وأغاروا
 خرابهم وأموالهم وأسرأوا ذرارهم وصبيانهم وجعلوا معابدهم تقبيرة مباحة
 الأمة المحمدية وجمع المية لاجدية وميزت تلك النواضع عن الأرجاس لاجدية والافاض
 الفصايد التي قطع ديار القوم الذين طروا وأشد له رب العالين في وأمة السيوف
 فغفروا عنهم وقطعت عليهم الجزية السنوية سبع مائة الف دينار فم تشرف منابر الخطب
 بشرف الفصايد العلية السهرة وتزين وجوه الفارهم والديار المبركة بزيئة اصحابها
 الجزية الفاضلة جهرا إلى خدمتك اشرفه فخر المرفين وزين جلالهم خرمين خواجه
 حاجي محمد الزبوني حفظه الله في الذهب والالاب ورزقه الوصول والمعاودة بالخبر
 والاصول لتبلغ ارسالة وزين ايشارة بالسامول من مفرع الشريعة ان يشتم
 بته وم هذه السيرة العظيمة والنويرة الكبرى مع سكان الحرمين الشريفين والعلما
 والسادات المبرزين وزعماء والعبد المخلصين والمشايع الامجاد والاصلين والائمة
 الانبياء الشقيين والسعداء والكبار الجليلين انفسكم باذل سرادقت بيت الله احرام
 التي كرموه الوثيق لالتصام والشرافين بزمزم والقسام والمعتكفين في قرب جوار رسول الله
 عليه النجاة والسلام والمحبين لدوام دولتنا في المرفات متضرعين من الله نصرتنا
 افاض الله علينا بركاتهم وورع درجاتهم بالتي اليه وآله وذويه وبشتامع شهادته هدية
 لكم خاصة التي فلوري من الذهب الطاهر لشم الوزن والحبار الخبز من تلك العجبة
 وسبعة آلاف فتوري آخر الفراء منها ثمان مائة اذات والنفيا والائف فلهتم لخصومة
 بالخرمن والباقي للعتكفين نجابين في الكفاة العظيمة والمدينة المبركة زادها الله
 شرفا وكراماتكم انفسهم بتمنى احتياجهم وفقرهم واشعاركم بكنية السحر
 اليها وتحصيل الدعاء منهم شادافا بالخطب والاحسان ان شاء الله تعالى
 والله يحفظكم ويوفقكم بالسعادة الابدية والسيادة السرمدية في يوم الدين
 آمين يارب العالمين وصلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين

﴿ حشركم ابو الفتح سلطان محمد بن غازي حشر بنري درگاهند استنبول فتمند در مکه ﴾
 ﴿ مكر مشربته كوندك اوزره عن زمصره كوندكش اولان فلهه هابو كوندك صور بند ﴾

عن الله تعالى انصارا لشره الكريم العالي الكبير العالي العادل انصارا هدى انصارا
 المقاتلي المهدي المشدي الزعبي الظهري الناصري مع الاسلام واشيخا بالمر الغراء

ذكر انجساعه من قبل الغزاة واشيا كان زعيم جيوش الموحدين محمد الدول مشبه بالملك
 حامي القصور الاسلامية عسانا ائمة الجامعة ملك المنزلة والسلاطين عضد امير المؤمنين
 وهذا بهيمة الفخ الذي جاء الاطلس في بلاغته وجديرا وانبل كل موحدة به واعلى
 بسورة الفخ وتلا في وتصبرك الله لعمرك ان لا زالت وجوه الصبر ترى في مرآة
 صدحه وقرات الصبر فخرج من اصفهان رماحه واروض الجهاد بسيفه المستوفى في كل
 وقت فقام وبلاوه الاسلامية بحر وسنة بالباب الصدى عليه السلام ومهرات هوامله
 اصدور الكثرة من صولة والس سرقة بغزو الاسلام من دمشق ارماني دماهم وملواسة وهم
 اعداه منطوية في الصرة دين الله كالعقد استقر في وما يصبر الامن عدائه انما يحكمهم في
 وارتحت حرمانه نخل من الصلة الاسلام اعدا عدوهم منهم العبدوا واعلموا عليهم مواثف
 الحرب مستقرة الغزاة وتطلع في حيلة النعم من صيرفة غاروا ودفقة وتشهد على الكفار
 في محضر الغز وما يبعين وكيف وذلك الوطن بحق الشهادة في محمد الله ما سلك خلف
 الكفار في الاخر فابوا الله فغنا من صفرنا هذا نصا في ولا حاض عاب بحرا في لا غفدة
 سببه في البحر تجب في اصدرا هذه لفة وضد ان انكر الكرم معرفة فخرج متطوون عليه
 من التباهي بهذا الفخ الذي وضع على جبين الصالح بشرة ورجح على مبران الكواكب
 قدره ونقصه سلام يتأرجح عرفه ويبلغ وصلا ويكاد به زج السهم لظفا وشاء وجلل
 ملايس الكرام والحق واعاد مراد اوداك واسفي فدا لطفه لخصان است طابعه واجل
 زودا التباهي نوبته وتوحيده وتشر به بانه نخل الذي استودع منه من الصدور الرسل
 بقطرة هذه النوبة وبني نعمة الكرم وروكاه الكرم وبخطاه الذي ازرى بالدر
 انظم على يد النجاس التي الامري الشكيري الواحدي الاكلى تلوغ في المغزى الجمال
 وسف اتا جوي الصبري احس الله وقادته وبسر ان انكر الكرم انما فاكر منته حين
 قابله وقضا محبة ذات وثا واستشقة است لاصضاء وانجبت في اتواج الشبان يورده
 وانقرا منه الى احسن من برودا ورضي الداحل الذي ازراد وروده فتعلم عبال الصبر
 من صغوره وترجته والفر في رياض متسومة وشوره وتشتت من خطه وخطا به ما هو ارض
 من زهر الجبال عنه من السهم ووجهه في مختلفا في انواع البراعة عسا وشي الرقيم
 محنوا على بدع الالف ط اني صحت ذل بلاسة على صغرا في الزمان القديم متصلا
 بما من الله وبسر على انكر الكرم من هذه الصرة على اهل الكفر والعبد وملواعة
 من ارفع اعداء الله ورسوله في الامم افصى المراد والتهيبا ان ما اشار اليه من مسيرة
 على القسط نطينة اعظمي بعسا كره لاسلامه وجنوده الجامعة به وانهم احد فواجا
 فكانوا لها اسفادا وزلوا ارضها بجبا وجيل وقفت صابرة فكانت اوتادا وانه ابدل
 اليها في انهر جوازي كالاعلام ودما في الملح سوارا كانها معلقة بالام ورمها بمرسان
 من البر والقدم على شانها من افساح الله وبره وحظها بكر افتتحت والطلالت في الصن
 فوفقت فلما تحققت عظم امرها في النفوس ورأت كبر مالها اليها من تشار الرؤس صحت
 ان الاحسان بعد الشورى علمت ان الامتداح من قول الاحسان لا يجوز ان مكنت زمامها
 من بدحاطها وامتنع على رجم اثم مرافها والتشد لسان الخذل * شعر * خطبها بركا
 وما همرتها * الالف وقواضيا وفارسا * من كانت السمر العوالي مهره * جليت له
 بعض الحصون عرايسا * الله اكبر ما جيت قمارها * الا وكان ابوك فيلانا غلارها * هذه كلها
 انعام لم يشها في الحرب تكون ولا نصير فكان محمد الله جعه جمع سلامة وجع الاعداد

جمع لشكرهم فأخذهم أحد القري وهي ظالمسة وأعلمهم أن السيف الاسلامي لم ينزلهم
 بقوة الله بدأ في الحروب مبسوطة ولا رجلا في المواقف فأنزلهم بعون الله عليهم ونكس
 أعلاهم وقابل العدو وصدده وقابل حتى ألقى جديده وسحره وهبت أنفاسهم
 على جبهته فقبل بإخيل الله الركبى وبأيدى النصر اكتفى ونام الحارب على ساقى وأضفى كل
 من الأعداء إلى حنقه بساقى وشجرت سيوفهم الأعداء وأضفت لها لا يتر الأثر إلى رؤس
 والانسفة السمرعت وألت أتم لا تروى شياؤها إلا من دماء الذنوس والسهام قد انزلت منها
 لا يلبسها الرمن النجور ولا تعرض عن جسد بالقيس حيا بالاضلع إلا أنزله فيها لا تحمل
 إلا في الصدور والقدروح فذل من الأبطال فأنزل لا تغرق إلا بدان حتى تلى سورة الفتح المين
 وأجابه حرمت وبنى الأرض وثقت نغمسا لها لانهاء الأجمة القسلى ورؤس المسلمين
 فعند ذلك أشت صيفه الشا صراحتى لأنه الفاعلى في ذلك الجبال وثقت سمسها مع لأجل
 تصميمه فم يحمل حتى أحسنت دين الأجل وهو حال شعر الله أكبر هذا النصر
 وأنظر هذا هو الممتع لأن يزعم القشر فضهر الله منهم تلك الأدلو وحلوا عند ما أيقنوا
 بالدمار وصارت يمد الله فيوم الضلال فله وموخر الكفر بالاسلام أهله وعن الأذن
 بعرب حيث كان السافوس يضرب وأصوات حياكم الاسلامية بالكنية والتوحيد بها
 عالية فقد فهمت ذلك وجدته الله تعالى وقابل هذه الإشارة بتكرار الشكر لله الذى جعل
 جيوش الاسلام حيث ملكك ملكك وابن يفت من بلاد أسرت وثقت فله الجند
 الذى أيدكم بنصره وجعل مهابة جيوشكم في قلوب الكفرة تقوم مقام هزيمة العدو
 وحصره ونظرك على حزب المشركين الذين زرع هيتكم دانيهم وقاصيهم وأزل الذين
 ضلواهم من أهل الكتاب من صبا صيهم وسدد سهم رابكم الذى دل على هلاك العدى
 سرعة نذره وهدمكم مقام صكيرة ناخذونها ففعل لكم هذه وحكمكم في بلاد العدى
 لتسرواها والمهابة ونظروها وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضهم لم نظروها ولقد أيدكم
 هذا الدين الصمدى الذى وضع به طريق النجاة واستشار وفرغم بقوله عليه الصلوة
 والسلام ما عبرت الله ما عبد في سبيل الله ففقه الناس وقوله صلى الله عليه وسلم أنا نبينا ما
 درجته أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الشوجين كمين الأصحاب والأرض
 رواله الجبارى وصلى رضى الله عنها فله الحمد على ما أتم به عليكم من التزول التي سطرت
 أجودها في صحابكم وصحابكم أسلافكم الكرام وصار غيبها مرة في جبهة السعدى
 وحسنه في صحبة الإيام ولقد أيد شاعر حضر تاسع شعر صكيرة فليكن في الله
 جل العزائم والأفلا تيمم بحفون الصوارم ككاشيك أبحر الخضم جبادها
 إذ ما تهادت موجه التلاطم تحفد بنصروا الأواء مظفره بالشمس وأيد عبد
 وخادم فبا ناصر الاسلام بأمن بغزوة على الكفر أيام الزمان مواسم نين يتبع سار
 في الأرض ذكره سرى القيت يمدوه أنصاوا لعمام فعدت شاعر أباحلان الشاير وأطهار
 الزينة والسروور بما أكتنا الشريعة لما من الله به من هذه النعمة وأعد ذلك صالح الدعاء
 مع أنصاف المسرة وأضفى المسلمون من بشرين بهذه النعمة التي تسر بل كل واحد منها
 بأبى لباس وتلاكل منهم ذلك من فضل الله علينا والناس وجهنا أنكم مفضل
 الجحاح والزواردين الذين حاسى محمد الزينوى زاد الله تدواه وبسرته مع الأفلو ربان
 المسكونة بالسكة الجيدة الجديدة السلطانية المنبهة إلى شرب الملكة المكرمة وفقره
 أشرعين الشريطين مع أنسا فله النصر به فلرجو من الله أن يصل إلى المقصود وبالخير

سعد ان شاء الله تعالى واما ما اشار اليه الكريم من سروره وابهاجه فجلوسنا على سرير
ملكنا الشريف واذ كان جبع الربا لطاعتنا وامرنا التنب من المنسرف والشريف
وله اخذ بالحظ الوافر من هذه البشرية التي خصت الاسلام وعنت امه سيدنا محمد عليه
الصلوة والسلام وانه بعد ما بدعاه ان الله يشاور سلطتنا ويشده ويجعل الوبه ملكنا
الشريف صلبه على مقاسنا ويخنده وما اشار اليه من له فافقه هذه الغزوة الشريفة
عن المكاتب والابناء خلفا بقية تصفح خواصرة الشريفة ما كيد اسباب الورد ونجيب
على الاتحاد ففد قهينة ذلك ونطعن ان الحصة لنا من هذا التبت الكريم مستديرة والمودة
يشنا وبينه كالاسلاف الكرم مستقيمة وقد نوارت الخواطر منا وشكم على غفوة الحصة
تجيب الاعتراف وتؤكد المودة بعز الخواطر والورد اما الهدية التي شرفنا بارسانها فقد
وصلت والاقبال قوبلت وشكرنا صدق محبة مهديا واقية عن جبل موالاة التي لم نزل
في ملا ملكنا بتدبير وقواعد المجلس الساسي انجاس فصدق اشار اليه بعد ان حوّل
عز يد الاكرام ووافر الاحسان وعذر الاحترام وارسلنا معه احد امراتنا واعراضنا
المجلس الساسي الاميري الكبري الذي المؤتمري الاخصى الذي التفتي الترقى الارحدي
السين بروند في الترفي اذ ان الله سعادته وكتب سلامته بما على يد من كادنا الشرف
وخطابنا الشريف واليه دنا وانصف التي تؤكد اسباب الورد وجبل المصافاة والاتحاد
وحشاهم السلام كفر اسكرم ما ينسب فمر الدهر عند ادائه وبسر وجه البشر عند ادائه
وسبغهم علىكم الترمع بالمحبة من ذلك فنصف بجهيز رسته واجار السارة من هناك
والله تعالى يد باعراة والصارة ويخلد فعه عليه يد وام ليه ونساره عنه وصكره
كتب في اواخر شهر ذي القعدة احرام سنة سبع وخمسين ومائة الهجرة النبوية على
واضعها السلام

﴿ الشريف مشار اليه طرف من هذا اي منبرك اليه ابراهيم اولان جوابه عن صورته ﴾

بفضل الارض في حضرت السلطان القوي القدري المصوري الجاهدي الراعي
الاعظمي المؤيدي الشهدى العوي القوي الشهدى التامري معين الاسلام والمسلمين
سلطان الملوك والاعلام نوريون الجاهدين نور الدين نصف الله في الارضين فهران
الله والطين محي الشريعة المحمدية فهي الملة الاجدية المسماة على اسلافه في الغزوة
وابنهاده المناهي بين فرقة بالفتوح ونهضة السيلاد الذي بغض بعهد الشريف السوابق
والواوحي من آل عثمان الشريف بشريف من ان الله بأمر بالعدل والاحسان في لازلت
اوليا له منصوره واعدا له مفعورة وحسن الحصان بصلاته مفتوحة وتوحي بدانهم
ودارهم بهيائه مضبوطة وما رحمت نواصي اجباء دولته في غدا غزوه مبدية وشفا هم
مناحكة من بستره ووجوه المشركين عليهم اغيرة زهدها فرة اولئك هم الكفرة المظجرة وعساكره
التصوره مؤيد من عند الله العزيز الجيب واعلام نصره مسترة بكتاب نصر من الله
وقطع قريب من ما غرت العرب فرارها ودارت الحضرة اذ وازها باقي التبه وآله وذويه
وبعد يدي لعله العساك اعلاه الله واداه بالذولة الابدية والسعادة السرمدية ان مشرفكم
الشريفة ومبشركم الفتيحة وودت الى الخليفة المعالي بالاحلاص ومحبه المياهي
بالاختصاص على يد فجر الزوار وزي ايجاص خواجده حاج محمد ازبوني زاد الله نوا
وجعل اخريه خيرا من اوليه في احسن الاوقات واطيب الساعات فاستقبلنا ها بالاعظم
وقبلنا ها بالاجلال والتكريم وقضنا ها بكمال الادب وقرأنا ها مفاتيح الكعبة العظيمة

بين اهل الحجاز وانشاء العرب قرأنا فيها من القرآن ما هو شفاء ورجة للؤمنين وشاهدنا
 من ما وحيها ظهور معجزة رسول الله خاتم النبيين وما هي الاقبح الفضة طينة العظمى
 وتوايها التي متانة حصنها مشهورة بين الالام وحصانة سورها مرووفة عند الخواص
 والعوام وجدنا الله تعالى يفسر ذلك الامر العبروني حصيل ذلك انهم القشير جدا يوافي
 حبه وشكر ايكاف في كرمه على ان ادائها فربضة مشكلة واحصاءها خارج عن الطائفة
 البشرية مقربين بالعذر والتقصير واجين الاطاعة منه في طاعته الله على ذلك قد برحت ماورد
 في الاخبار من الاحاد الاخبار ان احتراف العبد بقصوره عند منه لولاه عند العفة سهوا
 او من عدم الاقتدار سعي معدود من احسن العبادات والقبول موقوف على رتبته حال
 التفرغ في الحلووات انهم باب الكعبة والعرقات ويا نور الارض والسموات انصر
 من نصر الدين واحفظ من حفظ المسلمين واكتب السلامة على كافة العزاة وعامة التجاهدين
 والنجاش والمساقرين في برك وبحرك برب العالمين وفرحنا بها نهاية المسرة وبنتنا ذلك
 غاية البشاشة والتمجيد من احبها من اسم آياتكم العظام والساوكم بسلك اجدادكم الكرام
 روح الله ابراهيم وجعل اهل عرف انسان مكانهم في اظهار النعمة لكان الاراضي
 المقدسة من القراني الاسلامي عملا بد اول والحب بتولوت واحدكم انا وياثر السادات
 والفقراء والعلماء والعلماء المسرورين بما قال رسول الله عليه وسلم خيار امتي قوم بخصكون
 جهرا من سعة رجسة ربههم ويكون سرا خوف عذاب ربههم وتقديرا والعتى في البيوت
 الطيبة يدعون بالذمهم رعبا ورعبا ويسألون يا ديمهم خضضا ورفعوا مؤتمنهم على الناس
 خفيفة وعلى أنفسهم مكثيرة الحديث تسعة الاف اقلوديات الجاهلية بالسكة المعجزة
 من انقال تلك اليلة العظيمة المعينة تسبها في مراسلكم المعينة فبها بحسب
 الاشارة الشريفة قفيض كل واحد من المستحقين ككل القبط وقال الشارون
 عليها العرجس الاصفر شير من الابيض والتملات اكف الفقراء من الذهب الاصفر
 فصاروا وكما في الاكسبر الواسلين الى الكبريت الاحمر والعتى لكم بخلوص الجنان
 واجين قبوله من الله الملك المنان كما قال عليه السلام دعاء المحسن اليه للمحسن لا يرد
 حادته الله على انعمه في الالام وساعانها عملا بمقتل عليه السلام الحمد على النعمة ابراهيم
 من زوالها والمسؤل من فضل الله الكلام ان ينالكم غير الدارون العاجل والاجل
 كما قال عن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة عدن في السماء العذاب لا بد خلها الاي
 اوسدديق اوامام عادل اخر الحديث والفتن من جنابكم السداسي ان يحيط حكمكم على
 احول فقره هذه الدار بالامسل والفرع ويزيد اطفكم على الضعفاء لتكنين يود
 غير ذي ذرع ابتداء لمرعات انه يوم معاده كما قال عليه السلام خصلان ايس فوقها
 شئ من الخير الايمان بالله والتفعل لصادق واعتنا مع احبابي زين الدين الشارابي قدوة
 الصلحاء والذو عرين مولانا نجم الدين السيوطي زاد الله تقواه لينوب مثابا في تيسيل
 سدنكم السلية وتاييم عنيكم العلية والخصا شددتكم برفع باب المسكة العظيمة والاشنة
 الهندية المشوغة مسع مطو زات وعشرين شاشاة الملوكة زعم وراس ركة معزة
 طاشرة في الهوى كسامة الحرم عاقر جومن نواب الوبائكم العالمة الانعام بالقول والعذر
 عندكم ارام الناس مقبول اذ انكم الله وابدكم بالدولة القاهرة والسلطنة الباهرة الى يوم الدين آمين
 ﴿ جنشكان ابو الفتح سلطان محمد خان غازي حضرت تلمی درگاهتند خواجہ کریمی انشاهے ﴾
 ابرار شانهن بجهان شامبر زاه استايولك قضي شيريه كوندلش اولان نامة همايوك صورت بدو

ملحق رقم (٣)

مسورة من نشرة فتح بلغراد والتي أرسلت إلى قضاء الممالك المحروسة

مفاخر القضاة والحكام ومعادن الفضائل والكلام والمختصون بمزيد
مناسبة الملك العلام بإفضائي لممالك المحروسة حينما وصل إليكم هذا
الأمر تفكروا في مضمون هذه الآية (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) .

والعلاء على عبدك الجليل الشفيح المشفع يوم التذليل والتجيبيل
وعلى جنده الذين مثلهم في التوارة والإنجيل ، أن تلغوا أقدامكم في
طريق الشريعة الإسلامية بموجب أمره (فاستقم كما أمرت) . وعلى
مضمون آية (ولئن شكرتم لأزيدنكم) علينا الشكر على النعمة التي منحنا
وعليها كذلك التمسك بأمر الله تعالى (قاتلوا المشركين كافة) لكي
نسقط الوجوب من كافة المسلمين لأن من قاتلنا فيتوجب القتال على الجميع
والله يساعد من قاتل لأجله كما قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فينا
لنهيدينهم سليمان) إنه دولتنا قد شيعت من آذاهم إلى الهزائم ولم تكن
بقاياهم النتيجة العفو والتسامح من آلافنا إذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو شكراً للقُدرة . وهذا نتيجة لعفو الملك ومن لم يشكر العفو
لم يشكر الله . ولكن إن ماخولنا من شدة غفلته وبلادته لم يحسب
حساباً جيداً فنحن أن العالم خالي من الأبطال ، ولم يرمقبت وأوقدنار
الفتنة والفتنة ناشئة فمن الله من أيقظها وهو لم يفكر في هذا .

وحينما بدأت الفتنة أرسلنا عليهم فرهاد باشا ليقطع دابراهم
(ولئن كفرتم إن مذبذب لشديد) فيحينما تحرك جيش فردها باشا وهو

مركب من عساكر أناتولسي فهاجم الجيش العدو ، والعدو لم يتحمل القتال لمدة طويلة فبدؤوا يغفروا من ميدان القتال (حسب مستغفرة فسرت من قسورة) ولكن لم يستطيعوا أن يتخللوا من الموت (إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم) وجهز الجيش من عساكر روم أيلى ، فوصل الجيش إلى موقع القتال في زمن يميز ، وكان على رأس الجيش من يمس أحمد باشا وقد فتحوا قلعة (بكوردلان) وكذلك تسمى بقلعة (باطسوب) وتمكن الجيش في موقع ساحل نهر صاوه فدخلوا هذا الموقع معسكراً لهم وفتح قلعة بلغراد كان أعجب من كل شيء وللهذه القلعة أهمية كبيرة ، وفتح هذه القلعة قد أرسل وزير أعظم بير محمد باشا حيث أنه كان رجلاً عاقلاً وقائداً عظيماً ليس له مثيل في العالم . ونهبوا وطلبوا ما كان موجوداً حول نهر صاوه وذلك حول قلعة بلغراد (كم تركوا من جنات وعيون وزروع وثمار كريم) وأصبحوا مهزومين أمام قوة محمد باشا . كانهم (كان لم يكن شيئاً مذكوراً) بعدما حملوا على الغنائم من أموال ونساء وغير ذلك بدأوا يتحركوا نحو قلعة بلغراد . فأرسل الوزير مصطفى باشا لفتح القلعة فهاجموا بالمدفعية ودارت المعركة بينهما فرجموا القلعة بالمدفعية كرحم الشياطين وجعلوا غالبها ساقطاً ، ولم يكن لهم مفر (أينما تكونوا بدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (كل نفس ذائقة الموت) وأخيراً بعض منهم قد ندموا والتجؤوا إلى مغوفنا (فتصيحوا على ما فعلتم نادمين) (من يهدي الله فهو المهيدي) وبعضهم لم يلحقوا بنا (من يضل الله فلا هادي له) وأعرضوا عن الإسلام وقبلوا أن يدفعوا الجزية وطلبوا الأمان ، وبعضهم كان يظهر من

سيماهم أنهم من العمدة والأثقياء ، فقتلوا وأرسلوا إلى نار جهنم
ومغارهم قد أرسلوا إلى دار الإسلام حيث أن كل مولود يولد على فطرة
الإسلام . وأما شيوعهم وعجائزهم لم يقتلوا إنما أرسلوا إلى وسط بلاد
المسلمين . وذلك ملكهم وجمع أمراهم للاحتفاد منهم وأرسلوا إلى
دار الحكومة .

تحريراً في أواخر شهر رمضان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعمائة
بورت قمبة بلغراد .

فلیه فواتحه اجد پشابه بروجہ استصال کذا سز دیویشہ آدم کشیدنی بوکون کلوب
 اندوه ملائی اولدی بوم الانین فی ۵ توفیق بوم التثانی فی ۶ توفیق بوم الاربعاء فی ۷ بوم الجُمُعِ
 فی ۸ قبلا وقریه سہ کہ دیند در بوم الجُمُعِ فی ۹ سمر جعفریہ سہ بوم الاحد فی ۱۰ نفس
 جرم فواتحه بوم الانین فی ۱۱ شهر ادرہ بوم التثانی فی ۱۲ توفیق عدادہ شکوہ سوار
 اولدیلر بوم الاربعاء فی ۱۳ بابا اسکسی فواتحه بوم السبت فی ۱۵ غار شدان قرہ سہ
 بوم الجُمُعِ فی ۱۶ عرلو قرہ سی فواتحه بوم السبت فی ۱۷ ملودی فواتحه وشلو خدانو کلا
 فواتحه کذا کذا برمشدار آرام ایدوب بعدہ فایضہ نبوب مدینہ استانبولہ دولہ ایلوب عدادہ
 سرای دلمرہ بہ وصول بوالدی

﴿ مملکت محروسہ فاضلہ بنسہ کجندریلان بلگرام فتحنامہ سی صورت بندر ﴾

مفاخر للنساء والصلحام معادن الفضائل والكلام المختصون بمزيد عنابة انتك العلام
 بملك عمر وسدم فاضلیری زیت فضا لهم توفیق وقیع هه یون واصل وایض معلوم
 اوله صکه چون آیت وافیه الهدایة ﴿ فی قل اللهم ما انت لی فی التوفیق من نساء
 وتزوج انک من نساء ﴾ وکذا وحیة الله لاله تنفع الفلاح وتغنی ثارها ونضع الحرب
 ونهمل دارها فی الاجراح من وراء ۲ ولا جارة ونجیر عن الاوجاع من دون عمل
 ولا عسرة معقون یلوب والصلوة علی عبدک الجلیل الشفیع انشفع بوم التذلیل والتجلیل
 وعنی جسد ۳ الذین منهم فی الثورة ومنهم فی الانجیل ۴ هر تاجدار کہ رحمت ﴿ فاستقم
 کا امرت ﴾ قدم همین سادہ شریعتہ راست قریوب ﴿ اجیبوا داعی الله ﴾ مقتضی سبیه
 انجابت دعوات رجسائی نسیب تسلال عتقان وعتال اوامر یذا فی موجب زوال عصیان
 ۵ ینہ لاجرم بمقتضای غوی ﴿ لئن شکر لآزینکم ﴾ الایہ سادہ دولتی عامہ دیا واسباب
 حجتی کافیہ بران او زریعہ محمود ایلوب عکس سم سجد کئی نور دین صور الدار کامراتی
 ورتوع عالم اراستند مثل شمس شادمانی مشهور لیدوب ناصیہ مساعدت غامضہ نور
 نصرت واضع وجهہ دولت افراسندہ ستاره رفعت لایح اولور ضلالت چون غوی
 کسور کشائی ﴿ قالوا المشرکین کذبة ﴾ الایہ صدر نشین سریر ﴿ اجعلناک خلیفة
 فی الارض ﴾ شایند شامل بل عامہ مشایخان دامن ملت اجد وکافہ متسکان عروہ وبقا
 شریعت محمدی بایندہ متناول ایلوب بنسہ فی هذا ذم مطیعین بالصلو والعرض ازلا
 واجب ولفظ فرض انک ایچون رکعت وضعت عن عمره عز ووجهه جانتہ مصروف
 طویق امریہ حرکت فکرہ الیہ شیخ مؤلف ارباب تسلال ایدیجک پرموجب ﴿ والذین
 جامعدا وینا تهدیهم سبیل ﴾ الایہ مرشدان شوجان عقیدہ وصبان فیوضت لاریبہ
 انکروس مایوس کہ ایاغن جد غدا فی شربولت وطعمہ شمشیر وفتور انوار اعصاب وعظام
 وطوم اعضا عفت البیاض من بیده اولشدر بشرطه راست ایدوب اما سابق
 سردار سرکسان کرو ۶ اشتیاقہ لیلدی بافی کہ جسدہ بقایا شمشیر جہ نکیر من ایدی
 اذا قدرت علی عدوک فاجعل العفو شکرا القسدة موجبہ تربت حقوق شاهی الیہ
 نشو وفاقا بولشکن من لم یشکر تعد لم یشکر الله معقون دین ضلالت کو ستر و وسوسہ
 شیطانیہ اوجاج جلیتہ تقویت انکله کاسہ دماغی شرور وخرور دین مملو ایلوب سبیل
 ضلالتہ تحیل ایدوبی مالمویشای فاسد ۷ سی ﴿ کسر اب بیعتہ بحسب الفضل ما ﴾ الایہ
 قیلند واقع ایلوب غایت عبادت ونسایت بلاد شدان غروب آفتاب مولد طلوع دیگر
 وظهور طلعت معدن و آخر اوله جفی فهم ایتوب ملکی حفظہ ملتند خالی خیال ایدوب

مذکور که به الایه قلندی و افراد عساکر منصوره در هر فرد نقیسات کلزار امانی و تمام
 غنائم فراوانی و غلامان غلبان شمرست و کثیر کان رشک خود بهشت ماحصل از زمین
 و بسیار ظهور و قبول بی رنج و تادور و وار از قیام و بنشینان و اموال مالا مال کشتار آیه منو
 اولوب خندان و فرمان اولوقدنصره عیان عزیمت کینی نورد و برقی و رشک و بغلار طرفه
 معصوف قشوب قلعه مزبوره که هر طرفی رخسند خول و تبتیه و وصول قشوب اول صبریده
 و زور و قلعه فتح اولوب بعد از مدبر امور احوال جهان و مری و اهلش زمین و زمان
 صاحب العز و شکست مری غم اوفی انفرادین و زیم مضطبی باشا قلعه مزبوره و یادار
 اولوب روز و شب کاه خنول عتلا به عقال امور صعبه ده که کسای هند اشکال اولوب
 بیت که آفتاب رومی اوکر سایه بر چرخ افکند ماه را عار آید از خو رشید کردن
 انیس که کاه چهره خوب و غنچه کاه عسکر دماغ دافوری و کرد کرد معرکه ضرب و حرق
 و قتی بصیرم اداری اولوب بیت که ملک مسلم کسی خوش کند بوی مرد که خدای
 معرکه باشد صبر عزیز او که کفر مذکور انواع مکرله کرو اسلامی دفع ایش قصد
 ایشد بکر نیمه باشای مشارایه و ابعده که کاهم بیلان مرصوص که الایه حاده صعبه
 ثبات قدم اولوب زلال ملوب و تبتیه کشتار و معرکه و سزار اولوب کا کان افکار
 صاعیسی مضطرب و مضطرب معصده دن خوب و غنچه همچون مترسار وضع اولوب اصل
 قلعه بیت دخی که جملها عایله سافله که که موجب بعضی دیوارین بدستباری ملوب
 مساوی روی زمین قلوب و شبه ایشد بعضی ملوب لصله فقرت و بعضی شراره
 آتش انفذاده غریبی قلوب چند روز هر فیدان متوال و متتابع صاعیسی خوب و غنچه
 و شراره آتش بی درگاه جواب است جهات بل همه احرای جو کشت چون کرد
 چندین انشین اولوب شراره ملوب و غنچه جهاتی قلابیون باعث زلزله و سب و لولا
 زمین و زمان واقع اولوب و عساکر منصوره و بکیری طایفه سی که رشک افکند کوه
 دافوری و صف شکست میدار بهادری و شیران پیشه شجاع و شهنشاه بنجر حسلاند
 برقی و اول قلعه آسمان اسانت برج و بارونه عروج اولوب در رجوع و تبتیه که الایه
 اول طایفه عاصی که حیاتین خاکستر خوب و بخود سمند و اربطان هوان کرد ناره
 صعود اولوب بلزوی بلزی نیز مختار بجهت کبر تخم بیهی کفار واقع اولوب رسول که ایشک و
 بدر کمر ملون و لوگنم بی روح منبده که الایه هیچ وجهه اول حصص حصین و حصار
 منبده مختاری منبده اولوب اصباحت برنه رفم که کل نفس ذالقه شوت که الایه بیکایوب
 حفظ نمود و عصمت نیروه ارتحال ایتدیر و اهل اسلامدن قتل اولان شهید که ماضی
 بقدر و ارضه الله بقی که الایه ملا حظه سیه که فی منفه صدق هند دیت متمر که الایه
 دار و حیسان و جوار و حیدر و قاتون ساکن خد برین و ماضی شاهدان احین حور العین
 واقع اولوب که کل نفس بما کسب رهنه که الایه شوالی ان الله ملک یسوق الاهل
 الی الاعل هر فریق شکسته صادر اولوب و مرفیدن هنوز قید حیاتیه مفید اولوب
 را بینه و مصداق کعبه و واقع از قد نصره صدق معنون که لایب نصیبون
 حبه و لایب تون سبیل که اول مرده ملاهین حننه واقع اولوب و بعد تبتیه و اقی
 کند غوس شیدانه قوت مشاومت و قدرت مذاققت فهم ایتدیر بروح که قصص
 علی ماضی لاهمین که کفر مذکور به صبت و مسد و وصول و صلات ایشدن
 بعضی من تجار اسه قدریج مسکنه سلوک اولوب که من بیدی الله فیو المحدثی که

مهمة دفترى رقم (٩) صفحة ٨٩ حكم رقم (٢٣١) بتاريخ ٢٤ شوال ١٣٧٧ م

أعطى الى خليل حاوش في ١٠ ذى القعدة .
حكم إلى أهالى الأندلس .

وعل الى آستانة عبادتنا عرض حالكم الذي جاء فيه بأن الكفار أصابهم
الدمار وجعل الخلالة لهم شعار قد سلبوكم أملاككم ومنعوكم من تحصيل
العربية ، وأنهم يتعرضون لنشائكم ، ويعارضون كل أنواع الظلم والتعدي
عليكم . وتعلمون أنه يوجد حالياً لديكم ٢٠ ألف رجل مسلح كما أن هناك
١٠٠ ألف رجل قادر على حمل السلاح ، وعلمنا باستلامكم مقداراً من السلاح
من الجزائر وأن ذلك قد ربط على قلوبكم وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفار
العديد من الخسائر فالحمد لله على نهر أهل السلام ، ويكتب لهم الفوز
على الكفار جعل الخلالة لهم شعار .

وقد عرض بالتفصيل كل ما جاء في حالكم من تحريرات وتقاريرات على
سرير عبادتنا ، وأحاط علمي الشريك الملوكي وشمل كل ما يتعلق بأحوالكم
وأخباركم وأن أنظاري منعرفه دائماً بحكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة
من مالكي المحروسة والتي كانت على العهد والأمان منذ أجدادي العظام
أنار الله براهينهم إلا أنهم نقضوا تلك العهود واخذوا بالتعدي على التجار
وأهل الإسلام والمسافرين ، بحرراً لطواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضرة
سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بخلوص النية وعفاء الطوية وبذلك
فأنهم معرون على الععيان والطفيان لذا فبعد التوكل والإعتماد على علو عناية
الحق سبحانه وتعالى والتوكل والإعتماد إلى المعجزات الكثيرة البركات
لغفر الموحودات ملوات الله عليه وسلامه ، وكذلك بالاستعداد بالأرواح الطاهرة
لسائر العناية الكرام عليهم رضوان الله تعالى أجمعين فقد استقرت نيتي
الملوكية على فتح وتخوير الجزيرة المزبورة في الربيع الأخير القادم
ونفزع إلى عبة حضرة الحق جل وعلا أن ييسر لنا فتح وتخوير تلك الجزيرة
وأن يبسط أيدينا عليها حتى تأهل بأهل الإسلام كما كانت عليه وكى تقام فيها
شعائر الشرع الشريف وحتى يآمن التجار ويسلموا في مدوهم ورواحهم ويتعرفوا
للدعاء وثبات ومجد رفعة الدولة وبما أن الوضع على هذا الحال فإن إرسال
الأسطول الهابوزي المظفر لحمايتكم سيتأخر ربما يتم إيصال المراكب

للعساكر المنعورة للجزيرة المزبورة وسيتم ذلك إثر إنهاء الأسطول لمهمته بعناية الحق وقد أرسلت أمرى الهمايونى الموكدة إلى أمير أمراء الجزائر الذى نتجته أنظاره واغتنثته نحوكم لإرسال النجدة والمعونة لكم إمبارسال العساكر المظفرة أو بإرسال العدة والعتاد ، وبموجب أمرى الشريف فى إن أمير أمراء الجزائر سيكون غير معين وظهير لكم .

كما أننا نتوخى من خلال حميتكم الإسلامية المتأهلة فى جبلتكم صدم التراجع عن إظهار غيرتكم على الدين المثلين فلتظهروا أنواع اقدامكم وأعمال إهتمامكم فى الحرب والقتال والجدال ضد الكفار الأذلاء والمأمول ألا بضمن دعاء وعلحاء وشار أهل الإسلام فى تلك الديار بالدعاء ليل نهىار بتيسير الفتح والشعر للفرقة المظفرة ولا تتوانوا عن إعلامنا باستمرار من أحوال وأوضاع تلك الديار .

نَبِيُّ الْمَصَادِرِ وَالْمُرَاجِعِ

أولا : الوثائق

- مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٧٧ حکم رقم ٢٠٤ ، بتاريخ ٢٢ شوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيف العثماني .
- مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٨٩ حکم رقم ٢٢١ ، بتاريخ ٢٤ شوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيف العثماني .
- مهمة دفتری رقم ١٤ صفحة ٢٠٠ ، حکم رقم ٢٨٤ ، بتاريخ ٣ صفر سنة ٩٧٩ هـ ، الأرشيف العثماني .
- وثيقة رقم ٣٦٢٥ ماسة روسيا الخارجية ج ١٢ ، ٢٢٩ صفحة باللغة الروسية موسكو : ١٩٢٨ م . (دار الوثائق القومية ببغداد) .

ثانيا : المخطوطات

- (١) ابن زنبيل : أحمد بن علي .
آخر المعاليك واقعة السلطان الغوري ———
سليم العثماني مخطوط تحت رقم ٤٨ بدار الكتب
المصرية .
- (٢) البكري : محمد بن أبي السرور .
عيون الأخبار ونزهة الألبار مخطوط بدار الكتب
بالقاهرة تحت رقم ٧٢ باسم تاريخ ، يتكون من
٢٠٢ صفحة هذا المخطوط مكون من تسعة عشر
باباً من بدأ الخليقة إلى أبناء ملوك العرب
والفرس واليونان والروم ، وذكر الرسول علي
الله عليه وسلم والأمويين والعباسيين ———
والنوبهيين والسلاجقة والفاطميين والأيوبيين ———
والأنراك والحراكية إلى خروج السلطان الغوري
إلى مقابلة السلطان سليم .
- المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية
مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم
١٩٢٢ تاريخ يقع في ١٩٢ صفحة .
- (٣) جودت :
تاريخ جودت باشا . مخطوط معمر تحت رقم
١٣٢٨ / ١٣٣٦ المكتبة السلطانية ، اسطنبول .

- (٤) السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن .
نظم العذيان في أعيان الأعيان ، مخطوط بدار الكتب
المصرية تحت رقم ١١١١ تاريخ تيمور معور على
ميكروفيلم .
- (٥) العيني : محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ) .
مقد الحمان في تاريخ أهل الزمان ، المعروف بتاريخ
العيني ، ٢٣ جزء ، ٦٩٠ مجلد تحت رقم ١٥٨٤ دار
الكتب القاهرة .
- (٦) زاده : طاشكيري .
الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية
مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ تاريخ تيمور معور على
٢٥٢ صفحة بدار الكتب المصرية .
- (٧) موللي : أحمد جواد .
الدورة النيرة في بيان ماجرى حين أغارت على
الجزائر جنوس الكفرة ، مخطوط رقم ٩٧٥١ بالمتحف
البريطاني ، باللغة العثمانية في ٥٢ ورقة ، جماد
الأولى سنة ثمانية وتسعين ومائة وألف .
- (٨) المقدسي : مرعي بن يوسف (المتوفي ١٣٠٢ هـ) .
نزهة السائرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء
والسلاطين ، مخطوط تحت رقم ٢٢٦٩ تاريخ معور على
ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية .

ثالثاً : الكتب المطبوعة

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الكتاب العربي . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٢) ابن أبياس : محمد بن أحمد .
بدائع الزهور في وقائع الدهور . الطبعة الأولى .
المانيا : دار فرنشتاتنيو . ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- (٣) ابن أيوب : السلطان المومني عماد الدين بن الأفلح نور الدين
علي بن جمال الدين .
تقويم البلدان . طبعة مدينة باريس : بدار الطباعة
السلطانية . ١٣٤٦ هـ / ١٨٣٠ م .
- (٤) ابن خنبل : أحمد .
المسند وبهائمه كنز العمال في سنن الألفـــوال
والأفعال . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .
- (٥) ابن خلدون : عبدالرحمن .
المقدمة . الطبعة الرابعة : بيروت دار القاسم .
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- (٦) ابن سعد :
الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر للطباعة .
١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
- (٧) ابن عرشاه : أحمد بن محمد بن عبدالله .
مجايب العقذور في نواشب تيمور . القاهرة : دار نافع
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- (٨) إبن فضلان : أحمد بن راشد بن حماد .
رسالة إبن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الشيرك
والخزرو الروس المتغلبة . سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م .
تحقيق د. سامي الدهان . دمشق : المجتمع العلمي
١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- (٩) إبن كثير :
البداية والنهاية في التاريخ . الطبعة الأولى .
القاهرة : دار الفكر العربي ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م .
- (١٠) إبراهيم أفندي : (الطبيب الأول للعساكر الشاهانية) .
مصباح الساري ونزهة القاري . الطبعة الأولى .
بيروت . مطبعة إبراهيم أفندي . ١٢٧٢/١٨٥٥ م .
- (١١) الألوسي : أبو الشفاء شهاب الدين محمود أفندي .
نشوة السعول في السفر إلى اسلامبول . ليس هناك
معلومات نشر ، موجود بمكتبة الحرم المكي .
- (١٢) أرسلان : شبيب .
حاضر العالم الإسلامي . القاهرة : مطبعة الحلبي .
١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م .
- (١٣) أرنولد : توماس .
الدعوة إلى الإسلام . بحث في تاريخ نشر القصيدة
الإسلامية . الطبعة الثالثة . القاهرة : مطبعة
الشبكسي بالقاهر . ترجمة : حسن إبراهيم
حسن وآخرون .

- (١٤) إسماعيل : عادل اسماعيل وأميل خوري .
السياسة الدولية في الشرق العربي . طبعــــــــــــــــة
بيروت . ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- (١٥) أغلو : طيمان ملا .
جامع السليمانية إنشاؤه وخصائصه . طبعــــــــــــــــة
جوشكون أوفست . إسطنبول .
- (١٦) أنيس : محمد .
الدولة العثمانية والشرق العربي . من ١٥١٤ - ١٩١٤ م
القاهرة . طبعة مكتبة الأنجلو المصرية . ١٤٠١ هـ /
١٩٨١ م .
- (١٧) أومان :
الإمبراطورية البيزنطية . بيروت : دار الفكر العربي
١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .
- (١٨) باتريك : ماري ملز .
سلاطين آل عثمان الخمسة . ترجمة حسنا عفن . بيروت :
دار صادر . ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .
- (١٩) البيار : محمد علي .
المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ . المطبعة
الأولى . جدة : دار الشروق . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٢٠) بجوي :
تاريخ بجوي . كتاب في جزئين . إسطنبول : ١٤٠٠ هـ /
١٩٨٠ م .

- (٢١) البحراوي : محمد عبداللطيف .
حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني
١٨٠٨ - ١٨٣٩ م . الطبعة الأولى ، القاهرة : دار
التراث . ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- (٢٢) البخاري : أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي .
التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية .
- (٢٣) بروكلمان : كارل .
الأتراك العثمانيون وحضارتهم . الطبعة الثانية .
ترجمة نبيه أمين فارس ، ثلاثة أجزاء : بيروت
دار العلم للملايين . ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .
- (٢٤) بردي : جمال الدين أبي المعاصي يوسف تفسري .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . خمسة
أجزاء تحقيق : جمال الدين الشبال وفهيم ثقتوت
القاهرة : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- (٢٥) بيهيم : محمد جميل .
فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية
العثمانية وزوالها . طبعة عام : ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- (٢٦) بيثون : جان .
بواعث الحرب العالمية الأولى . ترجمة محمد عزت .
بيروت . مطبعة الكشاف .

- (٢٧) الثقفى : يوسف على •
دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب
على مر العصور • الطبعة الأولى : مطبعة المظلة •
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م •
- (٢٨) جاويش : سليمان خليل •
التحفة النية في تاريخ القسطنطينية •
ثلاثة أجزاء • بيروت : دار صادر ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م •
- (٢٩) الجبرتي : عبدالرحمن •
مجائب الآثار في التراجم والأخبار • الطبعة الأولى •
القاهرة : البيان العربي ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م •
- (٣٠) جيب : هاملتون وبورن هارولد •
المجتمع الإسلامي والعرب • ترجمة أحمد عبدالرحيم
مطفى وأحمد عزت عبدالكريم • جز ١ • القاهرة :
دار المعارف •
- (٣١) الجندي : أنور •
الإسلام وحركة التاريخ • القاهرة : مطبعة الرسالة
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م •
- (٣٢) حودة : أحمد حسن •
المعالم البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م •
ترجمة حسن علي النجار • بغداد : مطبعة الإرشاد •
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م •

- (٢٢) جيبسون : إدوارد .
إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ترجمته
محمد علي أبو ذرة ، في ثلاثة أجزاء . القاهرة :
دار الكتب .
- (٢٣) حنسي : فيليب .
موجز تاريخ الشرق الأدنى . ترجمة أنيس فريحة .
بيروت مطبعة دار الثقافة .
- (٢٤) حنون : علي .
تاريخ الدولة العثمانية . الطبعة الأولى ، بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- _____ :
العثمانيون والروس . الطبعة الأولى . بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- _____ :
العثمانيون والبلغار . الطبعة الثانية ، بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٢٥) الحصري : ساطع .
البلاد العربية والدولة العثمانية . الطبعة
الثالثة . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٦٥ م .
يوم ميلاد : دار الاتحاد . بيروت .
- (٢٦) حنسي : إحسان .
المسلمون أمام التحدي العالمي : الطبعة الخامسة .
بيروت . مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- (٣٨) حلمي : مصطفى •
 الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية .
 دراسة حول كتاب " النكير على منكري النعمة من
 الدين والخلافة والنعمة " الطبعة الأولى •
 الإسكندرية : دار الدعوة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م •
- (٣٩) حليم : علي بك •
 التحفة الطيبة في تاريخ الدولة العلية . الطبعة
 الأولى • القاهرة : ديوان عموم الأوقاف ١٣٣٢ هـ /
 ١٩٠٥ م •
- (٤٠) حمادة : محمد عابد •
 تاريخ الشرق والغرب من منتصف القرن التاسع عشر
 حتى نهاية الحرب العالمية الأولى • الطبعة الثانية •
 دمشق : دار اليقظة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م •
- (٤١) خير الله أفندي :
 تاريخي • الطبعة الأولى • إسطنبول : مطبعة سنده
 ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م •
- (٤٢) دحلان : أحمد زيني •
 الفتوحات الإسلامية • القاهرة : مطبعة محمد مصطفى
 ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م •
- _____ :
 خلاصة الكلام في أمراء بلد الله الحرام • جز'ان ،
 الطبعة الأولى • المطبعة الخيرية بمصر المحمية :
 ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م •

- (٤٣) الدسوقي : محمد كمال .
تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
_____ : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة :
مطبعة دار الثقافة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
_____ : تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (٤٤) دسوقي : ياسر
تركيا بين هينارين . القاهرة : منشورات دار المكتوف
- (٤٥) الديراوي : محمد .
الحرب العالمية الأولى ، مصر مصر ، الطبعة الثانية :
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٤٦) الرفاعي : عبدالرحمن .
مصر وإسماعيل ، جزءان ، القاهرة : مطبعة النهضة ،
١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- (٤٧) الرفاعي : عبد العزيز .
قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٧ م .
القاهرة ، دار القلم ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- (٤٨) رفعت : إبراهيم .
مرآة الحرمين ، جزءان ، طبعة بدون . بيروت :
دار المعرفة .
- (٤٩) رفيق : أحمد بيوك .
تاريخي عمومي إسطنبول . مطبعة إبراهيم حليمي ،
١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(٥٠) راسم : أحمد .

رسمي وخريطة لثماني تاريخي . الطبعة الأولى .

إسطنبول : صاحب وناشري إقبال كتيخانة شمس مطبعة

سي ، محفوظ بالمكتبة السليمانية ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(٥١) رسم : أسد .

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وملاتهم

مع العرب . الطبعة الأولى ، بيروت ، دار المكشوف ،

١٣٣٧ م / ١٩٥٦ م .

(٥٢) رسم : جاك سي .

الحضارة العربية ، ترجمة فتيم عبدون ، مراجعة

د . أحمد الأهواني . القاهرة : الدار المصرية

للتأليف والترجمة .

(٥٣) الزركلي : خير الدين .

شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، ثمانية

مجلدات . الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم

للملايين . ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٥٤) زكي : عبد الرحمن .

المسلمون في العالم اليوم آسيا الإسلامية - القاهرة :

دار النخبة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

(٥٥) زبادة : محمود محمد .

دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبيل

العصر الحاضر ، القاهرة : مطبعة لتأليف ، ١٣٨٨-١٣٨٩ هـ /

١٩٦٨ - ١٩٦٩ م .

(٥٦) السبكي: آمال .

أوروبا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام
الطبعة الأولى . جدة : عالم المعرفة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٥٧) السخاوي:

الفرد اللاحق لأهل القرن التاسع ، مكتبة الحرم
المكي الشريف ليس هناك معلومات للطبعة وسنة
الطبع ومكان الطبع .

(٥٨) سرهنك : إسماعيل .

خفايا الألبار من دول البحار . الطبعة الأولى .
حزبان . القاهرة : ١٣١٢ هـ / ١٩٨٤م .

(٥٩) ملانيك :

تاريخ ملانيك ، المخططينية : المطبعة العامرة ،
دور سيده ختام أولعشر في رجب ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤م .

(٦٠) سليمان : أحمد السعيد .

تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة . القاهرة :
دار المعارف ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

(٦١) شاكر : محمود .

العالم الإسلامي . الطبعة الثالثة . بيروت . المكتب
الإسلامي . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

_____ :
المسلمون تحت السيطرة الشيوعية . الطبعة الثالثة ،

بيروت المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

- (٦٢) شكري : محمد فؤاد .
 معرقي مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١ م .
 القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- _____ : بناء دولة مصر محمد علي . القاهرة : ١٣٩٧ هـ /
 ١٩٤٨ م .
- (٦٣) الشناوي : عبدالعزيز .
 الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتى عليها .
 ثلاثة أجزاء ، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة ،
 ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٦٤) ثلثي : أحمد .
 موسوعة التاريخ الإسلامي : الطبعة الثالثة ، القاهرة :
 مطبعة مكتبة النهضة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- (٦٥) الشيخ : رافق .
 تاريخ العرب الحديث . القاهرة : دار الثقافة ،
 ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (٦٦) شينبي : ل . ج .
 تاريخ العالم العرس . ترجمة محي الدين حنفي ناصف
 مراجعة علي أدهم . القاهرة دار النهضة .
- (٦٧) عاشور : سعيد عبدالفتاح .
 أوروبا العمور الوسطي ، القاهرة : مكتبة الانجلو
 ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م .
- _____ : الحركة الصليبية . القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- (٦٨) عبدالجبار : عبدالله .
الغزو الفكري في العالم العربي . الطبعة الثالثة ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٦٩) العلي : بسام .
الفتاح القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار
النفائس ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- _____ :
القانوني القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت دار
النفائس ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٧٠) عيسى : أحمد .
معجزة فوق الرمال . الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- (٧١) عطية : زبيدة .
الترك في العمور الوسطي ولائقة الروم والعثمانيون
بيروت : دار الفكر العربي .
- (٧٢) العظيم : حقي .
تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ،
الطبعة الأولى ، القاهرة : مطبعة الترقى ،
١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م .
- (٧٣) عمر : عمر عبدالعزيز .
تاريخ المشرق العربي (١٥١٦ - ١٩٢٢ م) بيروت :
دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
_____ :
دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر . بيروت :
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

- (٧٤) عنان : عبداللّٰه .
مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- (٧٥) أبو شنيعة : زياد .
جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك . الطبعة الأولى . عمان : دار الفرقان للطباعة والنشر .
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م
- (٧٦) فاروق : طه زاده عسمر .
تاريخ أبو الفاروق . سبعة أجزاء . اسطنبول : مطبعة الأمدى ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م
- (٧٧) فريدون بك : أحمد .
منشآت الملوك والسلاطين . إسطنبول المكتبة السليمانية ، أوائل شهر جمادي الآخرة لسنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م
- (٧٨) فشر : هرسرت .
أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية حتى الثورة الفرنسية . ترجمة عصمت راشد وأحمد عبدالرحيم ، مراجعة أحمد عزت ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م
- _____ : تاريخ أوربىا العصور الوسطى ، ترجمة السيد الباز العريشى ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار المعارف .

- (٧٩) فهمي : عبدالسلام عبد العزيز .
السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر
الروم ، ٨٣٣ - ٨٨٦ هـ / ١٤٢٩ - ١٤٨١ م ، الطبعة
الأولى ، دمشق : دار العلم ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (٨٠) قيسن : سليم .
تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، القاهرة :
مطبعة التكدم .
- (٨١) الاتمكي : علي شمس .
العاقل العثماني أبو الفتح محمد العثماني ،
فاتح القسطنطينية وحياته العدلية ، القاهرة :
مطبعة السعادة ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- (٨٢) كامل باشا :
تاريخ سياسي دولة علي عثمانية . ثلاثة أجزاء في
مجلد واحد ، إسطنبول : مطبعة أحمد إحصان ١٣٢٦ هـ /
١٩٠٨ م .
- (٨٣) كوبرلي : محمد فؤاد .
قيام الدولة العثمانية . ترجمة أحمد العبيد
سليمان ، د أحمد عزت عبدالكريم . القاهرة : دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٥/١٣٨٥ م .
- (٨٤) ليبسب : حسين .
تاريخ الأتراك العثمانيين . ترجمة حسين ليبسب ،
القاهرة : الهيئة العامة للكتاب .

- (٨٥) المحامسي : محمد فريد بك .
تاريخ الدولة العلية العثمانية . الطبعة الأولى
والثانية . بيروت : دار النفائس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- (٨٦) المرجعة : موقل بنسي .
محوه الرجل المريض . السلطان عبدالحميد الثاني
الكويت . دار الكويت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٨٧) مسلم :
صحيح مسلم بشرح النووي . ثمانية عشر جزء . القاهرة
المنظمة المصرية ومكتباتها .
- (٨٨) المصري : حسين مجيب .
ملات العرب والفرس والترك . دراسة تاريخية أدبية ،
القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- (٨٩) مصطفى : أحمد عبدالرحيم .
أصول التاريخ العثماني . الطبعة الأولى بيروت : دار
الشروق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٩٠) الميداني : عبدالرحمن حبيكة .
أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشيرة الإستشراق ،
الإستعمار ، دمشق : دار القلم .
- (٩١) مؤنسي : حسين .
أطلس تاريخ الإعلام - الطبعة الأولى ، القاهرة ،
الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

(٩٢) شاتنج : أنشوتي ، ولويل شاماس .
لورانس لغز الجزيرة العربية . بيروت مؤسسة
المعارف ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٩٣) شاتحي: محمد باشا .
سير أشباي مقام وأحوال خلفاء كرام إسطنبول :
الدار العامر ، ١٢٩٠ هـ / ١٨٣٧ م .

(٩٤) نعيما :
تاريخ نعيما . القسطنطينية : المطبعة العامرة ،
١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م .

(٩٥) النهراولي : قطب الدين .
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . مكتبة الحرم
المكي . ليس هناك معلومات نشر من الطبعة والمطبعة
ومكان الطبع وسنته .

(٩٦) نوار : عبد العزيز سليمان .
الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون - الفرس
مسلمو الهند . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٣٩٢ هـ /
١٩٧٢ م .

_____ :
تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق . بيروت ، ١٣٩٢ هـ /
١٩٧٣ م .

_____ :
التاريخ المعاصر لأوروبا من الحروب البروسية الفرنسية
إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ - ١٩٤٥ م . القاهرة .

(٩٧) هونكة : زيجريد .
شمس العرب تنطق على الغرب ، أثر الحضارة العربية
في أوروبا . بيروت : المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ،
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٩ م .

(٩٨) البعاني : عبدالواحد بن يحي الواسطي .

تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث
وتاريخ اليمن . الطبعة الثالثة ، الدار اليمنية
للطباعة والنشر ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

_____ :
السلطان عبدالحميد الثاني مذكراتي السياسية
١٨٩١ - ١٩٠٨ م ، "طبعة الخامسة" . بيروت : مؤسسة
الرحالة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٩٩) مجهول: تاريخ تيمور لنگ اسطنبول : المكتبة السلطانية
ليس هناك أي معلومات عن الطبعة والمطبعة وسنة
الطبع .

رابعاً : رسائل جامعية

بهاگـــــور : عمـــــر .

حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين .
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى .

رفـــــوان : نبيل عبد الجـــــي .

الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد
افتتاح قناة السويس (١٢٨٦-١٣٢٦ هـ / ١٨٦٩-١٩٠٨ م)
جدة : الطبعة الأولى ، مطبوعات تهامة - ١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م .

شمـــــوط : المنتمر بالله إبراهيم .

جهاد العثمانيين ضد الدولة قبيزنطية حتى فتح
القسطنطينية (٧٥٥ - ٨٥٧ هـ / ١٣٥٤ - ١٤٥٣ م) .
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي
١٣٩٩-١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩-١٩٨٠ م ، جامعة أم القرى .

ميرفـــــسي : نـــــوال .

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، رسالة لنيل
درجة الماجستير ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، جامعة أم القرى .

خامساً : الدوريات

أ - المجلات

- التعميمي : عبد العزيز .

إمطنبول جسر بين الحضارات عمره (٥٠٠ عام) مجلة
عالم السعودية . العدد الأول . المجلد الثامن .
بشابر ١٩٨٩م .

- زيادة : محمد مصطفى .

نهاية الملائين المعاليك في مصر . المجلة التاريخية
السورية . العدد الأول ، المجلد الرابع ، مايو
١٩٥١ م .

- المنصافى : أحمد العرسى .

الدولة العثمانية والولايات العربية - مجلة
الدارة . العدد الرابع ، السنة الثامنة ، رجب
١٤٠٣ هـ / أبريل ١٩٨٣ م .

- عبدالبقيست : شوري .

روسيا ومشروع سكة حديد بغداد . مجلة المسوِّخ
العربي ، العدد الخامس عشر . ١٩٨٠ م .

ب - المصنف

- جريدة أخبار العالم الإسلامي :

العدد ٩٢١ الإثنين في ٢٥ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق

٥ إبريل مقال عن مجلة المعلمين في بلغاريا ،

إعداد الشيخ بابكر درويش .

- جريدة المعلمون :

العدد الثالث والثلاثون ، السبت من ٧ - ١٢ محرم

١٤٠٦ هـ / ٢٢ - ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥ م ، مقال - صفحات

من دفتر ذكرياتي بمكتبة الشيخ محمد محمود

الصواف .

- الشرق الأوسط :

يوم الأحد ٢٨ / ٧ / ١٩٨٥ م (مقال سورية فـسـي

القرن العشرين ، قلم نرجس بابل) .

- جريدة الندوة :

عدد ٩٠٨٧ الثلاثاء ١٨ جماد الأولى ١٤٠٩ هـ ، مقال

بعنوان تطور نظرة المعلمين إلى أوروبا ، بقلم

د . خالد زيادة .

سادسا : المصادر الانجليزية :

- Burke. Wilkinson,

Francis in All His Glory, New York :

Ferrar, Straus and Giroux, 1st, Ed., 1972 .

- Cahun : L. N.,

L'introduction al'Histoire del, Asie,

1896 .

- Enver Ziya Karal ,

Osmanli Tarihi, Ankara : 1983.

- Fischer Steplen agalali,

Ottoman Imperialism and German Pro-

testantism, 1521 - 1525, Cambridge Harvard Uni-
versity , Press 1959 .

- Halil Inalick ,

The Ottoman Empire and the Class-

ical Age, 1300 - 1600, Translated by, Norman
Itchowitz and Golin Imber , London, Weidenfeld
and Nicolson, 1973 .

- Ismail Hakkı ,
Osmanlı Tarihi , Vol 16, Ankara,
Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1983.
- Itzkouitz Norman :
The Ottoman Empire and Islamic tra-
dition , New York , Alfred , A. Knopf prince
University , 1972 .
- Lewis Bernard ,
Istanbul and the Civilization of the
ottoman Empire, Norman , University of Oklahoma
Press.
- -----,
The Emergence of Modern Turkey London,
Press, 1966.
- Lewis Raphaels,
Everyday Life in Ottoman Turkey, B. 1.
Batsford Ltd London G.P. Pulman , New York .

- Roger B. M. ,
Suleiman the Magnificent 1520 - 1566,
Cambridge : Harvard University , 1944.
- Robinson J. Stewart ,
The Traditional Near East, Prince
Hall , Inc., Aspedrum Book Englwood Gliffs , N.
J. .
- Shaw Stanford J ,
History of the Ottoman Empire and
Modern Turkey 1280 - 1808 Cambridge University,
Press, 1976.
- Seton - Watson, Hagh,
The Russian Empire , Oxford at the
darendon Press, London, 1967 .
- Toynbee Arnold ,
A study of History , Vol. 3., Oxford
University Press, 1935.

مَنْ يَأْتِ الْحَيَّةَ

محتويات البحث

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
	الفعل التمهيدى
	النشأة والتكوين
٧	١- أهل الأتراك العثمانيين
١٠	٢- إلام العثمانيين
١٢	٣- العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم
	الفعل الأول
	الوجود الإسلامي العثماني في أوربا
٤٢	١- دخول الإسلام إلى شرق أوربا
٦٣	٢- الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية
٦٩	٣- النظم العثمانية في الولايات الأوربية
٨١	٤- أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام
	الفعل الثاني
	موقف الدول الأوربية من الدولة العثمانية
٩١	١- موقف روسيا من الدولة العثمانية
١٠١	٢- موقف النمسا من الدولة العثمانية
١١٠	٣- موقف فرنسا من الدولة العثمانية
١٢١	٤- موقف بريطانيا من الدولة العثمانية

محتويات البحث

الصفحة

الموقع

.....	الفصل الثالث
.....	ردود الفعل الأوروبية على الوجود العثماني في أوروبا
١٣٥	١- الرأي الأوروبي العام وآراء المؤرخين في الدولة
.....	العثمانية
١٥٠	٢- الحملات التشهيرية بالدولة العثمانية
١٦٣	٣- تضاءل الوجود العثماني في أوروبا
١٨٠ الخاتمة
١٨٤ الملاحق
٢٠٧ ثبت المعانير والمراجع
٢٣٥ محتويات البحث